

أقطاب العلماءانية

سيرة العلامة

في
العالم العربي و الإسلامي

(2)

طارق منينه

ابن الشاطئ

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية بجودة عالية
على مكتبة جديد كتب بدف
<https://jadidpdf.com>

أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي

(الجزء الثاني)

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الایداع القانوني
٩٣٦٢ / ٢٠٠٣ م

الترقيم الدولي : 977-253-310-3

دار النشر
للطباعة والنشر والتوزيع
٢ شارع منشأ - محرم بك - الاسكندرية
تليفاكس : ٠٢/٣٩٠١٩١٤ - ٠٢/٣٩٠٧٩٩٨

أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي

(الجزء الثاني)

د. سيد القمني
المستشار. محمد سعيد العشماوي
د. أحمد عثمان
د. أحمد سوسة
موسى مطلق إبراهيم
شفيق مقار

تأليف

طارق عبد الباقي مينة
(ابن الشاطيء)

بِإِثْنِ الْإِسْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مما يُثير الغشيان ويُشعر المرء بالقرف أن نرى رجالاً المفترض فيهم أن يقوموا بحماية معتقدات هذه الأمة المسلمة التي كرمها الله بالإسلام، أن نراهم يقومون بخلخله معتقداتنا وتدمير ثوابتها، ومسح هويتها فيما هم يسيطرون على دفة إدارات الثقافة في أغلب البلاد العربية والإسلامية ويديرون المتدييات والحوارات الثقافية في عالمنا الإسلامي! من هؤلاء الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر، فهو يدافع بقوة عن إخوانه العلمانيين الذين يقومون بمحاولات خطيرة للعبث بالوحي القرآني وقلب حقائقه ومبادئه وتحطيم دلالاته ومفاهيمه وتحويل رموزه وشخصه.

لقد دافع الدكتور جابر عصفور عن الدكتور سيد القمني والدكتور نصر حامد أبو زيد والمستشار محمد سعيد العشماوي وغيرهم ممن يقفون معه في خندق واحد بغية القضاء على هذا الدين وإرساء معالم علمانية بغیضة تقوم على أسس الفكر المادي القاصر في نظره إلى الكون والحياة والإنسان والتاريخ.

وهو يدعي كما يدعون أننا نحكم على نياتهم ولا نقرأ لهم! كما يدعي ويدعون أنهم أحرص منا على ثوابت هذه الأمة وهويتها ودينها وأن غرضهم هو التنوير وإرجاع الأمة إلى عقل رشيد!! لذلك كان هدفي الأساسي والرئيسي والأول هو كشف هؤلاء العلمانيين وإبرازهم كما هم، مع فحص أفكارهم ونقدها نقداً علمياً وموضوعياً يكشف بالأدلة والبراهين تلفيقاتهم وتلوّنهم وخداعهم ونفاقهم وخلل أفكارهم وتقليدهم للغرب في نظره ونظرياته، ونقلهم الأعمى للغث والحقير من الفكر الأوربي الذي لا يرقى إلى مستوى العلوم الفكرية والعقلية الإسلامية التي لاتفصل السماء عن الأرض، ولا الكون عن الإنسان، ولا الروح عن الجسد، ولا العقل عن الوجدان، ولا العالم عن الفطرة، ولا الجزء عن

الكل، ولا الإنسان عن المهمة الإستخلافية التي أعطى قوانينها وآلياتها، ومنح أدواتها ووسائلها، وحدد له غاياتها ومقاصدها.

في هذا الجزء من كتاب أقطاب العلمانية، وهو الجزء الثاني كشفت الأعياب أكابر العلمانيين ومحاولاتهم السخيفة في قلب التاريخ وتغيير معالمه، وبينت أن هذه المحاولات إنما هي تداعيات لظروف شائنة مرت بها أوروبا في قرونها الأخيرة ممّا أدى إلى إقصاء الدين، والعبث بالوحي، وحجب الكلبي، ونسف الشمولي، وتحويل الإلهي، وتزوير التاريخي، ومسح الإنساني.

لقد قسمت الكتاب إلى بابين في تسعة فصول، يحتوى الباب الأول على فصلين هامين يعتبران تمهيداً ضرورياً، وبياناً للمصدر الذي يستقى منه أصحاب النظريات التاريخية من العلمانيين العرب أفكارهم وخيالهم الملتق المتصنع، وهو باب لو قرء بعناية لأفيد منه أعظم الفائدة، ففي الفصل الأول أبرزت الحقيقة الإلهية الشاملة عن الإنسان والعمران الشامل والنبوة والرسالة، ثم قمت بعرض تفصيلي لأزمة الوعي الأوربي في «وحدات» و«نماذج» معينة بحيث يتكشف للقارئ مواضع الخلل في تطور هذا الوعي في كل مناحيه الفكرية والفلسفية والاجتماعية، ومن ثمّ يتكشف له خلل المصدر الذي يعتمد عليه العلماني اعتماداً كلياً في مواجهة المرجعية الإسلامية الأصيلة والشاملة.

لقد جزأت المرجعية الفلسفية الغربية الحقيقة، وعزلت الأدلة الرئيسية عن نظرتها الأحادية إلى الحياة والغيب والنبوة والتاريخ، اكتفاءً بالأدلة الثانوية الغامضة، والأجزاء المشوهة المعزولة، والبعض الضعيف القاصر، فكانت النتيجة رؤية للعالم والتاريخ دمّرت الكليات، ورفضت الغيبات وعبثت بالأصول والمقاصد العامة، فحقّرت الإنسان وحسّت روحه داخل قمقم المادية والحسية الكثيف ابتعاداً به عن أصوله الأولى وغايته المهيّئ لها والمعان عليها والمكلف بها.

إن تخريب الإنسان وإعلان موته الأخير دليل على زيف الوعي الذي زعم أنه

قادر على كل شيء، وقادر على استعادة كمال الإنسان.

في الفصل الثاني أبرزت «النموذج الأصل» لمعظم «الأساطير العلمانية» الجديدة التي أطلقتها «الذهنية المادية» وهي تسعى لتخريب التاريخ البشري كله وقلب رواياته ووقائعه.

أما الباب الثاني^(١) فقد قسّمته إلى سبعة فصول، عرضت في كل فصل «أسطورة علمانية» عن النبوة والأنبياء وشخص «النبي الرسول» موسى عليه السلام كنموذج ضربه العلمانيون لنا كدلالة على زيف النبوات وأنها لا أصل لها، ولا صلة لها بالوحي الإلهي، وإنما الواقع الأرضي أو الاقتباس والسرقة ونزع الأصول من واقع تاريخي طبيعي إلى واقع مقتبس خيالي وزائف.

إن هذا الكتاب يحتاجه من استوى عوده، وانتصبت قامته، وارتفعت هامته، وتعمق علمه، وتجدرت عقيدته، وزاد يقينه، وقال يوماً: صُمّت أذن الدنيا إن لم تسمع لنا! إنني كتبته لإخوان إتسعت مداركهم ووسعت عقولهم الدنيا ولم يقفوا عند السنن الصغرى فاغرين أفواههم مستفرقين فيها غائبين عن السنن الكبرى محقرين وعازلين لها فيما الآخر يُدمر الكبير الذي إذا هوى لحقه الصغير والقليل! لقد كان ابن تيمية رحمه الله دليلاً سلفياً لنا لدراسة العالم كله وفحصه ونقده وإبراز سنن الحق فيه وسنن الباطل وكتابه «نقص المنطق» أكبر شاهد على ذلك.

ولقد قرأت مجموع فتاوى ابن تيمية أكثر من مرة، وقرأت معظم مؤلفاته الأخرى. فلم أجد الرجل يعتزل الحياة مكتفياً بأنه مسلم، عقيدته سليمة وستة قوية، بل كان «شيخ الإسلام» حقاً، نازل الفلاسفة، وصارع المتفلسفة، وخاض معركته الفاصلة مع التصوف المنحرف، ولم يبلغ حقاً لأجل باطل غالب!، ونقد عقائد أهل الكتاب، كما نقد جمود المتفقهة من أهل السنة، اقرأ له في هذه النقطة

(١) يمكن للقارئ الكريم أن يبدأ من هذا الباب، اختصاراً واقتصاراً على فكر أقطاب العلمانية العرب، لكنني أنصح القارئ المتمرس الخبير أن يقرأ الكتاب من أوله. المؤلف.

على سبيل المثال الصفحات الأولى من كتابه القيم «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم».

لذلك أقول للإخوان الكرام تعلموا القراءة كما تتعلموا العقيدة! وادرسوا العلوم كما تدرسوا الفقه!، ولقد قطعتم شوطاً طويلاً عجباً في الفهم الواسع فكتّم خيراً منازلين للباطل متجاوزين عن أخطاء العلماء وبعض اجتهداتهم الضعيفة التي يؤجرون عليها إن شاء الله!، فيما وقف غيركم يصارع العلماء ويغتيال فضلهم ويحجز علمهم ويمسح علوم الخير التي قدموها للأمة يوم كان الكل مغترباً فأرجعوا للأمة ثواب دينها التي كادت أن تتلاشى نتيجة الهجمات العلمانية بعد سقوط الخلافة واضمحلال العلم والفهم المتكامل.

إنني بكتابي هذا أذكر الأمة بأن الفكر هو سلاح خطير وفعال، وممركتنا اليوم ليست برفع السلاح أو بإعادة السنن الصغرى دون السنن الكبرى أو بوضع السنن الصغرى عشرة في طريق إحياء السنن الكبرى من هذا الدين العظيم. وليتذكر المسلم الواعي أنه إذا تعارضت مصلحتان فإنه يتجاوز الصغرى لجلب الكبرى، وإذا كان لابد من حصول مفسدة بتدافع مفسدتين فإن ارتكاب الصغرى دفعاً للكبرى من فقه هذا الدين وأصوله التي قننها السلف الكريم.

تحية إلى الإخوان الكرام، وإلى القاريء الذي يُعلم أولاده القراءة من الصغرى الجريئة، والمجلة الصغيرة، والكتيب الصغير؛ فإن ذلك داعية إلى دراسة العلوم وحماية العقيدة، والتعامل مع الأفكار بيقين واقتدار.

هذا الكتاب هدية للصحوة المباركة، فاقراه بتمهل وأنت تقرأ الآيات الكريمة من سورة الذاريات في الرد على الكفار والمنافقين ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُوَفِّكُ عَنْهُ مَن أُولَىٰ ﴿٩﴾ قَتَلَ الْخُرَاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿الذاريات: ٥ : ١١﴾

طارق عبدالباقي

لاهاي / هولندا ٢٠٠٢/٥/٦

الباب الأول

الفصل الأول

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧-١٠٨]

« لو أردت سرد جميع الآيات التي تدعو إلى النظر في آيات الكون، لأتيت
بأكثر من ثلث القرآن، بل نصفه »

« محمد عبده .. الإسلام دين العلم والمدنية »

« كان العلماء المسلمون هم الذين أدخلوا على المنهجية العلمية أسلوب
الملاحظة » للظاهرة الطبيعية في أدق تفاصيلها، وكذلك أيضاً الأسلوب
التجريبي، هذان الأسلوبان كانا غريبين على منهجية المفكرين اليونانيين القدامى .
وفي الحقيقة، فإن القوة المحركة للانفجار العلمي في كل المجالات في
العالم الإسلامي، من القرن التاسع إلى القرن الثامن عشر، كانت هي
الحض القرآني على أن يستخدم الإنسان عقله، وأن يُقرب الطبيعة، وأن
يعتق النتائج التجريبية »

مراد هوفمان من كتابه « خواء الذات والأدمغة المستعمرة »

أوالحضارة الكونية والحضارة الغربية

إن مما يلفت النظر عند قراءة الكلمات الأولى التي أوحى بها إلى رسول الله محمد ﷺ في أول إتصال للوحي الإلهي به، معلناً إياه رسولاً، هو أن هذه الكلمات ركزت على الإنسان وقررت حقائق ثمينة عن طبيعته وتميزه في الخلق، والعلم، والإدراك. وبينت أن الله هو الذي منحه وسائل تناوله لسنن الأرض والسماء.

إنها الكلمات الأولى من سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

فأول اتصال للوحي بالإنسان كان تقريراً للحقائق الأولى (حقائق الألوهية) (حقائق الانسانية) لتكون قاعدة ثابتة في نظرة الإنسان إلى نفسه وتعرفه على إمكاناته وقدراته، وكيف أنه مميز عن المخلوقات الأخرى في وسائل إدراكه وطبيعة عمرانه فهو خطاب لطيف رقيق في تعريف الإنسان بنفسه، وبإمكاناته، كما أنه خطاب جليل في تعريف الإنسان بربه الكريم الذي منحه مميزات الإنسانية والبشرية ووسائل منظومته العمرانية والاجتماعية، فهو الرحمن خالق الإنسان، مانح القلم والبيان ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] إن مفردة «الإنسان» تنكرر في القرآن بصورة لافتة للنظر والهدف كريم! ذلك أن الله خلق الإنسان وجعله المخلوق الأسمى بين المخلوقات الأرضية، وأمدّه بوسائل تعمير الأرض(*) وقد جعله خليفة وسيّداً وسخر له ما في السموات وما في الأرض وأعطاه سلطاناً على الأشياء وحمله أمانة ومسئولية في تناوله لحقائق

(١) «فذكر التعليم بالقلم يتناول علم العبارة والنطق وعبارة المعاني والعلوم» «فعلّمه العلوم بقلبه والتعبير عنها بلسانه» النبوات لابن تيمية ص ٢٨٧ «يهدى الانسان الذي كان علقه ومضغة إلى أنواع العلوم بأنواع من الطرق إنعاماً عليه، وفي ذلك من بيان قدرته وحكمته ورحمته ما فيه» المرجع السابق ص ٢٦٩.

(*) «عمارة الأرض من قوله تعالى... واستعمركم فيها...» هود: ٦١.

الوجود، وميزه بنعمة العقل التي ارتبطت بها نعمة الاختيار والارادة الحرة. فهو «الانسان/ الخليفة»^(*) ومن هذا شأنه لابد أن يكون فريداً في طبيعته وطبيعة مسؤوليته على الأرض وغاية وجوده الانساني ليسر أغوار الزمان ويفحص آفاق المكان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء: ٧٠] إن بني آدم هم البشر الخليفة هم الانسان ككل. ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] خليفة بشري إنساني فريد، والخليفة مع أنه يحمل تفرداً ذاتياً وشخصية^(**) إلا أنه خلق للتفاعل الاجتماعي، والترابط البشري ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(***) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ [الحجرات: ١٣].

وهو لم يخلق للعلو في الأرض والفساد فيها، ولم يُخلق بلا غاية ولا هدف^(****) ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا...؟﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿... إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾ [مر: ٢٦] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً...﴾ [الأعراف: ٦٩] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [الأعراف: ٧٤]. فالإنسان، ذكراً وأنثى فريد في حقيقته وطبيعته، وهو «خليفة» في الأرض، والأمم يستخلفها الله فهم

(*) (الانسان/ الإله) أو (الإله/ الإنسان) أو (الإنسان/ الحيوان) أو (الإنسانية/ الإله) كما في الفلفيات الغريبة وسيأتي بيان ذلك بعد قليل.

(**) (زعم جمال البنا في جريدة القاهرة أن القول بعبودية الانسان لله وحده تتعارض مع تكريم القرآن للانسان!!!!) «المطلوب احلال انسان الايمان بالله محل انسان العبودية لله» وهذه لحجة فكرية لكثير من لخطبات الاستاذ. راجع مقاله في القاهرة العدد ١٠٥ الثلاثاء ١٦ ابريل ٢٠٠٢.

(***) (خلق الله الناس «من نفس واحدة ..» [النساء: ١].

(****) «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ» [هود: ٢٢].

(*****) «يرى الوجودي أن الحياة البشرية بلا غاية أو معنى» هتريميد في الفلسفة أنواعها وشكلها ص ٤٠٧.

حسب، وخلائف، ومستخلفين، والغرض هو تحقيق إنسانية كريمة قائمة على أسس
وسنن لاتعارض مع أسس الكون وسننه في إقامة عالم حي متناسق، كريم
وإتاني وطيب وفريد وآمن. ولقد منح الله الإنسان كل مقومات الخلافة، وصفات
الخليفة، من «الاختيار» و«الإرادة» و«القدرة» و«الحرية» و«الفعل» و«الحركة»
و«الحس» و«المسئولية» و«العقل» و«القلب» و«الوجدان» و«الشعور» و«الخيال»
و«الحافظة» و«الفكر» و«العلم» و«البيان» و«التفاعل الواعي» و«الحب الخلاق» وغير
ذلك من مقومات حياته الفردية والجماعية، العمرانية^(*) والحضارية، فالإنسان في
الإسلام يريد مختار فاعل مسئول عن أعماله، سيد في أرضه وسلطانه، له قدرات
مميزة كإنسان مميز، وكلها منح تكريمة إلهية يعرفها الإنسان من نفسه وفطرته،
ويعرفها من دينه وشريعته، وليس في الإسلام نفي لمقومات الإنسان أو إلغاء
لصفاته. فكيف يلغينا وهي منح ربانية وآيات إنسانية وشروط عمرانية منهجية!
ولذلك فإن إرادة الله لا تلغي إرادة الإنسان فقد خلقه مريداً ومختاراً ومسئولاً!
وكما أن وجود الله لا ينفي وجود الإنسان، فكما أن الله لا يلغي كمال الإنسان وهل
- كمال المخلوق مستفاد إلا من كمال خالقه؟^(١) وكذلك فعل الله لا يبطل فعل
الإنسان، وصفات الله لا تحجب صفات الإنسان وإنما تمنحها وجوداً وحضوراً
ونشاطاً وفاعلية! وحكم الله لا يلغي حكم الإنسان وإنما يضع له مبادئ وسنن
وقواعد ربانية لينطلق منها في بنيان عمرانه الاجتماعي وإجتماعه البشري وبيته

(*) ويلفظ ابن خلدون فإن «الإجتماع الإنساني هو عمران العالم ... وإن ننظر في الاجتماع البشري الذي
هو العمران ... وهو العمران البشري والاجتماعي الإنساني ... فإذا، هذا الاجتماع ضروري للنوع
الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو
معنى العمران» مقدمة ابن خلدون ص ٢٧، ٣٠، ٣٤ طبعة القاهرة ١٣٢٢ نقلاً عن الإسلام والأمن
الاجتماعي لمحمد عمارة ص ١٢.

(١) البيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٢٥ وهو الذي كمل خلقك في أحسن تقويم ص ٣٣

الأرضي! وهكذا فليس في الإسلام صراع بين الله والإنسان ولا بين الإلهية والإنسانية كما حدث في الفكر الفلسفي الغربي وسبب له أزماته الخطيرة وأمراضه المزمنة وتناقضاته العجيبة بالمقومات الإنسانية يستطيع الإنسان أن يقيم خلافة كريمة على الأرض وعمراناً بشرياً أصيلاً. يتعارف فيه الناس وتتكامل فيه المجتمعات، وتتمايز فيه القدرات، وتتفرد فيه الذوات والشخصيات بلا علو أو طغيان أو تأله أو استغلال أو استعلاء أو استبداد من أحد على أحد، والبشر^(*) سواء، الكل سواسية لا فضل لأحد على أحد، لا لعربي على شرقي أو غربي ولا لأبيض على أسود، فالكل من آدم، والكل أبناء جنس بشري واحد وأبناء نوع فريد خاص له خصائصه المميزة في الوجود. وأي خلل في تفاعل هذه المقومات والقدرات يؤدي إلى تدمير خصائص الإنسان وتغيير وجهة حياته إلى حيوات رديئة ليست فيها حياة إنسانية أصيلة متكاملة وأمن اجتماعي مادي وروحي^(**)

هذه هي المنهجية الإلهية وشروطها في إقامة حياة إنسانية صحيحة قائمة على عبودية الله وحده ونفي عبادة العباد للعباد!

وهي منهجية تقيم قواعد الدين القيم الأصيل، وتعيد صياغة الإنسان بعد أن مسخته الوثنيات والفلسفات القديمة (والحديث)، وهي منهجية ترسخ مبادئ العدل الإلهي، وترد للإنسان نفسه التي افترقها بضلاله في عالم الوثنيات

(*) وفي الآية (٧١) من سورة ص «إني خالق بشراً من طين» والبشر في اللغة هو ظهور الشيء مع حس وجمال، وفي المعجم الكبير البشر الإنسان، للذكر والأنثى، وللواحد والثنى والجمع.

(**) يقول الدكتور محمد عماره «ففي الاجتماع المعاصر مستجدات في مصادر الخوف والقلق الإنساني، تستدعي استنباط سبل للأمن الاجتماعي من ذات الفلسفة الإسلامية المتميزة في هذا الميدان» فالرؤية الإسلامية «جامعة لمقومات الأمن الاجتماعي لل عمران البشري جميعاً، الديني منها والفكري والمادي والإنساني، العوامل مستقلة، ومتساندة، ومتفاعلة لتحقيق ضرورات العمران الأمن للإنسان» كتاب «الإسلام والأمن الاجتماعي» ص ٢٥.

والفلسفات والمدنيات المستبدة^(*)، إنها منهجية كريمة ترد له طبيعته الإنسانية وقيمه البشرية ومقوماته الأرضية وكرامته التي نُزعت منه وأُعطيت للأوثان والآلهة المزيفة. كما أنها ترد له سلطته التي أُقيل عنها وأُعطيت للطواغيت والكهنة وأرباب الاستبداد والاستغلال السياسي والمادي والديني والفلسفي^(**).

إنها منهجية تسترد الصلة الضائعة والحلقة المفقودة، فتصل المخلوق بالخالق، والأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والإنسان بذاته المفقودة، وبمجتمعه الإنساني العام.

وفوق ذلك فهي منهجية فريدة تقيم علاقة حميمة بين الإنسان والكون لتحقيق الفاعلية الشاملة للإنسان في الكون والتاريخ والمجتمع. وقد منح الله وسائل العمران، وأدوات التسخير، وصور البيان والفرقان... منحه القلم الفعال وهو آية من آيات الله عز وجل ميز به الإنسان عن الحيوان وكثير من المخلوقات العلوية والسفلية.

يقول ابن القيم «فآياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الإنسان»^(١)

فبالمعرفة والبيان والحركة الفاعلة يكتب الإنسان الخبرة ويستكمل الدراية والدربة فيحقق شروط خلافته على الأرض ويُنم أمانته التي حملها الله إياه لتعمير الأرض بإتقان وحكمه وبذلك يتمتع بحياة طيبة في الدنيا قبل الآخرة!

(*) كما ترد له كلمات الحق ومعانيها كما عبرت عن ذلك الأستاذة الكبيرة زينب الغزالي بقولها إن سلطات الجاهلية سيطرت على ذرية آدم «لما ضاعت من حياتهم معاني الكلمات، وغمت عليهم جاهلية ووثنية بهت بها كلمات الحق في وجدانهم، وضاعت من بين أيديهم معانيها، وعاشوا وقد ماتت من شفافهم الكلمات.. كلمات الحق» من كتابها نحو بحث جديد ص ١٧ وهو كتاب لم أر مثله لإمراة قبلها اللهم إلا كتابات حميدة قطب الأخيرة.

(**) ليس في الإسلام كما تعلم أخي الكريم أي صورة لأي وساطة بين الله والإنسان كالكهنوت والآلهة الدنيا أو العليا المزعومة والتي تجدها في الوثنيات والأديان المنحرفة!

(١) البيان في أقسام القرآن ص ١٢٧

فاعلية نظام الأفهام

إن «القلم» أداة لتسجيل التفاعلات الحية في النفس والمجتمع والتاريخ والكون المادي والآفاق ، وقد أقسم الله به في القرآن ﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١] .

وكما قال ابن القيم فإن «القلم» إحدى آيات الله ، والأقلام نظام الأفهام^(*) و«البيان» صورة توضيح وتبيين ، وفرقان ، وتوصيف ، وفصل ضد الإجمال ، وتميز بين صور الأشياء ومعانيها وأسمائها وحقائقها وصفاتها ، فهو أداة للتمييز ، في تناول الأشياء وعرضها على حقيقتها بعد تصورهما على ما هي عليه ومنحها أسماءها الأصلية وصفاتها الأولية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] ..

ولقد جاء الإسلام تبياناً لكل شيء ورد الأشياء إلى أصولها ولتعديل الموازين المختلة، التي مسخت صور الكائنات وحقائق الموجودات وأسماء المخلوقات وبديهيات العقول وصفات الممكنات. ففي طريقه لبناء المنهج المعرفي في تناول السنن الكونية والشرعية ، وفي سيره الحثيث لتغيير معالم الجاهلية التي كانت تمنح الإلهية للكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة ، وعطارد وغير ذلك مما لا حقيقة لألوهية فيه (فما هي إلا أسماء لا أصل لها منحوها لهذه الآيات الكونية تأليها لها ورهبة منها وتقديساً). في هذا السير الحثيث استعرض القرآن صور الآيات الكونية الباهرة مُرجعاً لها أسماءها وصفاتها وصورها الحقيقية، ونزع عنها الأسماء التي مُنحت لها من جاهليات الحضارات الوثنية العريقة، والمدنيات الكبرى كالحضارة اليونانية والمصرية والبيمنية والهندية وغيرها من الحضارات والمدنيات التي ألهمت الأشياء وتصورتها على غير صورها الحقيقية وصفاتها

(*) قسم ابن قيم الجوزية القلم إلى أنواع من الأقلام، منها قلم الوحي، قلم طب الأبدان، قلم الحساب، قلم التعبير، قلم تواريخ العالم وقائمه، قلم الرد على المضلين، وغير ذلك. انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ١٢٦-١٣٣.

الأصلية ما جعل المسلم يعتدل في تصوراتهِ وحركته نحو العالم! تقول الأستاذة «زيفريد هونكه» إن اليونان كاساتذتهم البابليين، قد أطلقوا على أبراج النجوم أسماء آلهتهم ومنحوها أشكال حيوانات في ميثولوجيتهم «أما العرب فإنهم لم يتخيلوا «صور النجوم» بل سمو الكواكب الثابتة بأسمائها، فكان لهم أسماء للنجوم أكثر مما كان لليونان.. الأمر الذي جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة، فيما بعد، أسماء ذات مصدر عربي»^(١)

«وقد لعبت أسبانيا الإسلامية دوراً عظيماً في الأبحاث الرياضية والفلكية، وعن طريقها تمكن العلماء الأوروبيون من الاطلاع على مثل هذه العلوم الحية.

ويقول مونتجومري وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ٢٥
لقد كان للآيات القرآنية الموحى بها من الله الدافع الرئيسي في حركة المسلمين نحو الكون الخارجي»^(*) مع أن أول جماعة سمعت هذه الآيات كانت في بقعة صغيرة من الأرض لكنها بقعة مركزية ومهمة في الانطلاقة الأولى للدعوة وهي «مكة المكرمة» وهذه هي بعض الآيات: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [لقمان: ٤٠].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ [الحاقة: ١٣].

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١٧، ١١٨.

(*) يقول روجيه جارودي: ولقد اخصبت الحضارة العربية - الإسلامية، طيلة ألف عام، الماضي وحيات المستقبل. ونقلت أوروبا عبر أسبانيا وصقلية ثقافة تكلفت بأعبائها ألف عام... وعود الإسلام ص ٩٩
وتقول زيفريد هونكه «وكان ثمة عبقريتهم الفذة الخلاقة الاختراعية التي طورت الآلات الموروثة، وابتكرت آلات جديدة أخرى، فأرسى بذلك حجر الأساس في صرح طريقتهم العلمية الصادقة في مراقبة الطبيعة من مرآصدهم العديدة المختلفة فوصلوا إلى نتائج مذهلة فاقت نتائج القدامى أضف إلى ذلك مناهج بحوثهم العلمية المختلفة» شمس العرب ص ١٢٦.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٦-٤٠].

ففتح الله عين الإنسان، الكائن الخطر الشان، على رؤية آياته ودلائل قدرته، ووجهه للنظر في آفاق الأرض وأعماق الكون - فتزع عنه الرهبة التي ملكت على شعوب الجاهليات القديمة حياتها وسكنت نفوس أبنائها، الرهبة تجاه هذه الآيات الكونية التي ألهمها وقدموا لها الأولاد والبنات ذبيحة وقرباناً وحرقاً!! فكان في القرآن فتح كبير للإنسان، فتح في التعامل مع السنن الكونية والآيات العلوية وهو أعظم الفتوحات... في توازن إنساني يحفظ العقل ويمسك الخيال عن الجموح والتطرف في حكمه على الأشياء... ومن ثم يعتدل العمران الاجتماعي الإنساني وتتطور مدنيته ويسترد كرامته!

أعطى المنهج الإلهي القرآني الإنسان «القلم» في أول آيات تنزل على رسول الإنسانية محمد ﷺ عندما نبهه إلى أهميته وفاعليته، كما أشار عليه أنه منح الإنسان أداة عظيمة ألا وهي البيان أداة فصل ونظام فكر.

مهمة شاقة وخب غائب!

وكان على الجماعة المؤمنة الأولى من المسلمين توصيل هذه المفاهيم والحقائق المعرفية والقيمية والحضارية، بيد أن الأمر لم يكن سهلاً في بيئات سيطرت عليها الوثنية دهرًا طويلاً وغمستها في حماة جاهليتها المغيرة لطبيعة الإنسان وملكاته في الكون والتي عمت أنحاء الأرض كلها!

لم تلق الدعوة الإسلامية في إعلاناتها الأولى القبول، ولم تستقبل الرسالة الكبرى في إستهلالاتها بالزهور والطبول! وإنما وجدت أمامها خصومة عنيفة وقوى وسلطات مستغلة تهدف إلى تكييل الإنسان وإخضاعه للعبودية البغيضة لها ولأوثانها كما تهدف في النهاية إلى استغلالها وإحتقار إنسانيتها! فبدأت برصدها واضطهادها، وقاومتها مقاومة عنيدة وعنيفة في «مكة المكرمة» فلقد كانت الدعوة الإسلامية خطراً على تصوراتها وقيمها وخرافاتها اللاإنسانية، كما كانت خطراً على المزايا التي تحصل عليها جرّاء الوضع القائم كما كانت أيضاً خطراً على المواقع المميزة التي كانت قد استولت عليها في غياب من فاعلية الإنسان وحضوره الواعي، ذلك أن إقامة نظام إنساني يقوم على نزع السلطات عن المتألهين والطواغيت وإرجاعها إلى المنهجية الربانية التي أعطت السلطة (للإنسان/ الخليفة) وهي السلطة المؤسسة على قواعد التشريع الإلهي ومبادئ الدين الحق. ذلك أن إقامة هذا النظام إنما يعني تهديداً جدياً للاستغلال المحتكر لكل مقومات الحياة وإزاحته من الوجود، الأمر الذي لا يرضى به المنحرفة من بني آدم والمتألهون من بني الإنسان والطواغيت الذين يؤسسون عروشهم على أطلال من الجماجم البشرية! ... ولذلك استخدموا كل وسائل الترهيب، والترغيب، والتعذيب، والقتل لعرقلة مسيرة الدعوة والقضاء على مقوماتها ورجالاتها والمؤمنين بها من الرجال والنساء. وفي الوقت الذي بدأت فيه الدعوة بالتفاعل مع الواقع والإحتكاك بالناس لتعريفهم بحقائق الوجود ومسئوليتهم تجاه العمران البشري... كانت هناك امبراطوريتي فارس والروم تقومان بإستغلال أشد للإنسانية وتخطيط لكل مقومات الحياة والكرامة التي منحها الله إياها ولم يكن هناك عقيدة صحيحة للإنسان عن الألوهية وخصائص الربوبية فالوثنية كانت مهيمنة في الشرق والغرب والشمال والجنوب، والرسالات السماوية السابقة أصابها التحريف والغلو وداخلتها الأساطير والخرافات وسطت عليها الوثنية فغيرت معالمها ومسخت حقائقها ..

رسول الله وصبغة الله:

فماذا يمكن لإنسان أن يفعل في هذه الأوضاع المختلة والنظم المستبدة القاهرة؟! لذلك كانت معية الله مع رسوله محمد ﷺ منذ ولادته، يؤسسه شخصية فذة تستطيع مواجهة كل هذه الأوضاع... وكل هذه السلطات والإمبراطوريات! منذ الطفولة والعناية الإلهية تصوغ شخصية محمد ﷺ في المجتمع!، وتصنعه(*) وتصبغه بصبغة خاصة تأهिला لحمل هذه الأمانة إلى الإنسانية كلها، ولتحمل مشاق وتكاليف هذه الرسالة الإلهية التي تحتاج أولى عزم من الرسل، وأولى قوة وأبصار. لم يأخذ الله رسوله إلى السماء ليربيه ويقويه ويصبغه بصبغة الرسل ثم يرسله إلى الأرض لمواجهة أعباء الدعوة وتكاليف الرسالة واستبداد الطواغيت!

لم يفعل الله ذلك مع أي رسول من البشر، بل كان يصنعهم في المجتمع، ويصبغهم في حركة الحياة الأرضية والنشاط الاجتماعي ويدمجهم في الواقع ويعرّكهم الحياة! لذلك لم تكن هذه التربية والصناعة للرسل بمعزل عن المجتمعات والبيئات والظروف المختلفة. لكن لا يعني ذلك أن الأنبياء والرسل يتأثرون بسلبات المجتمعات أو بخرافاتهم وأساطيرهم أو بتصوراتهم عن الحياة والإنسان والكون والمجتمع!؟

(*) يقول الله لموسى عليه السلام «ثم جئت على قدر يا موسى». «وَأَصْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي» طه: ٤١. قال الله عن موسى أيضاً «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» طه: ٣٩. ذكر الله موسى عليه السلام بهذه المنة التي منها عليه وهو صغير وقال أيضاً عنه «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» القصص: ١٤ وقال عن يوسف عليه السلام «وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ...» يوسف: ٦ فاجتبه وهو صغير وقال عنه أيضاً «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» يوسف: ٢٢ فما بالك برسول الإنسانية كلها!!؟ وفي اصطفااء الله للرسل يقول «الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس» الحج: ٧٥. وقال عن إبراهيم ويعقوب «أولي الأيدي والأبصار» «وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٧.

لقد كان الله يزودهم بالخصائص الإيجابية من مجتمعاتهم، والصفات الإنسانية الحقيقية من بيئاتهم بحيث يكونون الكمالات على الأرض ويصيرون النماذج الأصيلة في الإجتماع البشري، ويكونون «قوة عظيمة» تقاوم الطغيان، وعندئذ ينزل عليهم الوحي ويجعلهم أنبياء ورسلاً ويمنحهم الشريعة والمنهاج! لذلك لم تكن العناية بالرسول محمد ﷺ بمعزل عن هذه كله، كما كان هناك إرثاً إسماعيلياً - نسبة إلى اسماعيل عليه السلام وراثياً في الصفات الإنسانية^(٥) والأخلاق الجليلة ورثها الرسول عن قبيلته وأهله. فكان الرحمة المهداة بحق.

ومن ذلك كله تشكلت شخصية الرسول محمد، فتحددت سماتها النفسية والجسدية وتميزت قدراتها العقلية والعاطفية وبرزت معالمها الخلقية والخلقية كما عبر بحق الدكتور عماد الدين خليل في كتابه دراسات في السيرة النبوية. فكان الرسول الذي ارتضاه الله للبشرية في آخر مراحل وجودها على الأرض ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُغْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الحج: ٢٦-٢٨]

وكما أن الله لم يصنع رسوله خارج «التاريخ» وخارج الظروف الأرضية والعلاقات الاجتماعية البشرية فإنه كذلك لم يرسل معه عصا سحرية لقلب موازين العالم وتغيير مسار التاريخ! بل أمره بالدعوة، والتمهل، والتريث، والصبر، وتحمل الأذى والاضطهاد، وعدم استعجال النتائج وأعلمه الله في ذلك حكم عظيمة وغايات جليلة. وما عليه إلا التخطيط ودراسة الأوضاع، واستعمال السنن المتاحة، والبحث عن أجواء أفضل لحماية وأمان أتباعه حتى تتغير الأوضاع، وتميز الصفوف، وتبرز الشخصيات القيادية! وأعلمه أن النصر لا يأتيه في الحال

(٥) يقول الله تعالى عن إسماعيل ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥١) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿[مريم: ٥٤-٥٥]

ولا ينزل عليه من السماء في التوا ذلك أن دعوة إلهية شاملة لهذه الأزمنة
والأمكنة الأرضية حتى قيام الساعة تحتاج إلى جهاد عريض، وعمل دائب جهيد،
ونفس طويل مديد، حتى تتغير النفوس، وتفهم العقول، وتتهيا الفطر، وتتجدد
الأذهان، ويتيقظ الوعي، وتتقوى الإرادات، وتتمن الأخلاق وتزاح العوائق
وتلين العقبات، وتخف المنعطفات، وتيقن القلوب، وتمحص النفوس، وتصل
الدعوة إلى الاقطار والامصار، ويسمع عنها الرجال والنساء والصغار.

فهم الرسول من التاريخ الذي عُرض عليه في القرآن مغزاه وسنته ومقاصده
فالتفت إلى العمل وواجبات الدعوة وصبر على الأذى، وهو في حب عجيب
للدعوة، فكان الله يثبتته ويريه آياته وينزل عليه السور الطوال والقصار فكان يقوم
بتفعيل الدعوة، والإعلام، والتبشير بالنصر، والتثبيت، وضرب الأمثال، وكشف
السنن الإلهية في التاريخ والمجتمعات وتعلن له هذه السور والآيات أن الله لا بد
ناصره ومعينه، وأن العاقبة للمتقين^(*) وبالفعل نصره الله وانتشرت الدعوة في
مشارك الأرض ومغاريها وتمت كلمة الله وتحققت وعوده وأقبلت وفوده من المشارق
والمغارب تباع على الإسلام. وتحقق علم الله في رسوله محمد ﷺ فكان خير
رسول، أدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وصبر وتحمل أعباء الدعوة،
ومشاق التبليغ، فكان الرحمة المهداة، وكان صادق الوعد كجده إسماعيل عليه السلام.
لقد علمه الله سنن المجتمعات وأراه طبائع الناس وجعله خبيراً بأوضاع الجزيرة
العربية وأنظمتها وأمرائها وحكامها وغير ذلك من الأمور المهمة في شخصه ﷺ
حتى قال رجل غربي حديث يعمل في وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية ناسا - وهو
محام! - وهو عالم أمريكي اسمه «مايكل هارت» في كتابه (المائة: تصنيف لأعظم
الشخصيات أثراً في التاريخ) «... محمد كان هو الإنسان الوحيد في التاريخ

(*) «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز» المجادلة: ٢١

الذي بلغ درجات النجاح على المستويين الديني والدنيوي، ويقول «بسبب هذا الجمع الذي لا نظير له بين الدنيا والآخرة أرى أن محمداً من حقه أن يعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثراً في تاريخ الإنسانية»^(١).

رسالة ضخمة وجيل متجرد:

وهكذا كان الله يؤهل محمداً لقيادة البشرية ولحمل أعباء رسالة إلهية ضخمة تحتاج لرسول فذ وحكيم ولنبي كفاء قدير وشخصية قوية .. عادلة ورحيمة وكذلك اختار الله صحابته الذين تهيئت نفوسهم، وتجددت عقولهم، وتربت أخلاقهم، فبذلوا الغالي والرخيص في سبيل الله، وتركوا أموالهم وأوطانهم حماية لهذا الدين الذي استخلصهم من الناس لتوصيله رسالة إلى العالمين. وهم أيضاً لم يتطروا خارقة من السماء أو نصراً سريعاً وكانوا قد فهموا من الوحي الإلهي أنه لا مجال في هذه الدعوة للطفرات والقفزات وحرق المراحل، بل جهاد وصبر، وبذل النفس والنفيس، حتى يحدث النصر للجيل الفريد، جيل النصر المنشود!

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...﴾ [النور: ٥٥]. ولقد تحقق الموعود وتم النصر المنشود ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ١٠]. ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].

كانوا يعلمون أن الله ستن في التاريخ والاجتماع البشري ﴿آلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ

(١) انظر كتاب الإسلام في الفكر الغربي ص ٤٤، ٤٥.

أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [النكبت: ١-٣] وأنه لا محاباة لأمة من الأمم أو جماعة من الجماعات! «ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم» سنة الله في تمييز الناس عرباً كانوا أم غير عرب فالكل سواسية أمام السنن الإلهية! فسنة الله هي عزل العناصر الخبيثة والشوائب الهشة عن المعادن النفيسة والفلزات الثمينة ﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧]. فظهرت صلابة الرجال وبرزت عزائم الأفذاذ ونفع الله بهم البلائين على طول التاريخ!

وهكذا فالإسلام باق إلى قيام الساعة وقد نفع الله به بلايين البشر إلى يومنا هذا!

يقول الدكتور زغلول النجار تعليقاً على هذه الآية الكريمة: «هذا المثل القرآني الرائع يشبه باطل الدنيا بالزبد الذي يطفو فوق أسطح السيول المتدفقة بالماء في الأودية الضيقة والواسعة على حد سواء، أو بما يشبهه من الزبد الذي يطفو فوق أسطح المعادن الفلزية النفيسة والنافعة حينما يتم صهرها مع بعض المواد لتنقيتها من الشوائب العالقة بها... نهايته النبذ والإلقاء... وكذلك الباطل»^(١)

تحرير شامل للإنسان :

إن تحقيق هذه السنن الإلهية في التمحيص والفرز وانتخاب المعادن الثمينة الصلبة يستلزم تحقيق المواجهة بين الاستبداد بوسائله العنيفة، والحق برجاله الأفذاذ الأصلاب القادرين على حمايته ودعمه ونصره ودفع رسالته الغالية إلى الامام!

وبعد مراحل من الصبر والتريث والجهاد والمواجهة المسلحة ظهرت بشائر النصر بانزياح سلطان الجاهلية عن نفوس الناس، فبدأت قيمها ورموزها وكهنتها تنهار، فتحطمت الوثنيات القائمة والخرافات السائدة، وزالت آثار الحضارات البائدة

(١) مقاله له بجريدة الاهرام ١١ مارس ٢٠٠٢ .

والتي كان لها سطوة على النفوس كما كان لها إرثاً خرافياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً عمل قرونا طوالاً على إعاقة حركة الإنسان إلى الأمام وقتل فاعليته في استخدام سنن الكون واستقراء التاريخ والواقع والكشف عن القوانين التاريخية والاجتماعية واستخلاص نتائجها لمصلحة الجنس البشري والإنساني في كل مكان وزمان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عرقه أو دينه!

يبد أن الإسلام لم يحرر الإنسان ليشركه مرة أخرى فريسة للأهواء والخيال القاسد والأساطير والخرافات الحضارية! ، وإنما كانت الآيات القرآنية تفتح وعيه على سنن وقواعد ومبادئ وتشريعات لينطلق منها إلى بناء مدينة كريمة وحضارة إنسانية عظيمة، تُعرِّفه إمكاناته الإنسانية الفريدة! فانطلق العقل المسلم حراً طليقاً، يتعامل مع السنن الكونية والتاريخية والاجتماعية بلا رهبة أو أساطير، أو عوائق شرعية أو نفسية أو محاذير وبلا خوف من مخالفة دينية أو عقوبة إلهية!!

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [نساء: ٢٠٠] .

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥ ﴾ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآياتٍ لقوم يتقنون ﴿ [يونس: ٥-٦] .

﴿سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يقول ابن قيم الجوزية تعليقاً على هذه الآية منذ أكثر من ٧٠٠ سنة «وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن بل لا بد أن يرى الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذي لا إله إلا هو، وأن رسله صادقين»^(١) .

(١) البيان في أقسام القرآن ص ١٨٩ .

وهو يدعو الإنسان المسلم للإسهام في كشف الآيات والسنن وعرضها آيات بينات على الناس، وقد بدأ القرآن بلفت نظره إلى السموات كما دعا المشركين إلى النظر إلى السموات والآيات بحس يقظ وعقل قاريء!! ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١).

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا...﴾ [الأنبياء: ٣٠٠].

لقد حددت هذه الآيات اهتمامات الإنسان، ورسمت له دستوراً علمياً يعتمد على النظر والرؤية، والاستنتاج والاستنباط، والفحص والتجربة وأنشئت له مقاصد وغايات، وشرائع وشعائر تعينه على بلوغ الهدف المنشود مع تسليم تام لله . وعبودية حقه للرب .

هذه الآيات الكريمة والتي تحمل النموذج الأسمى لتحرير الإنسان من الأوهام والخرافات، لامست روح المسلم لمساً لطيفاً منعشاً فشوقته إلى المعرفة واتخاذ سبل البحث والترقي، وملأت عليه حسه وسمعه وبصره، وأنعشت بصيرته واستولت على لُبِّه وعقله، وداعبت خياله ووجدانه، وحمّست إرادته ونشّطت ذاكرته! فإذا به في قرون معدودة ينشيء منهجاً علمياً بحثياً تجريبياً متكاملأ لا سابق له في التاريخ!

يقول «جوستاف لوبون» في فصل له عن «مناهج العرب العلمية» من كتابه «حضارة العرب»: «ويعزى إلى «بيكون» على العموم أنه أول من أقام التجربة والترصد الذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ، ولكن يجب أن نعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم.. وقد أبدى هذا الرأي جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب»^(١).

(١) انظر كتاب الدنيا في عصر العلم للقرضاوي ص ١٧-٣٧.

ويقول بريفولت «إن ما يدين به عالمنا لعلم العرب ليس هو ما قدموه لنا من اكتشافاتهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة. إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا. إنه يدين لها بوجوده»^(١).

فلم يحتاج المسلم يوماً من حياته أن يُغيّر في أصول الإسلام لكي يتقدم ويتطور ويرقى وذلك لسبب بسيط هو أن الإسلام نفسه سبب التطور والتقدم والرقى وهو رسالة الله التي لا تتبدل ولا تتغير فهي رسالة كريمة إذا تولى الإنسان بعيداً عنها فإن حياته تصبح غير إنسانية أقرب للحيوان منها للإنسان، وأبعد في مقاصدها وغاياتها وقواعدها عن مقاصد الإنسان وغاياته وقواعده ومبادئه الكلية وأهدافه العليا التي ارتضاها الله له، وجعلها له ميثاقاً وعهداً وعقداً وأمانة يحملها على عاتقه جيلاً بعد جيل محاولاً إقامة مجتمع إنساني كريم على الله رحيم بالإنسان^(٢).

دراسة التاريخ البشري واستخلاص فقهه واستخلاص قوانينه وسننه:

لقد استعرض القرآن تاريخ (وحدات بشرية هامة) وكشف عن سنتها في القيام والانهياء ووضع العبر والدلالات، وساق الأمثال والآيات. وأخبر أنه سبحانه أرسل رسلاً لتقويم الاعوجاج ولتعديل الموازين التي اختلت بين يدي الإنسان بخلفه عن تحقيق شروط وجوده وغاية حياته على الأرض ومسئولية إنسانيته الشريفة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٠٥] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سج: ٣٦]. ﴿... ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

(١) فقه.

(٢) وعن ذلك يقول مونتجومري وات: «وإننا لنجد شيئاً لا يكاد العقل يصدق، وبالتالي فهو أمر يخلب اللب، حين نقرأ عن كيف تحولت الحضارات القديمة في الشرق الأوسط إلى حضارة إسلامية .. اعتنق الإسلام الكثيرون من حملة شعلات الحضارات السالفة» من كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ١٩....

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [س:٢٤]. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف:٦]. لقد ضرب الله هذه الأمثال التاريخية وأبرز قصص الصراع بين الحق والباطل حتى يتهيا المسلمون لآخذ النموذج الرباني الذي يليق بالإنسان ويتوافق مع الغاية التي أرادها الله من خلافته وحياته على الأرض ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور:٢٤]. ولقد ذكر سبحانه بعد أن ساق هذه الآية العالية القيمة في الخبرة التاريخية المطلوبة وفي ترسيخ منهج كوني، ذكر أن الله نور السموات والأرض، وهي إشارة لافته للنظر، إشارة لمصدر سعادة الإنسان في الدارين ومرجعية التنوير الحضاري والاشعاع التاريخي ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْكَاهُ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥].

فالقري والدول والحضارات الوثنية التي خلت رفضت سنن العمران الحقيقي، ورفضت دعوة المؤرخين الحقيقية ونقاد التاريخ وموازينهم الربانية وقيمهم الاجتماعية الإنسانية... رفضوا الأنبياء والمرسلين... والدعاة والمصلحين فأهلكهم الله ودمر مدنها وأزال حضاراتهم ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٣٨) ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان:٣٨-٣٩]. فتواتر قراهم ومدنهم عن الوجود، وغابت حضاراتهم عن الحياة والنشاط! وساخت المدن في أغوار الأرض وأعماق البحار.. واختفى الضجيج وواراه الثرى وأطبق عليه الصمت وترك آثاره المهيبة على أطلال وبقايا الهلاك ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قُرُونٍ هَلْ تَحْسَبُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [س:٩٨] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَعَصِّرِينَ﴾ [الذاريات:٤٥]. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الزل:٥٢].

السنن الكبرى وكتاب الله المقروء :

لقد أبرز القرآن فاعلية السنن التاريخية في الاجتماع البشري، وبين أسباب هلاك المجتمعات وأسباب تدميرها وفنائها وهلاكها وانهيار مدنياتها وحضاراتها. وأخبر أنه لا معنى لإقامة بعض السنن العمرانية وإهمال السنن الأخرى فللعمران البشري سننٌ كلية هامة، وبين أن تجاوز بعضها يعني حدوث الخلل وقد يكون الانهيار أو الهلاك الشديد! ﴿... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. يقول تعالى ﴿... سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] وما هلاك الأمم السالفة إلا باختلال موازينها الدينية والإنسانية والأخلاقية والاجتماعية. . وقد كان الأنبياء يعرضون عليها المناهج الربانية في الإصلاح والتعمير لكنها نفرت واشتمزت واستكبرت وعميت عن الحقيقة المنجية!

﴿... قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الروم: ٤٢] والآيات تدفع المسلم لقراءة التاريخ واستقراء سننه ودلالاته وأخذ العبرة والعظة الثمينة! يقول تعالى عن هلاك قوم شعيب ﴿وَأِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنِّمَا لِبِأْسَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٨، ٧٩] ويقول ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ سَائِكِهِمْ...﴾ [المنكوت: ٢٨] وبعد عرض إهلاكه لقوم لوط المسرفين قال تعالى ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٥-٧٧] والمتوسمين هم الذين يتفرسون ويقدرّون على استنباط الأمور بحسب تعبير المهندس أحمد عبدالوهاب^(١)

وقد كان رسول الله ﷺ وصحابته يعرفون مواقع التدمير الذي لحق ببعض الأمم القديمة، حتى إنه ﷺ حذر صحابته من الدخول على مساكن ثمود -

(١) أساسيات العلوم الذرية الحديثة ص ١٥٢ وهو كتاب هام للغاية، فهو يبرر أن هلاك هذه الأمم كان بالتدمير الذري والكارثة الذرية.

أصحاب الحجر - حذراً من أن يصيبهم ما أصابهم، وقد مر عليها وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع (هجريّة) ولما إستقى الناس من آبار ثمود «أمرهم النبي ﷺ - فأحرقوا القدور. .»^(١).

وفي هذا إشارة أن هذا التدمير كانت له آثاره وما زالت في الأرض ومياهه إذا شربها الإنسان مؤمناً أو كافراً، فإنها تصيبه بالمرض فكان أمر الرسول باهراق المياه والإسراع بالخروج.

ولقد كانت الآيات القرآنية تفتح أعين الصحابة على سنن الهلاك وكانت إشارات الرسول بياناً واضحاً، وقد تعرفوا على علامات وقوانين ودلالات محكمة وفهموا مغزاها وأهميتها وفاعليتها في التاريخ وذلك من القراءة الواعية للقرآن الكريم، فالاستبداد والطغيان من أسباب انهيار المجتمعات وانحطاط العقول وضياع العلوم وفناء (الأقلام) وذهاب (البيان)!

والاستغلال الاقتصادي والترف المادي محطم للقيم الإنسانية ومكبّل لروح الإنسان ومنشئ للكفر والأمراض الاجتماعية والنفسية والفكرية الخطيرة ومدمر للفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي لا تعيش في توازن وصفاء إلا في أجواء التكريم والتعليم ومناخ الاعتدال وعدم الإسراف وإعطاء كل ذي حق حقه وإلا قاومت وانتفضت أو تميّعت وخارت قواها وضاعت مرؤتها، واستمرنت الاستعباد وألفت الاستضعاف والذل والخنوع والمسخ المنظم!

والظلم الاجتماعي مدمر لوحدات المجتمع ومنشئ للكراهية والأحقاد والحرب وسفك الدماء وهو ماسخ لمعالم الفطرة ومحطم للعلاقات الإنسانية الأصلية ومرسخ لسنن الاستغلال. والفكر المنحرف بأنواعه المختلفة يمسخ معالم الفطرة

(١) والروايات في تفسير ابن كثير في سورة الاعراف، كما هي في صحيح مسلم الجزء ١٨ ص ١١٠. كما أشار المهندس أحمد عبدالوهاب ص ١٤٢.

الإنسانية، كما أنه معيق للعقل الحر عن الوصول إلى الحقائق الكلية والمعارف الشاملة والمعاني الكاملة فيحتفي بالجزء ويكتفي بالبعض.. وهذا ينطبق على الفكر الديني المنحرف والفكر المادي المفسد للعقل والمدمر للقيم العليا والسنن الكبرى كالوثنية وانحرافات أهل الكتاب وفكر بعض المسلمين القاصر عن بلوغ أبعاد الإسلام الشاملة والمضيغ للكليات من أجل تحقيق الجزئيات! وكالمذاهب المادية الغربية التي فرحت بما عندها من العلم وذهبت تضع للعالم نظرات قاصرة جزئية لا ترى من العالم إلا جزئه المادي وحتى هذا الجزء فلإنها تدمره وتفسده وتجعله هو الأصل والغاية...! وكما تعميق الخرافة الدينية الحياة عن التقدم والوصول إلى نظرة معتدلة للموجودات والأشياء كذلك فإن الخرافة العلمية المادية والتي تنكر عالم الغيب تعمق انطلاقة النشاط البشري والرؤية البعيدة الشاملة لمعاني الوجود البشري ولسنن الكون المطلقة وللتعرف على مسار التاريخ الإنساني العام بكل وحداته ومختلف طبقاته.

لقد أبرز الإسلام هذه العلامات الدالة، والدلالات الحية، فأحيا في المسلم نظرة الشاملة والفكرة الكاملة والفقہ المنتج والعقيدة الصحيحة. وكشف له عن سننه في التعامل مع المجتمعات البالية وشرح له ظروفها المادية والفكرية وكشف له عن شروطها التاريخية والمادية.

نماذج تاريخية.. والعبرة:

كان الهدف الرئيسي لعرض القصص التاريخي في القرآن هو كشف السنن وسوق العبر واستقراء التاريخ وكشف القوانين الاجتماعية والنفسية والتاريخية يد أنه لم يسرد الوقائع والأحداث كلها التي عاشتها القرون الماضية بتفاصيلها الجزئية، فهذه ليست طريقة القرآن في تناول الأحداث التاريخية، وإنما طريقة القرآن العظيم المثلى هي اختيار (وحدات هامة) في السياق التاريخي البشري تنوب عن التاريخ العام كله وتغني عن تفاصيله الدقيقة، فالقرآن ليس كتاب تاريخ بالمعنى المتعارف

عليه لهذه الكلمة أي انه ليس كتاب يسرد وقائعه التفصيلية التي تخرج عن هدفه والمقصد والمغزى من إنزاله فليس الهدف من هداية الإنسان إنزال كتاب تفصيلي يحكي له الوقائع والأحداث من يوم آدم حتى نزول الرسالة المحمدية وإنما الوسيلة الحكيمة والمثلى هي اختيار (وحدات تاريخية) لها أهميتها التاريخية والحضارية والدينية والعلمية والتي لا تخرج عن غرض الكتاب ولا تصيب المتلقي له بالملل وبالإعراض والكلل وهي ما حققها الوحي الإلهي بصوره الإعجازية المختلفة! على أنه ينبغي هنا أن لا نغفل القول بأن القرآن لم يغفل الجوانب الاقتصادية والسياسية، الاجتماعية، والدينية، البيئية والجغرافية في سرده للأحداث والوقائع والتواريخ التي ساقها، فكان أن عرض النموذج المعين ولم يغفل جوانبه المختلفة وظروفه المادية وشروطه الاجتماعية ووسائله المعيشية ونموه المادي والفكري. وهذا هو النموذج الكامل في الإلمام بنقطة تاريخية ما أو وحدة تاريخية معينة وكشف معالمها وإبراز نقاط القوة والضعف فيها ومكان الخل والتناقض والانحدار كما يبرز موقف العناية الإلهية من هذه المرحلة المعنية وهذه الكتلة التاريخية المحددة، فثناء عرض القرآن العظيم لهذه النماذج والوحدات التاريخية ذكر طرائق حياة أهلها ووسائل معاشهم، ذكر الصناعات والمزروعات والبيئات والجغرافيا ونوع الحكومات والسياسات وصور العلو والاستبداد والاستغلال والاستبعاد وصور الملأ والرهط، والرؤوس والجماعات المسيطرة، وأخبر عن الملوك والكهنة والسلطات ومدى مبلغهم من العلم والفكر والقوة وصور الوثنيات والأساطير التي كانت تتحكم في البيئات والنموذج المعروض .

والقاريء للقرآن يمكنه التعرف على ذلك بالتفصيل، لكن سأعرض هنا لبعض الإشارات التي تفيد القاريء الكريم.

ففي مخاطبة رسول الله هود لقومه (عاد) بعد تذكيرهم بالتوحيد يأتي قوله

﴿تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَارِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٠]. وكانوا يشعرون من أنفسهم القوة التي يظنون أنها تغنيهم عن الله عز وجل ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً . . .﴾ [نمل: ١٥] ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَبِيدٍ﴾ [مرد: ٥٩].

وعن الأسماء التي لا حقيقة لها والصفات التي لا أصل لها والتي منحوها لألهتهم وجابرتهم بقول لهم هود وهو يرد الحقائق إلى أصولها: ﴿. . . أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ . . .﴾ [الأعراف: ٧١]. فذكر عنهم مع الشرك التجبر والتكبر والتوسع في الدنيا وشدة البطش.

وفي نقد «شعيب» ﷺ لمعالم مجتمعه من خلال المنهج الإلهي تجده يقول لهم ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣]. وصورة أخرى لصالح تجدها في قوله لثمود غير عابئ بمدنيتهم ﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٩]. ﴿. . . وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنجِتُونَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤] ويقول الله عز وجل عن حوار صالح مع مدينة ثمود المتفطرسة ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . . .﴾ [مرد: ٦١] ﴿وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢].

ويجمع الله عاداً وثمود في قوله ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ . . .﴾ [النكبت: ٣٨]. ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى﴾ [النجم: ٥٠-٥٢].

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاعْبِهِنَّ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٩]. «وكم أهلكنا من القرون هم أحسن أثاثا ورءيا» ولوط إذ ينقد معالم مجتمعه ويعلن لهم أنها مفسده للعمران البشري والبيان الاجتماعي والفطرة الإنسانية ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾ [المنكر: ٢٩]. ويقول ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٧].

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام عن تدمير هذه المعالم المادية والاجتماعية المفسدة لصورة العمران البشري وطبيعته أخبره عن هلاك وشيك واقتلاع سريع: ﴿... إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [المنكر: ٣١]. وفوق الشرك الذي كانوا عليه، كانوا يقلبون الأوضاع الإنسانية رأساً على عقب فكان جزاؤهم قلب مدينتهم، قلب عاليها سافلها! ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٣-٧٧].

فاعتبرت الشريعة السماوية هذه الطبيعة المنحرفة انحرافاً عنيفاً عن سنن الاجتماع البشري الصحيح وإسرافاً في التفاعل الاجتماعي وتطرفاً في بنيانه العمراني والإنساني ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]. فجعل الله هذه المدينة آية على الانحراف الذي يجب أن تنأى البشرية بنفسها عن الوقوع فيه مرة أخرى، وترك آية هيمنته ظاهرة في آثارها الراسخة في أعماق الأرض وصخورها وجغرافيتها ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [المنكر: ٣٥]. [وانظر الذاريات: ٣٧].

أما فرعون وملؤه وقومه فهم علامة على الاستكبار في التاريخ والعلو البغيض في العمران والاستخفاف المحقر للإنسان ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِفُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمر: ٤٠]. ﴿سَخَفَ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]. فالعلو البغيض لا يتمكن من العمران الاجتماعي إلا باستخفاف الناس والتأمر عليهم بجعلهم شيعة مفرقين لا يستطيعون مقاومته أو منابذته ونشر الفساد والفحشاء بينهم وإقرار الاسراف المتوع في حياتهم! بذلك يضل المتعالون الناس ﴿وَأَضَلُّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [٧٩: ٢٧]. ولذلك أرسل الله من يحاول تعريف الناس بمنهج الله، أرسل موسى وهارون ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمن: ٤٦]. فأهلكه الله فما أغنت عنه أملاكه وأوتاده وعمرانه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٠].

إنحراف يهود

رأى بنو إسرائيل آيات الله وسنته في العمران الاجتماعي الفاسد، كما سمعوا ودرسوا المنهج الصحيح من النبي المصلح موسى ﷺ، فاهتدوا به فترة من حياتهم ثم انحرفوا كما انحرف فرعون وملؤه، وكانت عقوبتهم شديدة، ذلك أنهم كانوا يقرءون منهج الله ويعرفون قوانينه وشرائعه. لكنهم انحرفوا وانتكسوا أيضاً وعلو في الأرض بغير الحق بل وغيروا دين الله وعبثوا بالوحي الإلهي ومسخوا القوانين التي تُصلح العالم، وكتموا، وحرفوا، وقلبوا أوضاع التاريخ، وكتبوا القصص المزيفة عن الأنبياء والرسل، وأضافوا الخرافات والأساطير على سيرهم وتواريخهم، فخالفوا بذلك شروط عقد وعهد الاستخلاف الذي كانوا يعرفونه أكثر من أي أمة مضت فضيعوا الحقائق وأخلوا بالعهد والمواثيق والموازين الإلهية ولذلك

كان القرآن شديداً في مواجهتهم وحاسماً في كشفهم وتبكيتهم وقد ذكر القرآن الكريم مخالفتهم العنيدة للشريعة الربانية ما أدى إلى تخصيص مساحات عريضة من سور كاملة في بيان انحرافهم ومخالفتهم للقوانين الكونية والاجتماعية والإلهية، فقد خصص لبيان ذلك مقاطع كبيرة من سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف وغير ذلك من السور تنبيهاً إلى شناعة ما قاموا به من تدمير للحقائق مما يعني أن في عرض تاريخ بني إسرائيل كشف لحقائق إنسانية واجتماعية وإلهية هامة. فهو تاريخ تقلب بين الاستقامة والانحراف، والهدى والضلالة بيد أن الهدف الأسمى من عرض هذه الحقائق وبيان مساويء هذه الانحرافات هو تعريف المسلمين بإلهية الله عز وجل وأنه لا يحابي أحداً وإنما من اهتدى وأصلح فهو عند الله عز وجل خليفة صالح، ذكراً كان أو أنثى، ومن ضل واستكبر وانحرف وجحد فهو أقرب إلى الحيوان منه إلى الخليفة الإنسان. وادنى إلى عالم القردة والخنازير منه إلى عالم الإنسان الذي خلقه الله خلقاً خاصاً وكرماً وميزه عن كثير من مخلوقاته..

سبأ الهالكة:

أما «سبأ» وقد كانت لها حضارة مشيدة وعمران عظيم فيقول القرآن فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ بَدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧] وقد ذكر الله أنه من عليهم بأمان وسر ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيُبَيِّنَ لَكُمْ وَالْأَيُّهَا آمِينَ﴾ [سبأ: ١٨]. أما عن النماذج الفردية في الاستغلال والطغيان فاقرا قول الله عز وجل عن فرعون أو النمرود أو قارون، فقارون نموذجاً ومثالاً على الاستغلال الاقتصادي والترفع الذاتي، والبني الفردي ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ...﴾ إلى آخر الآية من

سورة القصص: ٧٦. ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً يَكْتُمُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [النمر: ٧٨]. وهناك آيات عامة عن القرى مُحطمة والحضارات القوية الطاغية والمدنيات التي واراها التراب. وهي آيات هادفة وهامة.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَشَرٍ مُعْتَلَةٍ وَقُصرٍ مُشِيدٍ﴾ (٤٥) ﴿أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٥، ٤٦].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا حُنَّ الْوَارِثِينَ﴾ (٤٨) ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [النمر: ٥٨، ٥٩].

هذه هي المنهجية الربانية في التعامل مع المخالفات الضخمة للامم البشرية! ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ . . .﴾ [الروم: ٩]. ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [المر: ١١]. ﴿. . . كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا فِي الْأَرْضِ . . .﴾ [غافر: ٢١]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٣٥) ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا . . .﴾ [س: ٣٤-٣٧].

ولا شك أن إنسانية الإنسان وكرامته قد ضاعت ومُحُت في هذه المناخات العمرانية المستبدة!

ظواهر كونية ونقل حضارية وتصحيح مسار:

لقد حقق الإسلام نقلة عجيبة في حياة الإنسان كما صنع تحولات مدهشة في نظرتة إلى الكون وكما قال «يدرو المبرتي» فقد أضاء مشعل العلوم والفنون الجزيرة العربية قبل أن يظهر له أدنى بصيص في الأمم الأخرى، مما يؤكد لقب بكوريتها على الأرض كلها. ظهرت بها أولاً العلوم المفيدة قبل فنون المتعة، وكان العرب هم أول من أخذ الانطلاقة نحو السماء ليتأملوا كواكبها. إنهم شعب يقبل تحت سماء صافية لاغيوم تكدرها، منشغل فقط برعى غنمه عبر سهول عارية أو فوق قمم الجبال، وقد استطاع رغم ذلك أن يكتسب معلومات سريعة عن الكواكب، والنجوم ومما يدل على أنهم كانوا السباقين إلى عالم الفلك هو أن الأسماء التي تشير إلى هذه الأجسام الفضائية هي أسماء حيوانات معروفة بهذه المنطقة»^(١).

ويقول البارون «كارادي فو» «إن العرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسى، في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للإنعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها، ووصل الأمر إلى ذروة ازدهارهم العلمي في القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين). واستمر ذلك الازدهار إلى القرن الخامس عشر، ومن القرن الثاني عشر فصاعداً كانت حواضر العرب محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه»

إن الإسلام في الحقيقة هو الذي دفع العرب وغير العرب ممن كانوا يعيشون في البلاد الإسلامية وليست العربية فقط، إلى اكتساب المعلومات بسرعة مدهشة، حتى أضاءت بقوة مشاعل العلوم العقلية والعلمية والعملية التي أقبل عليها الغربيون بدءاً من القرن الثاني عشر، وذهب كثيرون إلى حواضر المسلمين كبلاد

(١) كتاب «عربي هل قالوا عربي؟» ص ١٧٦، ١٧٧ وأشار إلى موسوعة ١٧٧٢.

كانت في أسبانيا والبرتغال لينهلوا منها بلا عنصرية من الأساتذة لطالبي العلم من كل الأجناس والأديان واللغات والألوان.

يقول «فولتير» في (دراسة عن الطبائع) (١٧٥٦): «لقد عني العرب بالكيمياء والطب، فالكيمياء التي طورناها نحن اليوم لم تصلنا إلا عن طريقهم، وإننا مدينون لهم كذلك بأدوية جديدة، وهي أقل مرارة وأكثر شفاء من الأدوية المستعملة قبلها من لدن المدرسة الأبوقراطية، وأما الجبر فمن اختراعاتهم، وهذه الكلمة هي برهان كاف، لأنها تحمل إسم العربي الشهير جابر الذي كان يعلم هذا الفن في القرن VIII من تاريخنا، وأخيل، كان على مسيحي الغرب أن يتعلموا عند المسلمين» (١).

وتقول الأستاذة الكبيرة «زيجريد هونكه» إن المسلمين «أبدعوا في علوم الفيزياء والكيمياء القائمة على التجربة، وعلم حساب المثلثات، وعلم الاجتماع وفضلا عما لا يحصى عده من المكتشفات والمبتكرات الثمينة في مجال العلوم التجريبية، فإن أئمن هدية قدمها المسلمون للغرب هي منهجهم في البحث العلمي» وفي كتابها «الله ليس كذلك» قالت: «لقد قدم العرب مع نتائج بحوثهم الغنية وبطرق بحوثهم العلمية البواعث التي أشعلت الشرارة الأولى لإطلاق بحث العلمي الذي كان منذ القرن التاسع عشر مشلولاً يكاد يموت خنقاً» (٢).

ومع أن «هيجل» زعم أن تجريدية - هكذا ! - الإسلام سلبية وهو ما يناقض حقيقة الإسلام الذي حرك العالم للأمام ودفع الإنسان للعلم وأطلق طاقاته العقلية والغنية والاجتماعية لاستقراء السنن الكونية والاجتماعية، مع أن هيجل قال «لغة الإسلام تزيفاً لمفاهيم الإسلام إلا أنه كثير من أمثاله قال «توصل الغرب

(١) المرجع السابق، كتاب «عربي...» ص ١٧٦.

(٢) كتاب (الله ليس كذلك) - د. زيجريد هونكه ص ٨٢.

إلى العلوم والمعرفة، خصوصاً منها الفلسفة عن طريق العرب»^(١) .

إن ما توصلوا إليه من العلوم التجريبية والعقلية كان بفضل أوامر الإسلام وتحريضه - إن صح التعبير - للمسلمين على دراسة الماضي والحاضر، ودراسة الأرض والسماء . . من هذه الدفعة العلمية القرآنية علموا وأفادوا الإنسان كله .

ويقول «جوستاف لوبون» «إن العرب هم الذين علّموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين» . إن الإسلام هو الذي حرر عقولهم في الحقيقة لكنه لم يحررهم من الدين فكيف يحررهم من يحررهم؟! وكيف يفك قيودهم من حطّم قيودهم؟! إن الله عز وجل هو الذي حرر البشرية من أوثانها المادية والكتابية، وأعطاهما قيمة جديدة وروحاً جديداً، ونظراً جديداً، وفي الحقيقة أعطى البشرية روحها التي اغتربت عنها وأعتقها من استلاب خيط وقعت فيه في ظل الطغيان المادي والروحي والفكري للحضارات القائمة على تحقير الإنسان وإخضاعه للوثن والصنم وظواهر الطبيعة والمتألهين من البشر.

و يقول «بريفولت» : إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا: إنه مدين لها بوجوده . . . » «إن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوروبا نتيجة لروح جديدة في البحث ولطرق جديدة في الاستقصاء، طرق التجربة والملاحظة والقياس، ولتطور الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان. وهذه الروح، وتلك المناهج إنما أدخلها العرب إلى العالم الأوربي»^(٢) .

أما روجريكون الذي يُعتبر رائداً من رواد العلم التجريبي في الغرب فإنه كما يقول الأستاذ «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية»: لم يكن في الحقيقة إلا واحداً

(١) هيجل: دروس حول فلسفة التاريخ ، ١٧٩٧ (نشر سنة ١٨٣٧) نقلا عن كتاب عربي هل مكث عربي ص ١٧٧ .

(٢) الدين في عصر العلم للدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٥، ٢٦ .

من رُسُلُ العلم والمنهج الإسلامي إلى أوروبا المسيحية وقد درس العالم العربي دراسة عميقة وهو لم يكف عن القول لمعاصريه بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحقة! (١) .

وكانت الكتب التي سطرها المسلمون ذات أثر بالغ على «بيكون» وغيره من الذين أصبحوا بعد ذلك رواداً في العلم الغربي وكان أساتذتهم كما قال غوستاف لوبون هم العرب لعدة قرون يقول «ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب، فكان لهم الأثر البالغ في أوروبا من هذه الناحية...» (٢) .

فقد حقق المسلمون المجد الدنيوي الذي يكمن في دراسة العلوم وابتكارها كما عبر عن ذلك «بيير بابل» فكان التقدم الخارق خلال قرون عديدة وكانت براعة المسلمين في العلوم هائلة حتى وضعوا أساس علم الكيمياء كما قال «رينيه ميلين» وقد أبدوا نشاطاً واجتهاداً عجيبيين كما أشار إلى ذلك الدكتور «فرنثورونثال» (٣) .

إن الأمر الذي أريد أن ألفت انتباه القاريء إليه هنا هو شيء بالغ الأهمية، ذلك أن العلم التجريبي الذي أقامه المسلمون في حواضرهم واستقاه طلبة العلم الغربيون الذين أصبحوا فيما بعد رواد الحركة العلمية الغربية التي آتت ثمارها ومازالت إلى يومنا هذا، هذا العلم هو نتاج الدعوة الإلهية للإنسان في التفكير في الأنفس والآفاق وذلك بعد أن أزاحت العوائق الوثنية التي كانت تحول بين الإنسان وبين حقائق الوجود وآفاق الكون.

إن الخلاصة هي أن الله هو الذي علّم الإنسان .. العربي .. ثم الغربي وهو الذي وضع قواعد المنهاج التي استخدمه العربي .. ثم الغربي!

(١) المرجع السابق ص ٢٥، ٢٦.

(٢) حضارة الغرب ص ٤٢٣-٤٣٧، الطبعة الأولى، نقلاً عن الدين ف عصر العلم ص ٢١.

(٣) انظر الدين في عصر العلم ص ١٧.

فلم إذن إنكار الله ونفي عبادته وتحقير وحبه وتدمير ثوابت دينه ومسح تاريخ الحقائق القرآنية التي لم يأت إلى اليوم - ولن يأت - ما يعارضها بحق! من هنا أيضاً يتأكد أن الانحراف الذي لحق بالفكر الغربي عن طريق «فلسفات التجربة» و«نظريات التفرقة» إنما هو نتيجة روح قديمة، وثنية إغريقية ويونانية ورومانية، استعيص بها عن الروح الإسلامية الأصيلة التي أحبتها النصوص القرآنية كما أحبت فاعليتها في الكون وأحبت روح العلم والتمحيص والتجريب والتجميع والترتيب والاختراع والابتكار والإبداع فيه.

وكما حرر الإسلام روح الإنسان وعقله في عالم السنن الكونية والآيات العلمية كذلك فقد حرر الإسلام الإنسان من الأساطير والكهانات والسحر والخرافات. وحمل حملة قوية على الحضارات الوثنية ورموزها وأساطيرها وتلفيقاتها الدينية والتاريخية. كما تناول انحرافات اليهود والنصارى تناولاً يرجع للدين صفاته ولحقائقه صورها الأولى التي كانت عليها، وللأصول العقائدية نقاءها الأصلي. فأخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فتحرر البشر من البشر وانعثقوا من مناهج طائشة ونظرات خائبة!

نقد معالم العلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخية الغربية،

قدمنا أن المسلمين قدموا للعالم مناهج علمية وعقلية وتجريبية راقية، أفادت منها الحضارة الغربية في ارتقاء حياتها العلمية والدينية، بيد أن علوماً جديدة ظهرت في الغرب، وهي علوم الإنسان والاجتماع والنفس وغير ذلك من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفيها خلل عظيم وقصور شديد وتضارب عجيب! ولا شك أن الغربيين أيضاً استفادوا من علوم المسلمين^(*) الفكرية والعقلية ما دفعهم إلى مناوشة الكنيسة وكهنوتها المستبد، فنقدوا عقائدها وأساطيرها وأفكارها وسلطانها ومميزاتها!

(*) يقول بريغولت في كتابه بناء الإنسانية «ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية»

يبد أن العلماء والمفكرين الغربيين ونتيجة لغضبهم الشديد على سلطان الكنيسة وعلى حال المجتمعات التي تزرع تحت نير العبودية الكنسية والجهل المطبق ، هؤلاء العلماء لم يستطيعوا التفرقة بين الدين الحقيقي وبين تعاليم الكنيسة، بين الحقيقة والخرافة! وأثناء هذا الصراع الشديد تولدت المذاهب القاصرة في نظرتها إلى الإنسان الذي أرادت تحريره، وفي نظرتها إلى المجتمع التي أرادت إسماعه وإخراجه من عبودية الجهل الكنسي الذي كان مسيطرأ على كل أنحاء أوربا، وفي نظرتها إلى الدين الذي أراد البعض تخليصه من رق الكنيسة فقتل دعائمه الأصلية فيما هو يقوم بنزع صورهِ الشائنة التي صنعتها الكنيسة وروج لها الكهنة. وأراد البعض الآخر دفنه جميعاً، أساطير الجهل الذي أدمجت فيه وحقائقه معاً.

فنشأت نتيجة لذلك مذاهب جزئية ضعيفة في تناول ظواهر الحياة وحقائق الدين والتاريخ وهو ما يختلف كلياً عن المناهج التي رأوا المسلمون يدرسونها في حواضرهم والتي تؤمن بالوحي فيما هي تقتل الأسطورة وتؤمن بالنبوة بينما تحطم التخرص والافتراء، وتضع ميزاناً دقيقاً عدلاً شاملاً كلياً في تناول ظواهر الحياة وطبيعة الدين وسنن الكون والحياة والمجتمع .

إن ما يجب أن نعرف به هو أن بعض الفلسفات التي تعرف عليها العرب في انفتاحهم على العالم كادت أن تحبس العقل المتحرر حديثاً في قمقم السفطة، وشل حركته العقلية إلى الأمام! ولقد تأثر بعض العلماء والمفكرين المسلمين بهذه الفلسفات التي كبّلت انطلاقتهم الحضارية القائمة على المنهاج الرباني الأصيل . لكن ذلك لم يكن الأصل أو الوضع السائد، وإنما كان أمراً شاذاً خصوصاً في مراحل علو الإسلام وتمكن أهله من العلوم والمقاصد والقواعد الشاملة والعامّة الهامة، وإن كان في مراحل ضهور الحضارة تمكنت العلل الفكرية والفلسفية من الأمة! أما العلماء الغربيون فقد اتخذوا الفكر الفلسفي بديلاً عن الدين، وكان أمراً

شائعاً أن يقبل الأذكىاء على دراسة الفلسفة ووضع النظريات المختلفة. ولقد قال «لينين» وهو أحد رواد المدرسة الفلسفية الماركسية «فطالما أن الناس لا يعرفون كيف يشرعون في دراسة الحقائق، فإنهم يخترعون عادة نظريات عامة مسبقة، وعادة ما تكون هذه النظريات عقيمة»^(١)!!

إن مما دعا الفلاسفة لمواجهة الكنيسة بعنف كان ظهور الإنتاج العلمي المتنامي المستقل عن الكنيسة والبعيد عن سلطانها والمناوئ بل والمعادي لها في آن واحد! مما أدى إلى غرور كثير من الفلاسفة بعقولهم الفلسفية، وظنهم أن هذه النتائج العلمية لا بد أن تكون على النقيض مما يعرضه الدين! في حين أن الدين نفسه يرفض خرافات الكنيسة والفلسفة معاً!!!

وبذلك بدأ ظهور استقلال الإنسان بعقله المحدود عن كل ما له علاقة بالدين والغيب .. ثم بدأت النظريات تخرج على العالم وأحياناً كثيرة وهي متدثرة بالبحث العلمي التجريبي!!!
دارون وقراءة دقيقة:

فمقابل العقائد المسيحية المنحرفة كتأليه المسيح ووراثه الخطيئة، والصحيحة منها كعقيدة خلق الإنسان ونبوة الأنبياء، مقابل ذلك وقف الفلاسفة يجعلون الكل أساطير. ذلك قبل أن يظهر دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م) بنظريته المتدثرة بالبحث العلمي على العالم والتي تقول بحيوانية الإنسان^(*) - مقابل تأليه الإنسان (أي

(١) Lenin, collected work p. 144 نقلا عن مقالة أحمد القصيري في مجلة الآداب، إبريل ١٩٧٢ باسم «المنهج الجدلي في علم الاجتماع» (العدد الرابع).

(*) يقول جوليان هكلي وهو من رجال الدارونية الحديثة، في كتابه «الإنسان في العالم الحديث» في فصل بعنوان «تفرد الإنسان»، أنه (بظهور نظرية دارون بدأ الخطأ يتراجع عكياً، واعتبر الإنسان حيواناً مرة أخرى، ولكن على ضوء العلم لا على الإحساس الساذج... فالإنسان (أي في رأي دارون) حيوان كغيره».

ويقول العالم الإنجليزي المعروف كرافتون أليوت سميث (١٨٧١-١٩٣٧) أن «الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» نقلا عن دارون ونظرية التطور ص ١٢٩.

stephen. jay gould smith woodwards folly , New Scientist (5 april 1979) p.44

الليح!) والتي تنفي عقيدة خلق الإنسان خلقاً خاصاً بعيداً عن الانحدار من النسل الحيواني الذي أراد دارون أن يغمس الإنسان في وحله!

لقد تأثر «دارون» ولا شك في النشاط البحثي والعلمي بمنهج التجريب الذي تأثر به مَنْ قبله من الغربيين وقالوا بحقائق علمية مهمة من أمثال جاليليو وكوبرنيكوس وغيرهما.

لكن لا شك أن الفلسفة المنحرفة التي بدأ يزداد وقعها على الواقع الغربي لونت اتجاه دارون العلمي بلون الفكر المسبق الذي يتعارض مع الاتجاه العلمي السليم والنظرة الكلية الشاملة لحقائق الإنسان والمجتمع والغيب! فالمؤثرات على دارون كانت ضخمة، وعلى أقل تقدير كانت الفلسفة المعادية للدين قد بدأت بتأثيراتها المختلفة على الاتجاه العام السائد للعلوم المختلفة قبل دارون وأثناء حياته!

فأثناء حياته كان الهيجلين الشبان يقومون بهدم كل أساسات الدين مثل «إشترأوس» (١٨٠٨-١٨٧٤)^(١) و «فيورباخ» (١٨٠٤-١٨٧٢)^(٢) و «برونو باور» (١٨٠٩-١٨٨٢)^(٣) و «ماكس شترنر» (١٨٠٦-١٨٥٦)^(٤) وأستاذهم هيجل (١٧٧٠-١٨٣١)^(٥) توفي ولم يناهز دارون الثانية والعشرين عاماً! أما قبل دارون فظهر كثيرون كان لهم تأثير كبير على الاتجاه العام للعلوم فقبل دارون ظهر «فولتير» وهو ممثل فلسفة التنوير في فرنسا وهو يرفض العناية الإلهية.

(١) ولد اشترأوس قبل دارون سنة وتوفي بعده بثمان سنوات وسيأتي الكلام عنه بعد صفحات وهو فيلسوف ألماني و«كبريجار» (١٨١٣-١٨٥٥).

(٢) فيورباخ ولد قبل دارون بخمس سنوات ومات قبله بعشر سنوات وهو فيلسوف ألماني وسيأتي الكلام عنه.

(٣) باور فيلسوف ألماني وتاريخ ميلاده وموته هو تاريخ ميلاد دارون وتاريخ موته!

(٤) ولد شترنر قبل دارون بثلاث سنوات وتوفي قبله بأكثر من ثلاثة عقود وهو ألماني!

(٥) توفي هيجل ودارون لم يتجاوز الثانية والعشرين عاماً وهو فيلسوف ألماني وسيأتي الكلام عنه وهو وإن لم ينقد الدين على طريقة اليسار اللاحق على فلسفته إلا أنه أضاف على الأساطير أساطير وسيأتي بيان ذلك.

وظهر قبل دارون «نايجون» (١٧٣٨-١٨٨٠) وقال بأن كل الأديان مزيفة ^(١)

وظهر قبل دارون «هولباخ» (١٧٢٣-١٧٨٩) هاجم الدين وقال إنه ينشأ من

جهل البعض وخوف البعض الآخر وخداع فريق ثالث ^(٢)

وظهر قبل دارون «مارشال» (١٧٥٠-١٨٠٣) ممثل الجناح الديمقراطي في المادية

الفلسفية الإلحادية ^(٣) كما قال د. حسن حنفي وقال بأن الله والطبيعة شيء واحد

على ما قال اسبيتوزا من قبل، وبدافع الخوف اخترع الإنسان الله وأعطاه صفات

الطبيعة على ما سيقول فيورباخ فيما بعد في الاغتراب الديني ^(٤)

وظهر قبل دارون «فيكو» (١٦٦٨-١٧٤٤) الذي اعتبر الدين كله أساطير ^(٥)

وظهر قبل دارون «شليرماخر» (١٧٦٨-١٨٣٤) الذي اعتبر الدين والأخلاق

نابعان من التراث ^(٦)

وظهر قبل دارون «دي شامب» (١٧١٦-١٧٧٤) راهب رأى أن الإلحاد ميزة

الخاصة المستنيرة ^(٧)

(١) وعادى الكنيسة الكاثوليكية، وهو صديق ديدرو ومساعد في نشر «دائرة المعارف»

(٢) هولباخ فيلسوف مادي فرنسي.

(٣) انضم مارشال إلى حركة باييف وأصبح شيوخاً طوباوياً وألف في ذلك كتابه «بيان المساوين» ١٧٩٤، انظر مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٣٠.

(٤) مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٣٠.

(٥) فيكو أستاذ القانون والفلسفة وأستاذ البلاغة اللاتينية في جامعة نابولي بإيطاليا وقال بأن المستقبل للإنسانية ذاتها أو الإنسان ذاته بعيداً عن الدين.

(٦) شليرماخر، فيلسوف ألماني، نقد العهد القديم ورواياته، توفي ودارون في الخامسة والعشرين من عمره.

(٧) دي شامب ادعى أن الله فكرة صنعها الإنسان، انظر مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٢٠ ويضع المسيحية في إطار تاريخ الأديان المقارن ويتزع عنها قدسيتها ويؤسس بعد «إسبيتوزا» النقد التاريخي للكتب المقدسة. يقول حين حنفي عنه بأنه ليس ملحداً ولكنه ضد العقائد المسيحية، ضد الكهنوت الكنسي. الله لديه محرك أول، مهتس أبدي ولكن لا تأليه للأشخاص، بوذا أو المسيح، طغيان الملك وامتيازات النبلاء مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٢٧.

وظهر قبل دارون «إسييتوزا» (١٦٣٢-١٦٧٧) فيلسوف عقلي - يهودي قام
بنفس المهمة!

وظهر قبل دارون «ميكافيلي» (١٤٦٩-١٥٢٧) مفكر إيطالي معروفة فلسفته!!
وظهر قبل دارون (ديكارت) فيلسوف الشك الديكارتي، .

هؤلاء ولا شك وغيرهم وغيرهم كثير شكلوا مناخا اخطبوطيا ترك آثاره على
طرق البحث والتحليل المتعلقة بأصل الإنسان وطبيعته ومفهوم التاريخ ومضمونه
وعلم الاجتماع وعلوم النفس والتي انحرفت في كثير من أفكارها عن الحقائق
الأصلية للكون والحياة والإنسان والمجتمع، انحرفت عن حقيقة الحياة وخصائص
الإنسان وقوانين الاجتماع الكلية!

وفي مجال علم الطبيعة ظهر قبل «دارون» «بوفون» (١٧٠٧-١٧٨٨)^(١)

كما ظهرت محاولات العالم الفرنسي «لامارك» في تطوير نظرية في التطور قبل
دارون بنحو خمسين عاماً^(٢) ولاشك أن دارون كان على علم بهذه الأفكار
خصوصاً وأن «جد» دارون، وهو «ارازموس دارون» (١٧٣٨-١٨٠٢) (توفي قبل
ولادة دارون بسبع سنوات) كان له أفكار في مسألة التطور^(٣) ولاشك أن هؤلاء
الثلاثة تأثروا بالفلسفة التي عمت أنحاء أوروبا ونقدت الدنيا مع نقدها للأساطير

(١) بوفون هو أحد كتاب موسوعة المعارف الفرنسية نشر عام ١٧٤٩ تاريخه الطبيعي الشهير، قال بالتطور إلا أنه
جعله إلهياً، إلا أنه نفى أن يكون خلق الإنسان بلا تطور أو ابتاق - إذا صح التعبير - من مخلوقات أخرى.
وقال عن الطبيعة إنها «نظام القوانين التي أقامها الخالق من أجل بقاء الأشياء وتتابع الكائنات، أنها حية، وهي
عمل أبدي» ص ١١٦ تكوين العقل الحديث ج ٢ نقلاً عن الإسلام والاتجاهات المعاصرة ص ٢٥.

(٢) قال «لامارك» بقانون الانتخاب الطبيعي والصراع على البقاء لكنه افترض قوة موجهة هادية مستقرة في
أعماق كل كائن تحكم في تطوره وتسبب ظهور الصفة الجديدة، أو العضو الجديد عند حاجة الكائن
إليه، انظر الإسلام والاتجاهات المعاصرة ص ٢٥.

(٣) كان جد دارون يعتقد أن ظروف البيئة والطبيعة تطور وتغير معالم الأشكال الحيوانية.

المسيحية وعقائدها المختلفة ولاشك أنهم جميعاً استفادوا من مناهج النقد العقلي عند المسلمين أيضاً ولاشك أنهم أطلعوا على ردود المفكرين المسلمين على العقائد والأساطير المسيحية الدخيلة على عقيدة المسيح أو على أقل تقدير اطلع أسانذتهم على ذلك!!

بيد أنهم لم يقفوا حيث يقف الفكر الاسلامي النقدي من العقائد المنحرفة والأساطير الراسخة، بل راحوا يهدمون كل شيء، وينقدون الحق والباطل حتى صار هذا النقد ديدن كثير من الفلاسفة الذين ولاشك قرأ دارون لبعضهم على الأقل قبل وأثناء القيام بالبحث العلمي الذي انتهى إلى القول بحيوانية الإنسان وبأنه بعد تطوره عن الحيوان كان إنساناً بدائياً لا يعرف الكلام ولا يعقل البيان! (٥٠)

حتى قال علماء الاناسة أن البشر في بداية حياتهم على الأرض - وتطورهم من الحيوان! - تواصل بعضهم مع بعض عن طريقة التلويحات والإشارات أي بوسائل غير لفظية!! (٥١).

وحتى لو تجاوزنا ذلك كله وبرأنا دارون من المؤثرات البيئية والظروف الاجتماعية والإفرازات الفكرية النقدية، فإننا لا يمكن أن نتجاوز قوله نفسه عن ظروف تبلور فكرته عن التطور والإنسان!

يقول «في أكتوبر عام ١٨٣٨ تصادف أن قرأت على سبيل التسلية كتاب مالثوس في السكان، وكما كانت ملاحظتي الطويلة المستمرة لعادات الحيوانات

(٥٠) لقد وقع كثير من العلمانيين العرب في شباك هذه النظريات التطورية التي قسمت مراحل وجود الإنسان إلى مراحل ما أنزل الله بها من سلطان، وقد حاول بعض العلماء المسلمين الوصول إلى حل وسط بين نظرية دارون وعقيدة خلق الإنسان فقال بأنه قبل الانسان كان البشر وأنهم كانوا أقل رتبة من الانسان وهكذا.. وهي محاولة تلفيقية تدل على مدى تأثير النظريات الغربية في الفكر الاسلامي الذي يجب تنقيته من هذه الآثار التدميرية.

(٥١) انظر كتاب نصف العقول ص ٣٣ تأليف فيليب تايلور وهو من هؤلاء المنحرفة!

والنباتات قد هيأت ذهني لتقدير أهمية الصراع من أجل الوجود، وهو الصراع الذي يدور في كل مكان، فقد تبادر إلى ذهني على الفور، أن من الممكن في ظل هذه الظروف، أن تحفظ التغيرات المواتية ويقضى على التغيرات غير المواتية، فتكون نتيجة ذلك تكونت نوع جديد. وهنا أصبحت لدي نظرية أستطيع أن أبدا العمل بها^(١)

وواضح من كلماته السابقة أن الفكرة كانت جاهزة ، تهيأت في ذهنه قبل أن يبدأ العمل بها «وهنا أصبحت لدي نظرية أستطيع أن أبدا العمل بها»! فتكوينه للفكرة تم قبل القيام بأي بحث!، أي أن (الفكرة الجاهزة) كانت سابقة على (البحث العلمي)! ، ثم بعد (البحث) لم يتغير شيء!! وهكذا لم يختلف تفكير دارون الذي تأثر بكل الإرث الفلسفي السابق والمعاصر له، بعد البحث عن ما قبل البحث والقول بالإنسان/ الحيوان والمقابل للإله/ المسيح كان نتاجاً فلسفياً وردة فعل أكثر منه نتاجاً معملياً أو خلاصة علم!

لقد استفاد دارون ولاشك من منهج الفحص التجريبي الذي استفاد منه الغرب عموماً وهو المنهج العلمي العقلي الذي أسسه المسلمون وأبدعه الربانيون! بيد أن دارون اتخذ كغيره من الفلاسفة الفكر الأوربي القديم المتمثل في الفكر اليوناني والروماني قاعدة بديلة عن الإسلام الذي كان قد أمدهم بوسائل علمية وعقلية عظيمة!

ولو نظرت إلى بعض أقوال دارون لوجدتها أولاً سخيفة تخالف العقل والمنطق، وتناقض المنهج التجريبي أو الاستدلالي الواضح وتقرب في أسطوريتها من الفكر اليوناني العقلي الوثني.

(١) اقتبس هذا النص «دامير» نقلاً عن الفلفة أنواعها ومشتملاتها لهترميد ص ١٠٩ ترجمة الدكتور

العلماني فؤاد زكريا!

ففي رسالته الجوابية إلى طالب ألماني سنة ١٨٧٩ م ، يقول في تناقض منطقي عجيب «نستطيع القول إن مفصل الباب مصنوع من قبل الإنسان، ولكننا لا نستطيع الإدعاء بأن المفصل المدهش الموجود في صدفة المحار هو من صنع كائن عاقل»^(١) .

فكان دارون مجرد ظل للفكر الفلسفي السائد في عصره والسابق عليه وهو فكر مؤمن بالشيء إذا كان حقيراً ويرفضه إذا كان عظيماً دقيقاً مدهشاً وما أحسن قول الشيخ الكريم محمد الغزالي « إن الأعمى لا يبصر مادام مصمماً على إغلاق أجفانه »^(٢) .

وينعكس الظل نفسه على أحد المدافعين عن دارون حينما تنظر إليه يقول: «إن قيل لك وأنت تتفحص طائرة حديثة مجهزة بأحدث الآلات الالكترونية ، إن هذه الطائرة تكونت من خروج الألمنيوم والحديد والبنزين من تحت الأرض من نفسها، واجتماعها مع بعضها البعض بنفسها، لما صدقت ذلك، بينما ظهرت الأحياء التي تعتبر أجسادها مكائن معقدة أكثر من تلك الطائرة، نتيجة مثل تلك العملية والفرق الوحيد هنا أن المواد المستعملة هي الكربون والتروجين والماء»^(٣) .

«وماذا تنتظر ممن يجحدون الآلهة يحسبون الأفلاك تدور وحدها في السماء أو أن الدماء تنطلق وحدها في العروق؟»^(٤)

هذا هو المنهج العلمي القاصر والذي يناقض المبادئ العقلية والقواعد

(١) Francis Darwin (Ed.), the Autobiography of Charles

Darwin and selected letters, p. 63

نقلا عن كتاب دارون ... أو نظرية دارون ص ٢٠ . ٣٠

(٢) نحو تفسير موضوعي ص ٩٦

(٣) Nigel Caldel, The Life Game p. 172-173 نقلا عن المرجع السابق ص ١١٨ ، ١٢٢ .

(٤) ج ٣ ص ٢٢٢ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم .

الديهي، أما ما فعله العلماء الذي صدقوا واتبعوه فهو أنهم سارعوا إلى الترحيب بنظرته والدفاع عنها. يقول أحد العلماء الذين يؤيدونه في مجمل نظريته وهو هنري إدغهام «فور ظهور هذا الكتاب»^(*) اقتنع عدد كبير من العلماء بأدلة دارون، ولم تمض سنوات قلائل إلا وكان فرض التطور قد حظى بقبول أغلبية الأذهان العلمية»^(١).

وهلّل الفلاسفة لنتائج النظرية ودافع عنها هربرت سبنسر وتوماس هكسلي. يقول هنري إدغهام «وكان الأخير - يقصد هكسلي - بوجه خاص مجادلاً رائعاً أسمى نفسه «كلب حراسة دارون»^(١) فقد تحمل بشجاعة رائعة ومقدرة ووضوح في العرض، العبء الأكبر للهجوم الموجه من جميع الجهات على كتاب دارون وقاد مراراً وتكراراً هجمات مضادة ناجحة على خصومة المتهورين»^(٢).

وهكذا كما يقول الفيلسوف هيوم - وله انحرافات الفلسفية الخطيرة أيضاً - «يسارع الفلاسفة إلى الترحيب بأي شيء تبدو عليه سيما الغرابة، ويخالف أول أفكار البشر وأكثرها تلقائية، ويعدونه علامة من علامات سمو علمهم الذي كشف آراء بعدت إلى هذا الحد عن وجهة النظر الشائعة، ومن جهة أخرى، فإن أي شيء يُقترح علينا ويُسبب دهشة وإعجاباً، يرضى الذهن إلى حد يجعله يستسلم لهذه الانفعالات السارة حتى لا يعجز لديه مجال للاقتناع بأن لذته قد لا يكون لها أي أساس. ومن هذه الاستعدادات لدى الفلاسفة ولدى تلاميذهم ينشأ ذلك التفاهم المتبادل بين الطرفين: إذ يأتي الأولون بمجموعة ضخمة من الآراء الغريبة التي لا يقدم لها تعليل، ويصدقهم الآخرون على التو»^(٣).

(*) يقصد كتاب أصل الأنواع لدارون.

(١) المرجع السابق ص ١٠٩.

(٤) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص ١٠٩.

(٢) (Hume: A Treatise of Human Nature; Book I Part II section I.) نقلاً عن نظرية

المعرفة لغزاد زكريا ص ٧.

ومع أن نظرية دارون مليئة بالثغرات الخطيرة إلا أنهم لظروف الصراع العنيف مع الكنيسة والإيمان بضرورة القضاء على هذا العدو، فقد آمنوا بها على التو!، وتبعهم بعد ذلك بفترة كثير من العلمانيين العرب.

يقول هتريميد «يعترف القائل بنظرية التطور بوجود ثغرات حقيقية بالفعل، ولكنه يشير إلى أن استمرار التقدم العلمي يؤدي إلى سد هذه الثغرات بالتدرج» - قلت: إنه إيمان أعمى إذن! - وعلى أية حال (!) ، فمن المؤكد أنها أقل إتساعاً مما كانت من قبل وهو أيضاً يعترف بالجهل فيما يتعلق بأصل الحياة. ولكنه يذهب إلى أن الاعتراف بالنزبه بالجهل أفضل إلى حد لامتناه من التعليل الخيالي الساذج (!) - ولا نقول الخرافي - الذي يفترض كثير من القائلين بنظرية الخلق لأصول الأشياء»^(١)

ويحاول إسماعيل مظهر - وهو أحد المؤمنين بنظرية دارون - أن يبرر افتقاد نظرية دارون للأدلة ذلك لأن آثار تلك العصور القديمة ذهبت مع الريح! يقول «وخلق بنا ألا نغفل عن أن الاضطرابات الأرضية والزلازل وطغيان الماء والأعاصير الطبيعية التي كانت تتاب الأرض حيناً بعد حين وتحول الأرض من يابس إلى بحر، ومن بحر إلى يابس، كانت من أبلغ تلك المؤثرات التي ذهبت ببقايا تلك العصور، فالصور التي غمرها البحر وقذف بها في طياته لا يمكن معرفتها...»^(٢)

وبدل أن يأتي هو بالأدلة التي تفتقدها نظرية سيده دارون ذهب يقول لنا إنه ليس في باطن الصخور أي صور محفوظة تثبت عقيدة خلق الإنسان بلا تطور!^(٣)

(١) الفلفة أنواعها ومشكلاتها ص ١١٧.

(٢) ملقى السيل «إسماعيل مظهر ص ٢٨١ ويقول في موضع آخر ص ٢٥٧ «لقد أثبت دارون بالدليل والملاحظة أن الحلقات الوسطى كانت موجودة خلال زمن ما من الأزمان، وأن كيف أن بقاءها في الطبيعة متعذر (!) وأن العثور عليها أشد تعذراً!! ولقد تراجع إسماعيل مظهر في نهاية حياته عن هذه النظرية!

(٣) انظر المرجع السابق.

وهكذا فالفكرة مسبقة، والفلسفة مبينة، والنظرية قديمة، والأدلة مفتقرة، والبراهين متعذرة، ومع ذلك صارت قاعدة لنظريات في الاجتماع والسياسة والفلسفة. ووجدت لها استخدامات ملحة في ظروف الصراع المشهورة، فظهرت داخل علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والنفس، الماركسية الداروينية وعلم النفس الدارويني وعلم الاجتماع الدارويني والاشتراكية الداروينية وهكذا... .

كما ظهرت نظريات عنصرية اعتمدت على نظرية التطور لدارون، وكذلك استخدمها أنصار المعنى المطلق للحرية.

يقول د. فؤاد زكريا - وهو علماني يرفض الوحي ويؤمن ببعض النظريات الغربية - إن الفيلسوف «روسو» بنى على نظرية التطور فكرة التحرر من الالتزامات ويقول أيضا «وجد أنصار المعنى المطلق للحرية في نظرية التطور - التي جاءت في وقتها المناسب - دعامة لأراءهم، بل إنهم حوروها وفسروها على نحو يلائم دعوتهم أشد الملائمة»^(١)

وقد ظهر نتاجاً لها أيضاً الفيلسوف «فريدرش هايك» وهو الذي دافع عن مبدأ «دع الأمور تسير في مجراها Laissez Faire في كتابه «الطريق إلى العبور».

كما يوضح لنا د. حسن حنفي - وهو مثل د. فؤاد زكريا: - ماذا فعلته هذه النظرية وأدت إليه من نتائج عنصرية خطيرة، فقد حاول جوبينور النبيل الفرنسي أن ينسب كل فضل في تطور الحضارة إلى الجنس الآري كذلك فعل (هوستون تشمبر لين) عند الألمان، وكبلبنج عند الإنجليز، يقول حنفي: «وقد انتهت نظرية التطور العضوية إلى بعض النتائج في النظرة للإنسان والمجتمع كما بدا ذلك في النظرية العضوية عند جوبينو التي تقوم على تفوق الجنس الشمالي على الأجناس الجنوبية والشرقية. فالعنصر الأبيض هو الذي يحتكر الجمال والذكاء والقوة،

(١) الإنسان والحضارة لفؤاد زكريا ص ١١٤

وبإتصاله بباقي الشعوب انتقلت إليها صفة واحدة من الصفات الثلاثة . . وقد كانت هذه النظرية العنصرية أحد مكونات النظرية الاستعمارية للاستعمار الأوروبي، سيطرة الجنس الأبيض على الأجناس السوداء والصفراء والسمراء في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية^(١)

وهكذا فإن الأمر لم يقف عند حدود تصورات «دارون» لأصل الإنسان ولصورة مجتمعه الأول - وهي صور كاذبة - بل ظهرت نظريات وفلسفات وتحليلات تأخذ من أفكار دارون لتقيم بناءاتها المدمرة للإنسان والمحطمة لقيمه ودينه والمحرفة لمفاهيم عمرانه البشري وعلاقته بذاته وبالكون من حوله، حتى إن بعض النظريات كما قلنا أقامت بناءها العلمي على نظرية دارون ثم تصارعت وتناطحت وهشمت بعضها بعضاً!!! - أخذت منها وردت ولم تنتهي إلى نظرة شاملة عن الإنسان وعن غاية وجوده وعن معرفته بنفسه، عبر عن ذلك الفيلسوف «نيتشه»^(*) الذي عاصر فرويد «١٨٤٤ - ١٩٠٠» الذي كان قد وضع مقولته الخطرة «إن الله قد مات» قال «إن كلاً منا - بالنسبة لنفسه - أبعد ما يكون عن نفسه»^(**) وهل يكون الإنسان بدون الله شيئاً؟ إن هذه الفلسفات التي أثرت على فرويد وسعت الهوة بين الإنسان وبين ذاته حتى فقدتها في الاضطراب الذي عم الفكر الفلسفي الغربي وغطى مفاهيمه كلها.

(١) مقدمه في علم الاستغراب ص ٢٨٢ . وكما فعل الفرنسي «جوينو» فعل «هوستون تشمبرلين» عند الألمان و«كلينج» عند الإنجليز ، غير أن تأثيرها الأكبر كما هو معروف ، قد وقع على الألمان ، فكان أبرز مظاهر الانحراف في فهم القومية الإنسان والحضارة لغواد ركريا ص ١٠٦ ، كما تمثل ذلك في النازية الهتلرية .
(*) نيتشه هو أستاذ فقه اللغات القديمة، اليونانية واللاتينية وآدابها في جامعة بازل، في كتابه العلم المرح قال نيتشه: «إن المسيحية أذلت الإنسان بعد أن أقامت عقائدها على تصورات منافقة حول العالم» .
(**) يقول فرويد عن «نيتشه» : - (نيتشه ذلك الفيلسوف الذي طالما تنفق تخميناته وأحداثه اتفاقاً عجبياً مع كشوف التحليل النفسي الشاقة) ص ٨٩ من حياتي والتحليل النفسي .

(٢) F.Nietzsche : Lagenealogi la marale, Marcure de France, PARIS 1948

والنص موجود في مقدمة ثلاث مقالات في تطوير الجنسية لفرويد ص ١٢ .

لقد عاصر «سيجموند فرويد» (١٨٥٦-١٩٣٩) دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م) وأعجب بنظرته إلى الإنسان!، «***» واستفاد من تصوره الشائه عن أصله! كما استفاد من الإرث الفلسفي السابق عليه والمعاصر له «*» ولا أشك أنه استفاد من هيجلين الشبان خصوصاً «فيورباخ» «^(١)» واشتراوس بل واستفاد من فلسفة نيتشه «**» أيضاً لقد قال فرويد متغطرساً عن نظريته: إن جل ما وجه إلى نظرية التحليل النفسي من اعتراضات «مرجعه إلى أن موضوع النظرية يجرح مشاعر إنسانية قوية. وقد لاقت نظرية دارون عين المصير، لأنها قوضت الحاجز الذي وضع بفطرسة بين البشر والحيوان (!) .. إن النظرة التحليلية النفسية ... كانت ضربة قاسية للحب الإنساني للذات» «^(٢)»

(***) يقول فرويد «غير أن نظريات دارون التي شاع بها في ذلك الحين اجتذبتني إليها اجتذاباً قوياً لما كانت تبشر به من تقدم فائق في فهم الكون» من كتابه حياتي والتحليل النفسي ص ١٣-٢٠ وفي ص ١٠٢ منه قال بأنه خطر له من عناصر فكر دارون عن الأب القبيلة الطاغية باقي نظريته في مثل الأب وظهور الديانة والقيود الأخلاقية.

(*) تأثر فرويد أيضاً بكتاب «و. روبرنسون سميت» «ديانة السامس» كما كشف عن ذلك في كتابه حياتي والتحليل النفسي ص ١٠٢ .

(١) انظر «النبي موسى ورسالة التوحيد» لفرويد ص ١٤٢ وقارنه بما قدم من كلام فيورباخ .

(**) إن تأثير نيتشه على علم مؤسسي علم النفس التحليلي ورئيسهم فرويد كبير جداً، يظهر في أعمال «بونج» الذي كتب قبل وفاته بأشهر قليلة (توفي بعد فرويد بعقود سنة ١٩٦١) : «إن تقديم تقرير مفصل عن تأثير أفكار نيتشه في تطوري العقلي لمهمة طموح تتخطى حدود قدرتي ... لم استطع أن أتجنب الأثر الذي أحدثه إلهامه الأصلي في نفسي وشدني إليه بقوة ... وعلى الجملة كان نيتشه بالنسبة إليّ هو الإنسان الوحيد الذي قدم لي في ذلك العصر إجابات كافية عن بعض الأسئلة والمشكلات الملحة التي كنت أشعر بها أكثر مما أفكر فيها» انظر مقالة الدكتور غاتم هنا استاذ الفلسفة بجامعة الكويت ص ٧-١٧ في مجلة عالم الفكر العدد ٤ المجلد ٣٠ أبريل - يونيو ٢٠٠٢ .

(٢) انظر النص في مقدمة الدكتور سامي محمود على لكتاب فرويد « ثلاث مقالات في نظرية الجنسية ص ١٢

إن غرض «فرويد» الحقيقي هو تمرغ الإنسان في «الوحل» إنه يريد أن يردم الهوة بين الإنسان والحيوان كما فعل دارون، يقول فرويد «لكن الهوة التي خلقها الإنسان فيما بعد بين نفسه وبين الحيوانات لم توجد بالنسبة للإنسان البدائي»^(١) «***» فنظريته - بحسب كلامه هو - تقوم على «تقليل اتساع هوة الكبرياء (!) التي قامت في الأزمات السابقة بين الإنسان والحيوان (!) فإذا كانت ما يسمى بغرائز الحيوانات - التي تتيح لها منذ البدايات الأولى أن تسلك في ظروفها المعيشية الجديدة (!) كما لو كانت غرائز قديمة قد ثبتت منذ أمد طويل - إذا كانت هذه الحياة الغريزية للحيوانات تسهم إطلاقاً بأي تفسير فلا يمكن أن يكون هذا التفسير سوى: أنها تحمل في وجودها الجديد تجربة النوع الذي تنتمي إليه، أي أنها استبقت في عقولها ذكريات لما عاناه أسلافها (!) ولا يمكن أن تكون الأمور في الحيوان الإنساني مختلفة في جوهرها عن ذلك، فميراثه القديم، مع أنه مختلف في المدى والصفات، يشبه غرائز الحيوانات»^(٢) والغرائز الحيوانية - بحسب فرويد - هي القوانين الأقدم لنا والتي يجب أن تحتل مكانها التي كانت تحتلها في الأزمنة الأولى قبل ظهور التحريمات!^(٣) وخلاصة أفكاره عن الإنسان والدين والحضارة والمجتمع البشري هي أن الإنسان أصله حيواني وغريزته الجنسية هي مركزه ومحور طاقته، وبتنازل الإنسان عن ذاته للدين والحضارة تم فهره وتم منع غرائزه الطبيعية من الإنطلاق الطبيعي الذي عاشه أجداده الحيوانات! ذلك أن

(١) «النبى موسى» لفرويد ص ١٠٤ .

(٢) يزعم فرويد وغيره من الباحثين الغربيين وعبيدهم من العرب أن النساء كنّ مشاعاً للرجال على غرار

الحيوانات !!

(٣) المرجع السابق ص ١٣١ .

(١) المرجع السابق ص ١٢٢ .

صور التحريمات وألوان التشريعات الأخلاقية^(*) التي يفرضها الدين^(**) أو الحضارة على الإنسان إن هي إلا صور للقهر تمنع الإنسان من الإستجابة لغرائزه الطبيعية لاسيما الجنسية!

وعملية الكبت التي يقوم بها الإنسان مراعاة للآخرين، من أجل قيم ومبادئ صنعها الإنسان نفسه - بزعم فرويد طبعاً! - مغترباً عن نفسه الحقيقية في صورة دين أو مبادئ حضارية، ما هي إلا (نَبْذ غريزي) (!) وتقييد غير عقلي يجب عليه التغلب عليه وإرجاع نفسه إلى حالته الأولى يوم كانت بلا قيود أخلاقية أو دينية أو حضارية!

فالإنسان وغرائزه أولاً، ولا للتنازل أو التقابل مع الآخرين من أجل بناء الحضارة أو لإعتبارات دينية، فإن ذلك مدمر للإنسان ولخصائصه الحيوانية!! ولصفاته البيولوجية!، إنها فلسفة قريية من فلسفات تلاميذ هيغل اليساريين! إن المطلوب عند فرويد إعطاء الجنس أبعاده الكاملة في إطار من انعدام الكبت الديني أو الحضاري ويجب اعتبار «الزنا» شيئاً طبيعياً وليس شيئاً ممقوتاً يعاقب الإنسان عليه!

والحضارة عند فرويد «حرب ضد الجنس» فالإنسان يكبت طبيعته للتسامي الحضاري ولصالح الآخرين ولصالح التراكمات من التحريمات والنواهي الاجتماعية والتحذيرات الدينية، وكلها - عنده - أمور تعسفية صنعها الإنسان نفسه نتيجة

(*) يقول عن الأخلاق في كتاب الذات والذات السفلى أنها كوابت تكبت المنطلق الطبيعي للطاقة الجنسية، ويقول إنها تتم بطابع القوة حتى في صورتها العارية ولا عجب فالسيد «بونج» الذي ذكر فرويد في كتاب «حياتي والتحليل النفسي» عنه أنه أصبح معارضاً له قال عنه: «لقد قال لي فرويد ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية .. أن نجعل من الجنس عقيدة» انظر «مذاهب فلاة» ص ١١٢ .

(**) يدعى فرويد أن التشريعات الأخلاقية الدينية لا مبرر لها وأنها لا تتبع من «دافع عقلي» يقول: إذا ما الذي يجعل ارتكاب الفحشاء بوجه خاص مع الابنة والأخت جريمة نكراء أكثر جرماً من أي علاقات جنسية أخرى؟! النبي موسى ص ١٤٠ إن التفسير الوحيد لذلك عنده هو إرادة الأب الأول المتعت النبي كان يبيع كل شيء لنفسه ويمنعه حتى عن أبنائه!! انظر ص ١٤١ المرجع السابق، وص ١٠٣-١٠٥ أيضاً.

ولذلك فالأنا الأعلى في الإنسان - بحسب فرويد - يبدو عقليا ويخدعنا بنظامه الأخلاقي^(*) في حين أنه نتاج آثار عتيقة في التاريخ، وهو في أحسن الأحوال محاولات يدعم بها الإنسان أوهامه ويكرس بها تخلفه^(١)

بهذه الطريقة من التفكير التي غمس فيها فرويد تحليلاته النفسية، والتي هي نتاج تحليلي لمجموعة من المرضى النفسانيين، عمم فرويد نتائجها على البشرية كلها وذلك بعد أن لطخها بأفكاره المختلة عن الدين والنبوة والإنسان والتاريخ! فخرجت نظريته خليط بين فكر فلسفي مريض، وتحليلات نفسية تقبل الحوار والمناقشة!^(**) وفيها الحق والباطل!

عند ظهور نظريته هلّل لها فلاسفة كثيرون، وعلماء طبيعون فقد كانت تصب في الحملة العنيفة على تعاليم الكنيسة والدين عموماً وإرساء مفاهيم الشك والتحطيم للأخلاق والأصول الإنسانية والقيم الروحية يقول هترميد «هناك علماء نفس كثيرون ومدارس كثيرة في علم النفس أسهموا في بث روح الشك الفعلي في إمكان قيام أي مذهب أخلاقي (!) ولكن من المؤكد أن فرويد وحركة التحليل»^(*) يقول فرويد «الأنا العليا وريث عقدة أوديب ويمثل معايير الإنسان الأخلاقية» ص ٨٩ من كتابه حياتي والتحليل النفسي .

(١) «ومن هنا فإن أحكام الناس التقويمية هي على أحسن الفروض مجرد «محاولات يدعم بها الناس أوهامهم بالحجج والمناقشات» حسب تعبير فرويد نفسه» من كتاب المدينة ومتاعبها نقلاً عن الفلسفة وأنواعها ترجمة د. فؤاد زكريا ص ٣٥١ وانظر أيضاً كتاب «هربرت ماركوني» للدكتور فؤاد زكريا تحت عنوان «من ماركس إلى فرويد» ص ٥٨-٨٠ .

(**) «كموضوع الجنس المبكر عند الأطفال!، وموضوع الأحلام التي يربطها أيضاً بمحور نظريته الفاسدة عن الكبّ الأول للبشرية!، وبدل أن يقول إن للحلم أيضاً تنبؤات مستقبلية كما يظهرها الواقع فإنه يقول بأن الحلم هو تحقيق مقنع لرغبة مكبوتة! انظر كتابه حياتي والتحليل النفسي ص ٦٧-٦٩ ، وكذلك «عقدة أوديب» الذي يزعم أنها نواة العصاب، فهي بزعمه قمة الحياة الجنسية الطفلية ونقطة الاتصال بجميع تصوراتها التالية» المرجع نفسه ص ٨٥ وكذلك موقفه من التأليف الخيالي والنكته ص ٩٨ .

النفس التي كان هو مؤسسها كان لهما الدور الأكبر في هذا الصدد» (١) (٢٢)

لقد كان فرويد يكرس فلسفة تدمير الدين .. وتدمير الإنسان .. بتضخيم
موجة الفردية وإشباع غرائزها بعيداً عن المجتمع والدين والدولة. فأصبح هو
ودارون مرجعاً لعلوم نفسية واجتماعية وفلسفية واقتصادية وسياسية سببت أزمات
اجتماعية وعالمية لاحقة وخطيرة حتى سمعنا اليوم فلسفات «موت الإنسان»!

وأصبحت الوثيرة الإنسانية وثيرة حيوانية وإيقاعها إيقاع مادي فاقد للروح
الإنسانية الاصيله وفاقد لشروط الحياة الكريمة على الأرض.

وصارت الأمور على الوثيرة العرجاء .. ولم يبق للإنسان مقدس في حياته
وماذا يبقى بعد أن رفض الإنسان العبودية والخضوع للذي خلقه ولمهاجه الكريم؟!
بل ماذا يبقى للإنسان بعد أن حيّون نفسه ولوئها بلوثة الحيوان الهائج!، نعم بعد
دارون تغيرت نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى العالم من حوله حتى قال جوليان
هكسلي - وهو من علماء الداروينية الحديثة - «وبعد نظرية دارون لم يعد
الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً» (٢).

ويقول إنجلز، وهو أحد أقطاب الماركسية اللعينة «ليس هناك شيء نهائي ولا
مطلق ولا مقدس» (٣) وكما تم التلاعب بحقيقة الدين والغيب كذلك تم التلاعب
بحقيقة الإنسان.

(١) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص ٣٤٩ .

(٢٢) يقول فرويد من كتابة «تأويل الأحلام» لم يعد التحليل النفسي موضوعاً طيباً خالصاً فبين ظهوره في
ألمانيا وظهوره في فرنسا يقع تاريخ تطبيقاته العديدة على فروع الأدب والجماليات أو على تاريخ الأديان
وما قبل التاريخ، وعلى الأساطير والأدب الشعبي وعلى التربية، وهكذا ولا صلة لأي من هذه الأمور
بالطب، إنما تتصل به عن طريق التحليل النفسي وحده « من حياتي والتحليل النفسي ص ٩٥ .

(٣) من كتابه الإنسان في العلم الحديث انظر كتاب التطور والثبات لمحمد قطب ص ٣٨ .

(٢) Engels, Anti-Dühring Moscow . 1955, p.32

نقلًا عن مقالة بعنوان «المنهج الجدلي في علم الاجتماع» لأحمد القصير مجلة الآداب إبريل ١٩٧٢ ص ٥٤

إن الماركسية قامت على جوهر فلسفة دارون مع تحديد اتجاهها جديداً لها «فنظرية التطور - أي الداروينية - تعتبر من الأسس المهمة التي اعتمد عليها ماركس في نظريته بخاصة في القول بحتمية التطور والانتقال من طور إلى طور نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية والقول بأن الجديد أفضل من القديم وسوف يحل محله .. ومن الطريف أن ماركس قد صدرَ الترجمة الإنجليزية لكتابه (رأس المال) بعبارة إهداء إلى دارون مما يكشف عن مدى إعجابه وتقديره له وقد كتب ماركس بخط يده على النسخة التي أرسلها إليه «من المعجب المخلص» (!) ولقد ظل ماركس متحمساً لكتاب أصل الأنواع ولنظرية التطور لدرجة أنه كتب إلى «إنجلز» يقول «على الرغم من أن هذا الكتاب يعالج نظرية التطور بأسلوب إنجليزي فج فإنه يحتوى على أسس التاريخ الطبيعي لنظريتنا»^(١) وكما ترى فإن ظروف الصراع مع الكنيسة مازالت تلقى بظلالها على الأفكار الجديدة التي يلد بعضها بعضاً ويقدم بعضها لبعض طقوس العبادة الوثنية التي تُظهر كيف يتخذ بعضهم بعضاً أولياء من دون الله!

قبل أن يُطل ماركس بأفكاره على العالم ، كان أستاذه «هيجل» قد أرسى دعائم مذهبه الذي سيقوم البعض بتقليده والبعض الآخر بنقده وإيقافه على رجل عرجاء بعد أن كان مقلوباً على رأسه!
هيجل مقلوباً على رأسه !

لقد كان «هيجل» ، أكبر مفكر ألماني على الإطلاق^(*) ، ولقد تبين لي من

(١) من مقالة «صراع الحضارات صناعة يهودية» في أسبوعيات جريدة الأهرام الجمعة ٥ أبريل ٢٠٠٢ عدد ٤٢١٢٣ ، للأستاذ الدكتور كمال شرفاوى غزالى أستاذ ورئيس قسم العلوم البيولوجية والجيولوجية جامعة الإسكندرية / مصر .

(*) هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) ولد في شتوتنجارت وبدأ مهته كأستاذ في جامعة فيينا، في عام ١٨٠١ حتى انتصار نابليون فيها في ١٨٠٦ ثم أصبح أستاذاً في هيدلبرج ثم في برلين ١٨١٨ - ١٨٣١ . انظر مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٤٥ .

فحص أزمة الصراع الفكري بينه وبين تلاميذه أنه كان سلبياً تجاه «الإنسان» إيجابياً تجاه «الملكية الحاكمة» التي وضعها مكان «الالوهية» ومنحها خصائصها وحصنها ضد النقد!! والعجيب أن هيجل هو من إتهم الاسلام بالسلبية فلنرى من السلمي حقاً؟! لقد أراد هيجل أن يعكس الاسطورة المسيحية عن (الإله/الإنسان) أو (الله/المسيح) وهي عقيدة تُشخص الإله في المسيح، أراد هيجل أن يعكسها على الدولة البروسية وملكها فردريك الثالث!

لقد جعل هيجل من «الملك فردريك الثالث» ألوهية متحققه على الأرض، وبحسب تعبير الدكتور - الماركسية - فريال حسن خليفة - فقد جعل هيجل من دولة الملكية البروسية «الفكرة الإلهية كما توجد على الأرض»^(١) وبحسب ماركس فإن «ما يشغل هيجل هو تصويره الملك الإنسان الإله، وهو عند هيجل التجسد الحقيقي للفكرة المطلقة»^(٢)

فعند هيجل أصبح «شخص الملك وجود متميز عن الآخرين من حيث إنه وجود الفكرة المطلقة وقد أصبحت إنساناً»^(٣) وقد علقت الدكتور فريال خليفة على فكر هيجل في هذه الناحية بقولها «إن ما سعى إليه هيجل، هو الملك الإله»^(٤)

ففي الدولة البروسية التي فلسف هيجل إعتلائها المطلق على الإنسان والمجتمع كانت السلطة حقاً للملك بالولادة!، وبحسب قول هيجل نفسه «هذا الفرد قُدِّر له أن يرقى إلى عزة الملكية على نحو طبيعي مباشر، أعني من خلال ميلاده الطبيعي»^(٥).

(١) نقد فلسفة هيجل ص ٢٤٨ . (٢) نقلاً عن المرجع السابق ص ٢٥٢ Karl Marx, chpr,p.24

(٣) انظر هيجل في نقد فلسفة هيجل ص ٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٥) . Hegel,pr,s280, p.184 نقلاً عن فلسفة هيجل ص ٢٧٣ .

وهذه الفكرة استبدادية تنزع حقوق الأفراد وإنسانيتهم وهو ما حدث في الحضارات الوثنية التي قدست الإمبراطور والفرعون والملك والكاهن!

لقد كانت هذه الفلسفة الهيجلية رد فعل على الثورة الفرنسية التي دعمها هيجل نفسه في بداية عهدهما ثم انقض عليها بعد ذلك لأن العوام استولوا على السلطة!!! فما كان منه إلا أن عزل العوام والشعوب عن تقرير مصائرهم بأنفسهم وأعطى كل مقدرات الأمة للملك الذي أعطاه صفات الإله، وإنعكاساً لفكرة الإله/المسيح الأسطورية التي رفضها الإسلام رفضاً حاسماً لأنها لا واقع لها كما أنها باطل لا أساس له والقائم على الباطل باطل!

لكن هيجل الذي أثبت عدم عقلانية العقلي بإطلاق كما كتب ماركس^(١) لم يُرد أن يتجاوز التراث المسيحي الأسطوري ولا التراث اليوناني والاعريقي الوثني في حين ذهب يتهم الإسلام بأنه سلبي تجاه الواقع!!

فلم يصبر هيجل على حصول الأفراد على بعض حقوقهم بأنفسهم في الدولة الفرنسية حتى ذهب إلى اعتبار الشكل السياسي للملكية الوراثية هي الحق اللامتناهي واعتبر الملك إلهاً يمشي على الأرض، لا ينازع في رأى، اعتبره فوق كل مسئولية أو مساءلة كما قال هو نفسه «أما جلالة الملك بوصفه الذاتية النهائية للقرار، هو فوق كل مسئولية أو مساءلة Answerability بالنسبة لأفعال أو قراءات الحكومة»^(٢)

وكما اعتبر ماركس وانجلز بعد ذلك فلسفتهم وتحقيقها المطلق على الأرض قمة التطور وكذلك كما اعتبر صموئيل هنتجتون بأن الليبرالية الحديثة بمبادئها ووكلياتها قمة التطور ونهاية التاريخ، فقد جعل هيجل أيضاً من فلسفته «قمة التطور

(١) انظر نص ماركس في نقد فلسفة هيجل ص ٢٧٣ فقد دمر السيادة بالميلاد كما قال ماركس أيضاً .

(٢) نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ٢٥١ . Hegel,pr,280, p.184

وهابته^(١) وكذلك فعل ماركس !!! ولقد نقضت الفلسفات اللاحقة المسلمات
خلفة للفلسفات السابقة التي ادعت الحقيقة المطلقة وقمة التطور !!، فالين
إطلاقية المزعومة؟!

لقد اعتلى هيجل كرسي التدريس في جامعة برلين في النظام النقيض لدولة
بليون، دولة الشعب، مكرساً ومفلساً لوجود دولة الملكية المطلقة فانتقل من
وصفه لنابليون بأنه (روح العالم الذي جاء على صهوة جواد) إلى نقيضه الروح
الطلق (الملك/ الإله) الذي ولد ملكاً بالوراثة، بالميلاد الطبيعي! انتقل من الشعب
إلى الدولة، ومن حق الفرد إلى حقوق الملك البروسي! لقد أعلن هيجل فشل ثورة
«روح العالم» لينصر «الفكرة المطلقة المشخصة على الأرض»!، وهي تناقضات
عجيبة تدل على قصر نظره وعطب فكره، وتبدل مزاجه وظروف فلسفاته المتناقضة
الخاضعة للتقلبات الاجتماعية والفكرية المتسارعة! يقول (جون لويس) عن هذه
الظروف «عندما أصبح هيجل أستاذاً للفلسفة في برلين، قوبلت نظرياته بالترحيب
من قبل الدولة البروسية، وجهاز الدولة (وكان الترحيب أجبره على القول: إن
التاريخ هو قصة حياة الله كما يكتبها هو، وكان الله في بروسيا في القرن التاسع
عشر قد حقق نفسه لحما ودما. وكان هذا تنويجا مزريراً لبنيان الميتافيزيقا الهيجلية
الشامخ، وربما أمكن القول إن حدود عصره، والضغط الناتج عن تأييد الطبقة
الحاكمة حمل هيجل على التويج السابق لأوانه للفكرة المطلقة. المهم أن نعترف أن
هيجل قدم أسوأ نماذج فلسفته كما صاغها في سنواته الأخيرة»^(٢).

لقد قال ماركس بأن نقائص العصر تجمعت في فلسفة هيجل ويقول في رأس

(١) انظر نقد فلسفة هيجل ص ١٩٣، مع أنه برر الدولة الاستعمارية والاستبداد الوراثي كما قال بوراتكويث.

انظر مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٦٦.

(٢) جون لويس: مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨

ص ١٤٣، ١٤٤ نقلاً عن فلسفة هيجل ص ٢٥٢.

المال إننا أمسكنا بهيجل الذي كان يمشي على رأسه ثم عدلناه .. أوقفناه على قدميه!!! وقام تلاميذه ينقدون فكره الذي حول الفكرة المسيحية البولسية -نسبة إلى بولس- (المسيح/ الإله) إلى (الملك/ الإله) أو السيادة المتشخصة في المملكة الوراثية لدولة بروسيا. قاموا ينقدونه بفلسفات قاصرة جزئية شائعه زادت الطين بله وأدت إلى ظهور المذاهب المادية المشهورة كالماركسية والوجودية وغيرهما. وماركس نفسه يُعبر عن «اللخطة!» التي لازمت الفكر الفلسفي لتلاميذ هيجل مع تأثر ماركس كثيراً بهم خصوصاً بفيورباخ، يقول ماركس عنهم «إن أيا من هؤلاء النقاد المحدثون لم يقوم حتى بمحاولة نقد جامع للنظام الهيجلي وبالرغم من أن كل واحد منهم يُقسم الإيمان المغلظة على أنه تجاوز هيجل نفسه، فإن مناظرتهم ضد هيجل وضد بعضهم بعضاً، يقتصر على ما يلي: إن كلا منهم يعزل جانباً من النظام الهيجلي ويحوله ضد النظام بكامله، وضد الجوانب المعزولة من قبل الآخرين على حد سواء»^(١).

وفي الحقيقة هذه الجزئية في النقد وعدم وجود معايير كلية في الفكر الفلسفي لتلاميذ هيجل أدى بهم إلى نقد الدين مع نقد الفلسفة والمسيحية وجعل حقائق الدين أساطير كما هي أساطير الفلسفة والمسيحية وفي هذا المناخ الغير صحي تم القضاء على تحقيق منهاج عقلي كلي وتفسير صحيح للدين وللإنسان وللتاريخ وتم النظر إلى الدين على أنه أساطير ووعي زائف وخرافات آمال متخلفة كما هي المسيحية المنحرفة سواء!

إن الدين بحسب «الفيلسوف إشتراوش» وهو تلميذ لهيجل قام بنقد فلسفته كما

(١) انظر مرجع ماركس في نقد هيجل ص ٥٦ وهو مرجع طويل .

الآخرين - «نتاج جماعي غير واعى من خلق البشر»^(١) نتاج للتطور الروحي فالوعي الذاتي الإنساني - بحسب زعم تلميذ آخر لهيجل وهو (باور) - يخلق الواقع الروحي الذي يتناسب مع مستوى تطور هذا الوعي ، وما أن ينتهي التناسب بينهما تصبح مهمة الوعي هي هدمه وتجاوزه إلى مستوى أعلى^(٢) ويقول أيضا «لقد أضاع الوعي الذاتي ذاته في موضوع خيالي»^(٣) منفصلاً عنه وحرماً نفسه من كل قيمة^(٤) هذا الوعي - عند فيورباخ - تلميذ هيجل وفيلسوف معروف! - اغترب لما أعطى كماله لغيره! زعم أن الاعتقادات الدينية إنما هي إسقاط فبدلاً من أن يعطي الكمال لذاته أعطى الكمال لغيره! وهكذا فالفكرة المنحرفة - التي صنعها بولس وهي فكرة المسيح / الإله وسلمت الكنيسة بها انتقلت إلى الملك / الإله أو المملكة / الإله عند هيجل ثم انتقلت إلى الوعي الكلي للذات عند باور فانتقلت عند «شترنر» إلى الإنسان / الفرد الأوحده^(٥) ! وانتقلت عند فنورباخ إلى الإنسانية / الإله أو الإله / الإنسان أي أنسنة الإله أو تأليه الإنسان !! أو تأليه الجوهر الإنساني الذي يزعم لنفسه الكمال المطلق!

إنها فكرة الوعي الكلي للذات التي قال بها باور والتي يزعم أن وجودها يتوقف على تدمير هذا الوعي الذي يحرم الإنسان من صفاته ويقذف به إلى العالم السماوي^(٦)!

وكما قالت الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة فهؤلاء جميعاً «كان هدفهم نقد الدين وتحجيم الايدلوجية الدينية»(!) وإبراز عدم معقوليتها على أرض الواقع(!). واشتراوس عندما يدمر فكرة المسيح التاريخي، ويقول بفكرة الإنسانية،

(١-٢-٣) انظر نقد فلسفة هيجل ص ٣٧-٤٤

(٥) لو قال ذلك في الأساطير المسيحية الدخيلة على المسيحية لصدق ولكنه تجاوز ذلك إلى الدين !

(٥٥) فعنده كما سيأتى بعد قليل فإن الأنا / الإنسان هو الكل في الكل !!!

(٤) المرجع السابق ص ٥١ .

ففي هذا تراجع للحقيقة الدينية وانحصار لها في مقابل تقدم الحقيقة
(الإنسانية)»^(١)

في هذا الجو الفاسد لابد أن يتشكل الالتواء العقلي ، ويعلو الجموح النفسي ،
ويمسخ الإنسان نفسه ، وينقد ذاته ، فيزداد الوضع التباساً وتعقيداً فلا غرو أن يظهر
مثل «إشترأوس» في هذا المناخ الغير صحي الذي ضاعت فيه معالم كل شيء ،
وفقد الدين جوهره عند الكهنة والفلاسفة ، لقد قلب إشترأوس الطاولة على أستاذه
وعلى الفلاسفة المسيحيين من قبله ، فأنكر وجود المسيح في التاريخ ، ولماذا؟ ليهدم
المسيحية والدولة البروسية!!! فهل يعقل هذا؟! إنها مصيبة دولة أستاذه ونموذجه
المثالي في التاريخ «ورفض فكرة المسيح التاريخي - عند إشترأوس - والأخذ
بفكرة الإنسانية هو هدم للمسيحية هدم أساس النظام السائد في بروسيا واستبداله
بدولة الإنسانية»^(٢) يقول إشترأوس «يجب أن تبدل فكرة المسيح التاريخي بفكرة
الإنسانية ويستطيع الإنسان أن يجد الخلاص بالمشاركة في الحياة الإنسانية الإلهية
للنوع»^(٣) فبدلاً من الإنسان/ الإله في المسيح أو الملك/ الإله في فلسفة هيجل
يصير الوضع مقلوباً فتصبح الإنسانية هي المطلوبة بحيث تكون الوحدة الحقيقية
كلها في الإنسان فيصير هو الدولة/ الإنسان وليس كفرد بذاته بل الإنسانية ككل^(٤)
وكما قال ماركس عن نتائج نظرية هيجل بأنها «أكذوبة» كذلك فإن إشترأوس
قال بأنها «خداع»^(٥)

وماذا يجني الكذب والخداع غير الضياع والهلاك وفقدان الإنسانية لمعالم
وجودها وصورة تكريمها وحقيقة تاريخها وماذا أنتج إشترأوس وماركس وهيجل

(٢) نقد فلسفة هيجل ص ٤٠ .

(١) المرجع السابق ص ٣٦ .

(٣) Jhon, Edward Toews, Hegelianism, cambridge universty press, lon-

ndon New york, 1980, p.265

عن نقد فلسفة هيجل ص ٣٩-٤٠ .

(٥) انظر المرجع السابق ص ٣٧ .

(٤) انظر ص ٣٧ نقد فلسفة هيجل .

وغيرهم غير التلفيق والتفسير المشوه للإنسان والدين وللمسيح وللنبوة والتاريخ؟!

لقد كانت عقدة اشتراوش خطيرة، ولم يستطع أحد شفائه من الأذى الذي ألحقته به فلسفة أستاذه، وما تقدم عليه مما أفرزته العقلية الغربية ما أنتح أزمة الوعي الأوربي، ولذلك قام بتدليس كل شيء وتحريف كل شيء وإنكار حقائق كل شيء ما أدى إلى القول بأن الإلحاد هو الإنسانية متصالحة مع ذاتها خلال نفي الدين^(١) وعبادة الإنسان لذاته وتأليهه لنفسه.

ولما لم يجد اشتراوس في الوعي الجمعي الأوربي إلا هذه التحريفات الدينية المسيحية، لما لم يجد إلا إرثاً فلسفياً منحرفاً - لما لم يجد إلا فلسفة أستاذه والتي تجعل من ملك الدولة (مسيحياً/إلهاً) يجب الامتثال له وعدم الاعتراض عليه لأي سبب من الأسباب، لما لم يبق أمامه إلا هذا الفكر المنحرف بطرفيه الديني والفلسفي ذهب يؤسس لعلم الأساطير المقارنه وبيان نشأتها وتكوينها في الوعي الجماعي التاريخي «وعلى الضد من هيجل اعتبر اشتراوش الإنجيل بمثابة روايات وأحاديث تشكل جوهر الدين المسيحي، وقام بنقد النصوص الإنجيلية وانتهى إلى اعتبارها أساطير تترجم وتعبر عن أعماق الرغبات الإنسانية أو رغبات البشر.. لقد دمر اشتراوس العقيدة المسيحية خلال كتابه «حياة المسيح»^(٢)

وكما قدمت فإن مشكلة هؤلاء الفلاسفة أنهم فقدوا الموازين الحقيقية في الحكم على الأشياء، فأصابوا مرة وأخطأوا مرات، ولقد أعلن القرآن أن قصة (الإله-المسيح) الذي وُضعت له تعاليم وأقوال تناسب موضوع تأليهه على لسان بولس وفي إنجيل يوحنا، أن هذا (المسيح/الإله) ليس له وجود فعلى في التاريخ فهو خيال المنحرفين، لكن القول بأن المسيح النبي لم يكن له وجود في التاريخ

(١) انظر المرجع السابق ص ١٨٥

(٢) نقد فلسفة هيجل ص ٣٩ .

فهذا هو الشطط والانحراف المقابل لانحراف سابق وبغض!

إن الأساطير التي حيكت حول المسيح عليه السلام باعتباره إلها ليست قصصاً تاريخياً، ولا يعني ذلك أن نلغى وجود المسيح التاريخي ونلغى أحداث ووقائع تمت في عصره وفي فترة حياته على الأرض وأن نلغى نبوته ورسالته وشخصه الكريم الحقيقي! إن هذا ميزان دقيق يحتاج إلى عقل متوازن لا ينكر الأشياء بمجرد تلفيق أساطير وخرافات حولها ولو أن الأمر كذلك لانكرنا أنفسنا ووجودنا وحواسنا كما فعل أيضاً بعض الفلاسفة الغربيون! (*)

أما تأسيس علم يُرجع كل قصص الأنبياء التاريخي إلى أساطير الشعوب القديمة، بل ينكر وجودهم في التاريخ - وسيأتي ذكر ذلك بالتفصيل - فهذا هو الضلال المبين، والهوى الجامح الذي ليس له أي سند علمي أو أداة علمية تساعد على ذلك، وإنما هي تلفيقات وتلوينات وغرور علمي قاصر وطائش يظن أن بإمكانه حجب نور الشمس بالغربال المثقوب.

لقد قلنا إن الظروف الداخلية في المجتمع الغربي هي التي أفرزت هذه المناهج المختلة المهزوزة، والتي قد تنفع في تناول أساطير الوثنيات والمدنيات الغائرة في التاريخ لكنها لاشك ستفشل حين تتعرض لحقائق الدين وقصص القرآن كما فشل الجاهليون القدماء حين رموا القرآن بأنه أساطير الأولين فيما كان هؤلاء الجاهليون يتعبدون للوثن والوتد وظواهر الطبيعة! إن محاولة تخديم علوم الآثار وغيرها للمصالح الأيديولوجية الخاصة الكامنة وراء الادعاءات العلمية هي محاولات مفضوحة بتسليط ضوء النهار على صورها الخفائية القابعة في الظلام.

لقد قال «بروتو باور» - تلميذ آخر لهيجل - بمثل ما قال «اشتراوس» بعدم وجود حقيقي للمسيح عليه السلام في التاريخ!

(*) حتى إن بعضهم أنكر وجود العالم الذي نعيش فيه .

فهل يمكن أن نجعل هؤلاء أساتذة لنا في صناعة المناهج العلمية (المختلة؟)!

في رسالته التي أرسلها إلى ماركس كانت كلماته الحائرة المعبرة عن تيهه وضلاله يقول: الكارثة أو النازلة أكبر من تلك التي صاحبت دخول المسيحية إلى العالم، ما شاهده العصر هو المعركة الأخيرة مع عدو البشرية الأخير.. والخطيئة التي يقترفها الإنسان ضد نفسه، والتي هي أكثر صعوبة هي أن الإنسان لا يستطيع تجنب المعتقدات الدينية بل يراها في العين الإنسانية، ويفلق عينيه ويفرغ فيها قبل عمله الخاص، والشيء الوحيد الذي يمنع التحرر الكامل هو الخوف، من أن يفقد الإنسان ذاته، قبل أن يكتسب ذاته مرة أخرى^(١) فهو في هدمه لحقائق الوجود أثناء هدمه لخرافات الكنية وأباطيلها أحس بأنه يفقد أشياء أصلية، أحس أنه يفقد ذاته ومقوماتها وفطرتها السليمة، ويفقد معها حقائق الحياة والكون والوحي والخليفة!

إن كلماته السابقة توحى بأنه كان يشعر بخور ما هو مُقدم عليه، بل تشعر ككلماته أنه فقد التمييز في عملية الهدم ضد الكنية بين خرافاتها والحقائق الكونية والإنسانية.. وفيها تظهر نفسه المضطربة وكأنها مُقدمة على موت حتمي أو هلاك أبدي وهي تعكس فطرته الممزقة وقلقه الباطني.. التي تكاد تفقد كل شيء وهي تقوم بهدم كل شيء!

لقد دمر ذاته بينما كان يحاول إنقاذها!، ومسح وعيه فيما هو يحاول إعادته إلى مجراه الطبيعي!، وعبد ذاته بينما كان يحاول تخليصها من عبوديات شائنة فغمسها في وحل (الاستقلال المتأله) إلى الأبد، وأضاعها فيما كان يحاول الحصول عليها فمثلته مثل دارون الذي فقد رؤية العالم على حقيقته وهو يحاول رسم صورة قيحه له!، فقد فقد إحساسه بالجمال وأصبح أشبه بإنسان مصاب بعمى الألوان كما عبّر هو عن ذلك في قوله «في مذكراتي التي سجلتها أثناء سياحتي ونجوالي

(١) D.McIelllan, the young Hegelians and Karl Marx op.cit., p.p.44.65.

نقلًا عن نقد فلسفة هيجل ص ٤٥ .

في «كالا باكوس» كنت قد كتبت ما يلي عندما شاهدت المناظر الخلابة والمدهشة لغابات البرازيل: «إن من المستحيل التعبير عن مشاعر الدهول والتبجيل، والاحاسيس العلوية التي تملأ ذهن الإنسان التعبير الكافي» واذكر أنني كنت أؤمن آنذاك أن هناك أشياء أخرى إضافة إلى الوجود المادي لجسد الإنسان. أما الآن فقد أصبحت أجمل المناظر وأروعها لا تؤثر فيّ ولا تحرك في نفسي مثل هذه المشاعر أو مثل هذه القناعة. فانا الآن أشبه شخصاً مصاباً بعمى الألوان»^(١).

لقد فقدوا رؤية الأشياء على ما هي عليه، كما فقدوا رؤية الجمال في الكون والتوازن في السنن، والعدل في إقامة السموات والأرض.

وهذا تلميذ آخر لهيجل «ماكس شترنر»^(*) فقد رؤية نفسه على حقيقتها كما فقدتها المتألهون من بني البشر، فقيماً كان يقوم بنقد هيجل وتصوراتهِ عن (الدولة الإله) أو (الملك الإله) كان يقوم بوضع نفسه بديلاً للدولة أو الملك! فأسس فلسفة «الفرد الأوحده» الذي ليس له قانون خارج ذاته وأعلن نفسه متحرراً من أي تضامن مع الإنسانية! .

فقد رأى - كما رأى مجموعة من تلاميذ هيجل وناقديه! - في فلسفة هيجل استلاب الإنسان وإغترابه فأعلن كرده فعل بأن ذاته من خلقه هو وأن عدو الذات الوحيد هو (دولة الملك الإله) وكل دولة!

وفي كتابه المسمى «الأوحده وخاصيته» يقول بأنه لا يقبل إلا بذاته قيمة وغاية وقانوناً «وفكرة الأوحده في مضمونها هي إعلان التمرد على الدولة والدين

(١) Francis Darwin(Ed.) (the Autobiography of charles Darwin and se-

lected letters , p.65 نقلاً عن دارون . . ونظرية التطور ص ١٥١، ١٥٤ .

(*) شترز (١٨٠٦ - ٨٥٦) فيلسوف ألماني واسمه الحقيقي لبوهان كاسبر ثيوت .

والمجتمع والفلسفة الهيجلية، فالجميع أشكال مختلفة لضياح الذاتية^(٥) وذوبانها في الكل العام^(٦) تقول الدكتور الماركسية فريال حسن خليفة! ويقول «شترنز» إن المجتمع والحقوق الإنسانية للإنسان لاتعني شيئاً بالنسبة لي . . . فالأنا هي الذات بدون نوع، بدون قوانين، بدون واجب، بدون حقوق^(٧) «إن ذاتي هي القاضي الوحيد الذي يقول ما هي حقوقي، والقانون الوحيد بالنسبة لي»^(٨)

لقد تعلم «شترنز» على يد هيجل الفلسفة في جامعة برلين، وهو فيلسوف صنع فلسفته في ظل ظروف هيجل/الدولة البروسية المناقضة لظروف هيجل/الثورة الفرنسية!!، فصار أول مؤسس للفوضوية.

ولم يكن الأمر أن «شترز» اكتشف الفرد من ثنايا المذهب كما زعم د. حسن حنفي^(٩)، فإن الإنطواء على الذات وتآليه الفرد العام ليس اكتشافاً للفرد! وإنما تكريس لوثنية الفرد بتآليهه بمختلف صور التآليه كتآليهه ملك أو فرعون أو إمبراطور أو ملكية أو دولة أو فرد. والحاصل هنا أن فلسفة «شترنز» بل والفلسفة الغربية نتاج مجتمعاتها. إن فؤاد زكريا يعلق بنفسه على فلسفة مشابهة وهي فلسفة «سارتر» (الفلسفة الوجودية) بقوله «ولو أمعنا النظر في مقولات سارتر الفكرية لوجدنا أنها لا تعني الشيء الكثير بالنسبة إلى إنسان العالم الثالث فالقلق

(٥) إن تلاميذ هيجل «رأوا في الدين المسيحي اغتراب الإنسان عن ذاته. وأنكرت المسيحية كل ما هو طبيعي وحسي فصارت مناقضة للإنسان وللإنسانية وللحرية السياسية، Julius carlebach, karl marx, and Radical Critingve of judaism, routledge & kegan poul, london 1978P.144 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ٢٧

(١) نقد فلسفة هيجل ص ٧٣ .

(٢) D.McIelllan, the young Hegelians and karl marx op.cit.,p.127 نقلاً عن نقد

فلسفة هيجل ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٨ نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ٥٤ .

(٤) مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٥٤ .

والاغتراب و «الجحيم هو الآخر»، كلها مفاهيم تعني الكثير لدى الإنسان الأوربي في مرحلة معينة من تاريخه، ولكنها ليست مقولات إنسانية عامة كما أراد لها سارتر أن تكون»^(١) .

ومع أن هناك فارق زمني وتاريخي كبير بين «شترنر» (١٨٠٦-١٨٥٦م) وسارتر إلا أن الاضطراب مازال مستمراً والضباب مازال معلماً بارزاً مستمراً. إن ظروف تاريخ الوعي الأوربي كان تجزئة الإنسان وفقدان الوصول إلى فلسفة كاملة صحيحة عنه في ظل غياب الدين الحقيقي .

يقول فؤاد زكريا - مع ذلك - إن أهم شيء في الوجودية هو ارتكارها على الإنسان!!؟ «وبخاصة، في تلك الجوانب التي كانت تهملها الفلسفات التقليدية . فقد كانت الفلسفات السابقة تتعامل مع الإنسان بوصفه «عقلاً» فحسب . وحتى حينما كانت تتحدث عن العواطف، والانفعالات، والقيم، كانت تعالجها بطريقة عقلية خالصة . كانت تجرد الإنسان من وجوده الحي، الملموس، لكي تستبقي منه هيكلًا عقلياً خلا من كل بفض ، ومن هنا فقد جاءت الوجودية لكي تضيف بعداً جديداً(!) تجاهلته الفلسفات التي سبقتها . هو البعد النابض بالحياة في الإنسان»^(٢) ! إن الدكتور فؤاد زكريا نفسه تبني فلسفة أوجست كونت التي نتجت عن هذه الظروف الكثيفة والتي قسمت التاريخ البشري إلى مراحل ثلاثة، جعل الدين مرحلة غابرة منها وقد تجاوزته الإنسانية!!!^(٣) ولم يجعلها د. فؤاد زكريا نتاج ظروف المجتمعات الغربية والفكر الفلسفي المنحرف والذي كان نتيجة الصراع المرير بين الكنيسة ومعارضيه، وعلى الطرف الآخر نتيجة اصطدام الفلسفات والنظريات المتناقضة!، والتي ظهرت في ظل أوضاع غير صحيحة وحروب

(١) خطاب إلى العقل العربي لفؤاد زكريا ص ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٩ .

(٣) قدمنا ذلك من كلامه، وكلام فؤاد زكريا في الكتاب الأول، في الفصل الأول منه .

وأزمات ونظم حكم تسلطية أو ديمقراطية هشة!

إن الزيف الثقافي الذي يسيطر على العلمانيين العرب وهم يقومون بنقل الفلسفات الهشة لإزاحة الإسلام من عالم المسلمين ملأ قلوبهم حقداً وأعمى أبصارهم فلم ير كل منهم في فلسفته التي نقلها إلى عالم المسلمين أنها نتاج ظروف غير صحية وغير إنسانية وغير علمية وإنما زعم كل منهم في فلسفته المبتورة أنها حقائق نهائية والفلسفات الأخرى نتاج ظروف أوربية بحته!!!

يظهر تلميذ آخر على الساحة بفلسفته التي أثرت تأثيراً كبيراً على كل الفلسفات والنظريات التي جاءت بعده وسيبت صراعات خطيرة ودمرت ملايين البشر في الحروب الداخلية والعالمية، إنه «فيورباخ»^(*) الذي قام بنقد فلسفة أستاذه هيجل فأعلن أن هدفه استرداد الإنسان من غربته في الدين والفلسفة! . . . فابتكر نظريته في عالم ابتكار النظريات القاصرة في الغرب! فدار فيورباخ في حلقة الوثنية المفرخة التي خرجت من اليونان واصطبغت بالمسيحية في مرحلة تحريفها هُجنت بفلسفات كفلسفة هيجل الذي استنسخ منها فلسفته: فلسفة (الملك/ الإله) ما أدى إلى استنساخ فيورباخ نظرية تأليه الإنسان عموماً وبزعمه أنه ينبغي على الإنسان أن يسترد كماله الذي أعطاه الله في لحظة غياب!^(**) وفي الحقيقة ففي عالم التحريف والوثنيات القديمة والحديثة يحصل غياب الإنسان والزعم بأن استرداد حقوق الإنسان بتأليه أو بتأليه الملك المعين أو بتأليه الدولة أو الإنسانية أو الفرد الذاتي أو ما إلى ذلك من فلسفات التأليه الغربية التي إتكات على الإنسان بزعم أنها تريد استرداد كرامته هو زعم سخيف، فالإنسان لا يكون إنساناً بإنكاره لخالقه ولمُكرمه ولعلمه ولرازقه ولمنهجه وشريعته! إن هذه الفلسفات اللاعقلانية هي التي شوّهت

(*) فيورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) فيلسوف مادي. عمل في جامعة أراجن، أهم كُتب «جوهرة المبحية» و«نقد فلسفة هيجل» .

(**) مع أن المشكلة عنده كانت بينه وبين الكنية وعقيدة تأليه المسيح، فكيف يتقل من ذلك إلى الكفر بالله عز وجل الذي منحه إنسانيته التي سلبتها مسيحية التي نقدها هو نفسه !!

حقيقة الإنسان واستلبت عقله ونفسه، وهذا ماركس يقول نفسه عن هيجل بأنه أثبت «عدم عقلانية العقلي باطلاق»^(١) وقال عن فلسفته أو عن بعض أفكارها بأنها «أكذوبة»^(٢) وقال تلاميذ هيجل عن أفكاره بأنها «خداع»^(٣) وكذلك يقول بعضهم في فلسفات الآخرين في حلقة مفرغة من اللاعقلانية الإنسانية والأفكار الجزئية الشائنة والانتهاكات المتداولة المتوارثة «إن الشعور بالذات يصل إلى أن تكون أنت إلهاً!»^(٤) هكذا يتفلسف فيورباخ فهل هذه عقلانية وتنوير وتحرر و(فلسفة أو حكمة) أو حقوق إنسانية أصلية؟ هل هذه هي مهمة الفلسفة وحقيقة فاعليتها في عالم الإنسان!!

إن تبرير هيجل الأستاذ الفيلسوف للوضع السائد بنظرية (المملك/الإله) أدى إلى بروز فلسفة فيورباخ التي رفعت الإنسان ليرى نفسه إلهاً متشخصاً!! وفي النص التالي تجدد عوامل رد الفعل الداخلي الذي سيطر على هؤلاء الفلاسفة يقول - وهنا تشعر بوقع أزمة! - فيورباخ إن «الحرية السياسية!» وتحققها في الواقع يجعل من الختم أن يحل لدى البشرية «العقل محل الإنجيل، والسياسة محل الدين، والعامل محل العابد.. والإنسان محل المسيح»^(٥)

وفي إسلامنا ليس هناك تعارض بين العقل والنقل أو الدين كما أن السياسة العادلة من الدين فكيف نحل محله كذلك؟ والإسلام حرك الإنسان وأطلقه فاعلاً في الكون ونتج عن ذلك حضارة عاملة عابدة فمن يحل مكان ماذا؟ وليس هناك

(١) نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ٢٧٣ Karl Marx, chp R . p.33

(٢) المرجع السابق لماركس ص ٣١ نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ٢٦٣ .

(٣) إشتراوس عن وحدة الفلسفة والدين عند هيجل بأنها «خداع» كما في كتابه «حياة المسيح» .

(٤) Ludwig Feuerbach, Introduction to the Essence of christianity, Translated with an Introduction by Zawar Hanafi, anchor Books, New York, 1972 P.P. 102-108

(٥) Ludwig Feuerbach, The necessity of a reform of philosophy, op. cit., P. 148.

نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ١٢٥ .

في الإسلام مسيحاً مؤلهاً أو ملكاً أرضياً مؤلهاً فكيف يتعارض الإنسان مع شيء ليس موجوداً عندنا؟!

إن الألوهية الحقيقية لا تتعارض مع غاية الوجود الإنساني كما قدمنا، فمتى حدث في ديننا تعارض؟! إن التعارض لم يكن أبداً في مبادئ الإسلام مع الواقع إنما التعارض تم في النصوص المسيحية والنصوص الفلسفية والواقع الثابت، إذن فلسفة فيورباخ نتاج ظروف أوروبية معينة وليست حقائق كونية مهيمنة على الدين والإنسان والحياة! ، إنها رد فعل معين على أفكار منحرفة متمثلة في الفلسفة والمسيحية المنحرفة، فكيف نجعل منها مناجاً لتحليل كل شيء، ونظاماً معرفياً لنقد الدين والتاريخ والإنسان!!

ومعروف كما قالت الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة أن فلسفة فيورباخ تدعى أن «فلسفة المستقبل هي تحقق الإلحاد الواعي للبشرية»^(١). فكيف يكون هذا الوعي وعياً إنسانياً يحل الماهية البشرية مكان الماهية الإلهية!!

إن فلسفة فيورباخ «وعي زائف» أفرزته ظروف مادية وفكرية منحرفة وليست حقيقة إنسانية أصيلة يمكن للإنسان أن يبني عليها حياة طيبة كريمة! إن الذي أدى لبروز هذه النزعات هو عملية تأليه الإنسان ذاتها!، والتي تمثلت في مرحلة من مراحل الوعي الأوروبي - وإلى الآن عند الكنيسة! - في تأليه المسيح. ومن هنا كان رد الفعل العنيف الذي يريد نزع هذه الخرافة من عقل الإنسان ولكن وباللخسارة تم تدشين خرافات أخرى، يقول فيورباخ مظهراً طبيعة عمله الفلسفي! «وقد ارتبط في الدين المسيحي اسم الإنسان باسم الله في اسم واحد(!)، الإنسان الإله(!)، مع احتفاظها بهذه الحقيقة»^(*)، حولت الصفة في الجوهر، والمحمول في الموضوع، والفلسفة الجديدة هي الفكرة متحققة هي حقيقة المسيحية^(**)، إنها

(*) يقصد فلسفته أي حقيقة «الإنسان الإله» بزعمه.

(١) نقد فلسفة هيجل ص ١٢٥.

(**) يقصد تأليه الإنسان!

بالتأكيد تحتوي داخل ذاتها جوهر المسيحية^(١٠)، ولكنها تهجر اسم المسيحية^(١١)

ثم قال بأن فلسفته - في نفس النص - هي «الحقيقة الصادقة بدون تناقض هي الحقيقة الجديدة»!

فأين في خرافات فيورباخ ما زعمه حسن حنفي من أن فيورباخ من خلال نقده للدين اكتشف الإنسان والطبيعة؟^(١٢)

على العكس من ذلك لقد دمر فيورباخ الإنسان عندما منحه استقلالاً مدمراً لخصائصه وطبيعته ذاتها، ما أدى إلى إنتهائه إلى المادية كما قال حسن حنفي نفسه «ودافع عنها مما أثر في جميع معاصريه من الهيجليين الشبان حتى اعتبر إنجلز أنهم كانوا جميعاً فيورباخين أي ماديين»^(١٣) عبدوا ذواتهم المتعالية!

لقد تأثر إنجلز وهو صديق ماركس ومن أقطاب المادية الجدلية بفورباخ، كما تأثر ماركس به في الأساس النظري ونقد الدين الذي قال عنه ماركس «ونقد الدين هو مقدمة لكل نقد»^(١٤)، إن نقد الدين يحطم أوهام الإنسان، ومتى تحطمت أصبح الإنسان قادراً على التفكير والعمل وتطوير واقعه كإنسان فقد أوهامه وكسب عقله. وحينما يتلاشى هذا الوهم، تكون مهمة التاريخ، أن يؤسس حقيقة هذا

(١٠) يقصد إذا كان المقصد من الميحية في جوهرها تأليه الإنسان فإن فلسفته لا تختلف عن هذا المحتوى

لكنه ينقله من المسيح إلى الإنسان ! ونفى الميحية هو نفي للاسم مع الاحتفاظ بجوهر تأليه الإنسان!!

(١١) Ludwig Feuerbach, preliminary theses on the reform of philosophy,

op. cit., 172 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ١٢٧ .

(١٢) انظر (مقدمة في علم الاستغراب) لحسن حنفي ص ٢٥٩. لقد اعتبر حنفي نفسه فيورباخاً وتأثيراً

عظيماً بفلسفة فيورباخ وقد قدمنا ذلك في «الفصل الأخير من كتابنا الأول» .

(١٣) مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٥٩ .

(١٤) واضح من هذا النص عداوة ماركس للدين وليس للمسيحية والكهنوت بها فقط كما أن تأثير

«فيورباخ» و«باور» و«اشتراوش» و«هيجل» واضح كذلك عليه !

العالم، ومهمة الفلسفة أن تخدم التاريخ وأن تزيل القناع عن الاغتراب الذاتي
الإنساني في شكله الدنيوي، والذي أصبح غير مقنع في شكله المقدس، لذلك فإن
نقد السماء يجب أن يتحول إلى نقد الأرض، ونقد الدين إلى نقد القانون، ونقد
اللاهوت إلى نقد السياسة^(١) .

فإذا كان الفكر الاسطوري المسيحي غير مقنع، ويصنع اغتراباً للإنسان في
العالم وإذا كان يجب تحطيم هذه الأغلال ليقدر الإنسان على التفكير وتأسيس
حقيقة هذا العالم.. فإن ذلك كله ليس موجوداً عندنا في الإسلام العظيم ولا في
المسيحية الحقّة! - الذي جعل للإنسان كرامة وغاية عظيمة لوجوده، ومنحه العلم
وقوة الإدراك والقوة المفكرة للانطلاق لاكتشاف هذا العالم وتسخير سننه وتأكيد
قائه وتحقيق إنسانيته ورغباته الحقيقية في الحياة.

هذا هو القانون الإلهي ونظرته إلى الإنسان، فأين ظروف الصراع الذي أنتج
وأفرز هذه الأفكار المتصارعة؟ أين هذه الظروف من الدين الإسلامي! هذا هو
التاريخ الحقيقي الذي يجب على الفكر أن يطرحه على الوجود، وهذه هي الفلسفة
- أو الحكمة الحقيقية - ومهمتها. لكن قلب ماركس لمعادلة هيجل على رأسها
جعل ماركس مقلوباً أيضاً، حتى إنه لم ير إلا الأوضاع المقلوبة بعيداً عن مرايا
الوجود وانعكاسات الحقيقة وطبيعة الأشياء!

فإذا كانت فلسفة هيجل - بحسب تعبير ماركس - تحمل نقائص العصر، فإن
فلسفة ماركس هي أيضاً كذلك، وهي خليط من جدلية هيجل مع قلب أساساتها
وفلسفة فيورباخ والشبان الهيجليين فهي نتاج متطور لأفكار تُحجّم الإنسان وتمسّخ
فطرته وتجعله عبداً للمادة ورقيقاً لظروفها وإفرازاتها المختلفة ولاحداثها المتغيرة...

Karl Marx, contribution to the critique of Hegel's philosophy of right: (١)
introduction, selected writings by robert c.tucker, w.w.company, New
York 1988,P.P. 53-54 . نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ٢٣

ومع ذلك يؤلهونه!!! إنهم جميعهم قالوا ما قاله ماركس أنهم سيجلبون إلى ضوء الشمس حبات اللؤلؤ الخالص^(١) ولكنهم في الحقيقة جلبوا طبقات السحاب الداكنة المظلمة على حبات اللؤلؤ الخالصة! ما سبب أزمة القيم وأزمة تفسخ باهظة التكاليف. لقد حجّبوا ضوء الشمس عن الإنسان الغربي^(٢) فلم ير غاية وجود الإنسان في الكون وإنه على الرغم من سيادته على الأرض وخلافته فيها إلا أنه يحمل أمانة إلهية يجب عليه تحقيقها للحصول على السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩، ٤٠].

إن الفيلسوف كيركيغارد - أول الوجوديين - وهو من الذين نقدوا هيجل نقداً عنيفاً^(٣) أكد هذه الحقيقة القرآنية، وهي مع انطباقها عليه إلا أنه عبر عن روح الفكر الغربي والواقع الخارجي وقت أن بدأ يسطر فلسفته ويضعها في خارج عقله! يقول «وعصرنا هذا الذي نعيش فيه هو في بؤس لأنه بلا وجدان»^(٤) «لكل عصر رذيلته التي تميزه، ورذيلة عصرنا ليست هي اللذة أو الفجور أو الشهوة، بل

(١) لقد ادعى ماركس أنه يستطيع ذلك بإسقاط الستار عن كل المقدسات وفقد الدين - Karl Marx, let- ter to his father, selected writings, David McIlan p. 8
نقد فلسفة هيجل ص ١٥١ .

(٢) أرى من عقيدة الإسلام أن الإنسانية كلها هي اللؤلؤ الخالص - العربي والغربي وكل إنسان - فهي تحمل مسئولية خلافتها على الأرض لكن هؤلاء الفلاسفة ومن سبقهم من الكهنة حجّبوا فعلاً ضوء الشمس عن هذه اللآلئ المكرمة إلهياً - فصار ظلاماً داكناً !

(٣) أكد كيركيغارد كما أكد تلاميذ هيجل أن هيجل جرد الإنسان من وجوده الحقيقي .

(٤) Kierkegaard the jourmale, op.cit.,p. 77 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص ٨٧ .

احتقار لا أخلاقي شامل للإنسان الفرد»^(١) ويقول الحائز على جائزة نوبل للسلام «لبرت شفيترز» في تشخيصه للعصر الصناعي الحديث - وهناك فارق رمزي بينه وبين كيركيجارد! - «أن الناس أصبحوا فاقدين للحرية بعد أن كانوا أحراراً . . فاحوال وجودهم إذن ليست أحوال طبيعية . . . إذن فوجودنا الفردي تنحط قيمته من جميع نواحيه، وأصبح من الصعب على الإنسان، أكثر من أي وقت مضى، في أن يصبح شخصية»^(٢) والسبب عنده أن الإنسان أصبح عبداً للآلة الصناعية!

بيد أنني أزعّم أن السبب الرئيسي أن الإنسان أصبح عبداً لفلسفات عظيمة سببت له أزماته الروحية والمادية على السواء، وجعلته عبداً للأشياء ولم تجعله سيد الأشياء كما أراد الله له على الأرض! إنه انفصل عن كثير من أصوله الحيوية وقيمه الإنسانية ومنهجه الرباني ففقد نفسه وانفصل عن ذاته واستعبد للأشياء والمواد والظروف والتقلبات الأرضية. يقول الفيلسوف «كارل ياسبرز»: «فالإنسان إذ يتفصل عن أصوله، ويحرم من التاريخ الواعي ومن كل اتصال في وجوده الشخصي، لا يمكن أن يظل إنساناً . . . ونحن لانشك في أن الإنسان يستطيع أن يعيش في هذا النظام الآلي، بفضل آلاف العلاقات التي يعتمد هو ذاته عليها، والتي يساهم في بنائها: ولكن يظل في هذه العلاقات حداً لا كيان له. إذ يمكن أن يتبدل به غيره - فكان وجوده وعدمه سواء...»^(٣).

إن هؤلاء الفلاسفة يشتكون من ضياع الإنسان . . وذاتيته . . وعندما يقدمون الحلول فإنهم يقدمون لك العجب العجيب . . وقد ضربنا لك الأمثال! وهم يدورون حول أفكارهم المدمرة للإنسان كالنملة التي انتزع قرنهما وكالروح التي فقدت

(٢) الإنسان والحضارة ص ١٣٣-١٣٤ .

(١) المرجع السابق .

(٣) Karl Jaspers: la situation spirituelle de notre époque (trad. fran paris 1951)

p.p.52-53. نقلاً عن الإنسان والحضارة ص ١٣١ .

مكانها في الكون وتاهت عن غاية وجودها! بيد أن الحيط الفلسفي الذي قلب موازين كل شيء في الغرب والذي وصل إلى إنكار وجود شخصيات وأنبياء ورسل في التاريخ، امتد وسيطر على العلوم التاريخية والاجتماعية والنقدية.

قد يكون التصدي لهذا التحريف الكوني أقل إلحاحاً إذا ما تعلق الأمر بالفكر الفلسفي الغربي المتعلق على نفسه، لكنه يكون أكثر إلحاحاً إذا ما تعلق الأمر بأمرين عظيمين في الوجود وهو تأثير هذه الأساطير الفلسفية الجديدة على الإنسان عموماً وعلى المسلم خصوصاً، والثاني هو محاولة تفسير التاريخ الإنساني تفسيراً مادياً ومنه تاريخ الصراع الذي تم في التاريخ بين الأنبياء والمستبدين من أقوامهم. ومن هذه المحاولة يتم الوصول إلى تاريخ الرسول ﷺ ومحاولة تفسيره تفسيراً مادياً ينفي الوحي ويلغي النبوة ويهدم أعمدة هذا الدين العظيم.

لقد تم إنكار وجود المسيح في التاريخ واعتُبر أسطورة مخترعة، حتى إن البعض ذهب إلى إنكار وجود محمد ﷺ في التاريخ وهذا شيء مضحك حقاً. لكن أدهى المحاولات التي قام بها كثير من الفلاسفة والعلماء الماديين هو إنكار وجود الأنبياء والرسل في التاريخ وتحويل موسى من نبي رسول إلى كاهن مصري تأثر بالمفاهيم المصرية عن الوجود والحياة والإنسان!

إن كثيراً من العلمانيين العرب من مثل المستشار محمد سعيد العشماوي والدكتور سيد القمني وغيرهما كثير سيأتي بالتفصيل بدءاً من الفصل الثالث، - إن شاء الله - هؤلاء ذهبوا يقلدون هذه المذاهب في إنكار الحقائق والبديهيات، وهو ما دعاني إلى كتابة هذا الكتاب وهذا الفصل بالذات^(*)، يُعد بيان جذور هذه الأكاذيب من الأهمية بمكان ونحن إذ نرجع إلى مراحل الصراع - التي أبرزت بعض وحداته! - الكتيب بين الكنيسة والفلسفة، والفلسفات بعضها ضد بعض،

(*) أتمد الفصل الأول .

وإن هذه الأقوال كانت رد فعل منحرف تجاه إنحرافات أخرى مقابلة في الوجود التاريخي لأزمة هذا الصراع الذي انتهى لتأسيس مذاهب ومناهج نقدية فاسدة، ما فيها من شر وضلال أضعاف أضعاف ما فيها من علم وخير. فكيف يمكن الوصول إلى الحقائق الكلية والمنهجية الشاملة بهذه النظرة الشائنة للتاريخ ولتطبيقاتها الخبيثة في إنكار وجود الرسل أو تحويل وجودهم من وجود نبوي رسولي إلى كهنوت وثني وعقد نفسية وآمال قبلية واهتيال فرص للظهور والبروز!

إن الخلاصة التي يمكن أن أخرج بها من هذا الفصل هي أن القول بأن الدين ما هو إلا أساطير وخرافات إنما هو إنحراف خطير يظهر كل حين في تاريخ البشرية نتيجة لظروف فكرية وسياسية واجتماعية مدمرة وغالبا ما يكون رد فعل - كما حدث في أزمة الوعي الأوروبي - متطرف على أوضاع غير إنسانية مكبلة للإنسان، محطمة لإمكاناته وقدراته الإنسانية، كما أنها تكون نتيجة لإنحراف فكر الإنسان وتراجع قدراته العقلية وتضخم نظراته الجريئة الشائنة للأمور فيحكم على «الكلي» و«العام» بعور «الجزئي» و«الخاص»، ولا شك أن الفساد الأخلاقي والتحرر الجنسي والاعتزاز بالفردية كل ذلك يؤدي إلى خلل في الحكم، وتهور في الفكر، واضطراب في التصور، وجفاف في الوعي، وقصور في النظر، وخفة في العقل، وزيفان في البصيرة ويأس من الإحاطة الكاملة، والتسرع الطائش بالحسم القاصر الهزيل! وعقم النظريات، وهشاشة النقد، وعيب الافتراضات!

الفصل الثاني

«وسط كل الأديان ، الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمهّد للإنسان طريقاً متكاملًا للعيش ، يسمح له وللمجتمع أن يعيشا معا في رخاء ، وفي توازن فريد ، الباقون كلهم إما يسحقون فردية الإنسان أو يحدّون من مسؤولياته الاجتماعية»

مراد هوفمان . من كتابه «خواء الذات والادمغة المستعمرة» ص ١٠٥ .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۖ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ سَعِيرٍ﴾ [الحج : ٣ ، ٤] .

نظريات الطمس ومحاولات تغيير التاريخ البشري (*)

قدمت في الفصل الأول الظروف التاريخية الخطيرة التي أنتجت الأفكار في الغرب، وشكلت الوعي الأوروبي الفلسفي المأزوم والمقابل للفكر الكنسي، وبينت أن الاتجاهين كانا قاصرين وعلى طرفي نقيض، وأنهما معاً يقفان متعارضين مع «المنهج الرباني» في الاعتقاد وقواعد التصور والفكر والنظر إلى غاية وجود الإنسان على الأرض.

وقلت إن التأثير الفكري والعقلي الإسلامي الذي عاش فعلاً في جزء من أوروبا وهو الأندلس لمدة ثمانية قرون كان هو الذي فتح مجالاً للإنسان الغربي للتفكير والتعلم والتجريب والملاحظة. الشيء الذي عمل على بث الروح في الجسد الأوروبي الميت، فانتعش ونفض عنه أساطير الكنيسة وجهل العالم... بيد أن المنهج الرباني الذي أثر على الإنسان الغربي وردَّ له روحه لم يؤخذ من حواضر المسلمين كاملاً، وذلك لأسباب معروفة، فرواسب العداء بين الكنيسة والإسلام، كانت متمكنة من رواد الفكر والتجريب الغربي في آن واحد فقيما كان يقوم الإسلام بإنقاذ العقل الغربي ومدّه بعلوم العقل والملاحظة والتجريب كانت رواسب الكنيسة وعصبيتها البغيضة متمكنة من هذه العقول الناقدة والمتحررة ما أدى إلى

(*) يؤكد مونتجومري وات أنه برغم أن العلماء والفلاسفة الأوروبيون استفادوا مناهج فكرية وعقلية من المسلمين إلا أنهم رفضوا الإسلام وشوّهوه، ذلك أن تواجد الإسلام على حدود العالم المسيحي أدى بهم إلى تغيير صورة الإسلام وعدم قول الحقيقة عنه، وبدلاً من إحلال الفكر الإسلامي الذي أوصل القواعد التجريبية للغرب مكان الكنيسة وخرافاتهما تم إحلال فلسفة أرسطو وغيرها مكانه «فإن إحلال أرسطو مكان الصدارة في الفلسفة والعلوم يبنى النظر إليه باعتباره مظهراً لرغبة الأوروبيين في تأكيد اختلافهم عن المسلمين ولم يكن هذا النشاط السلبي تماماً التمثيل في التنكر للإسلام أمراً سهلاً، بل كان في الواقع أمراً مستحيلاً خاصة بعد كل ما تعلمه الأوروبيون من علوم العرب وفلسفتهم مالم يكن قد صاحب هذا التنكر نشاط إيجابي (!) ... متمثلاً في العودة إلى ماضي أوروبا الكلاسيكي أي إلى حضارتى الإغريق والرومان فضل الإسلام على حضارة الغرب ص ١٠٨.

وقوعها في قصور شديد وخلل جسيم وتعصب شديد، وكراهية عنيفة منعت من نفاذ النور كاملاً وحضور العقل، وبينما كانت العملية النقدية لعقائد الكنيسة وأساطيرها قائمة على قدم وساق كانت العقلية الغربية تدمر معها كل ما يتعلق بالدين والوحي والغيب والسماء معتقدة أن الكل سواء ولا فرق بين الدين عموماً وأساطير الكنيسة وتعاليم الكهنوت اليهودي الأسطوري.

فكانت بحق (الكارثة الكبرى) في تاريخ الإنسان الغربي الذي وضع مناهج جديدة على هذا الأساس الأعمى، والذي كان قد بدأ يبصيص من نور العقل الإسلامي الذي كان رابضاً بمشاعله في حواضر أوربية كبلاد الأندلس وصقلية يفتح أذهان الإنسان أيا كان لونه أو جنسه أو عرقه أو دينه لرؤية العالم بعيداً عن الكهنوت الذي كان قد حجب الكتب الدينية والعلمية عن الإنسان، وبعيداً عن الأساطير التي تحجب العقل وتشل الفكر لذلك فإن العقلية النقدية الشائنة في الغرب كانت على الرغم مما تحمله من بذور الخير مازال تحمل إرثاً عدائياً للإسلام فجمعت الإسلام والكنيسة في سلة واحدة.. فلم تتحرر فعلياً كما كانت تبغي ولكنها خرجت من أساطير الكنيسة لأساطير الفلسفة التي كانت تترنح من لمجب خمر النصر على مقدساتها ومسلماتها! ولما أفاق الإنسان الغربي من غيبوبة النصر وجد نفسه قد وضع مناهج تدمر الدين وتمسخ صورته وتخرجه من طبيعته، وتحقر الإنسان بصورة مختلفة عن ما فعلته الكنيسة المنقوضة وقد أدى ذلك فيما بعد إلى تفكك الإنسان وتجزئته ثم تلاشيهِ فإعلان موته!!

سأحاول أن أربط بين الفلسفة والكنيسة في طبيعة النظرة التي لم تتغير كثيراً قبل أن أدخل على الأساطير التي وضعها فرويد عن موسى عليه السلام والتي تمكنت من العقلية العلمانية المتطرفة التي تسيطر في بلادنا على منابر إعلامية وثقافية خطيرة ومؤسسات علمية وأكاديمية عريقة!

وفي ذلك الربط فائدة كبيرة للقاريء حتى يتعرف على خلفية الصراع الشديد

القائم اليوم في العالم الإسلامي بين المفكرين والعلماء المسلمين وبين هؤلاء العلمانيين الذين تأثروا تأثيراً كبيراً بأساطير الفكر الفلسفي الغربي المحمل برواسب الكنيسة الغربية الحاقدة وبقصور النظرة تجاه الدين والغيب والوحي والنبوة.

لقد بدأت الصورة الشائنة عن الإسلام تتكون في العقلية الغربية وتصنع تأثيراتها الخطيرة حين بدأت أغنية «رولاند» في القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر ترسم معالم للإسلام والمسلمين ورسول الإسلام غريبة جداً فالمسلمون وثنيون يتحدون في فيالق من التوبة وعبيد صقالبه والأرمن والزنوج، في عبادة الثالث: محمد وترفاغات وأبولوب^(١)!!

«وهكذا - يؤكد مكسيم رودنسون - فالمؤلفون اللاتين الذين شرعوا بين (١١٠٠، ١١٤٠) في تلبية هذه الحاجة عند الجمهور الكبير ركزوا جهودهم على حياة محمد بدون أن يبالوا كثيراً بالصواب أو الدقة، مفسحين المجال حراً كما قال زود سودرن . . . إلى «جهل الخيال الظافر». في نظرهم كان محمد ساحراً دمر الكنيسة في إفريقيا وفي الشرق بالسر والخداع وبإباحته الاختلاط الجنسي^(٢) (!) العام^(٣) فتم اختلاق أساطير عن محمد ﷺ في الغرب المسيحي مازالت بقاياها تحتل مكاناً في الفكر الغربي والروايات الشفهية المتناقلة على الألسنة والتمكنة من الوجدان الغربي!

مع أن الباعث على اختلاق هذه الأكاذيب كان هو الحق على الإسلام وليس

(١) انظر جاذبية الإسلام للمشرق مكسيم رودنسون ص ١٨ .

(٢) يقول متوجومري وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص ١٠٣ «بل ذهبوا إلى أن القرآن

يبیح الشذوذ الجنسي» ويقول قبل ذلك «والواقع أن الصورة الأوربية للإسلام هي أبعد ما تكون عن

الحقيقة ص ١٠٢ .

(٣) جاذبية الإسلام لمكسيم رودنسون ص ٢٠ .

رؤية هادئة متوازنة وهو ما يُعبر عنه «غير دو نوجان» (المتوفي نحو ١١٢٤-١١٣٠) بقوله «يمكن بلا تردد أن نقول شراً عن الذي تتخطى طبيعته الشريرة كل ما يمكن قوله من شر»^(١)!!

وبحسب الخبرة العلمية العميقة بالفكر الغربي والاستشراق والحقد القديم يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي «وكانت هذه الدعاية قائمة على أساطير وأكاذيب جديدة لكتاب لم يعدوا الجهل بالأحداث التاريخية كما لم يحرموا موهبة تلفيق الأكاذيب. وكانت ثمرة هذه الدعاية هي ما اصطلح على تسميته منذ ثلاثة قرون في أوروبا باسم «أسطورة محمد»^(٢)

ويلخص لنا «أليساندرا داكونا» صورة أربعة قرون كاملة من صنع الأكاذيب والأساطير عن رسول الله محمد ﷺ بقوله «إن محمداً نفسه يقدم لنا مرة على أنه وثن ومرة أخرى على أنه مسيحي يُدعى أوكين، أو بلاجيوس أو نيقولا. وهو ساحر، وأمي وعالم في بولونيا: وقد جاء من القسطنطينية أو من أنطاكية أو من أزمير، أو من مناطق وثنية أخرى أو مناطق مسيحية، وهو مرة عربي، ومرة أسباني، ومرة أخرى روماني من عائلة كولونا، ومرة يختلط اسمه باسم معلمه (!)، ومرة يكون هو الراهب، أو المطران الذي كان على وشك أن يصبح بابا عند آخر الكتاب الذين ذكرناهم (يعقوب الأكويني) ... وقد ناقشنا هذا الثالوث نيقولا، وسيرجيوس، محمد، وقد يأتون أحياناً أربعة ... ومن أسطورة لأخرى تتغير الأسماء والأحداث: ويظهر الفن الشعبي والتقاليد الشفوية بقوة في الروايات مما يعكس الاضطراب في العقليات»^(٣) الاضطراب في العقليات - وبحسب

(٢) دفاع عن محمد ضد متقلديه .

(١) المرجع السابق ص ٢١ .

(٣) أليساندرا داكونا «أسطورة محمد في الغرب ص ٢٦٢-٢٦٣ في «الجريدة التاريخية للأدب الإيطالي» مج ١٣ (١٨٨٩) نقلاً عن المرجع السابق ص ١٦ .

الدكتور بدوي - المفرقة في الحماقة والغباء^(١) وقد وصل الحد بهذه العقليات المنحرفة أن زعمت أن الرسول ﷺ أباح للمسلمين كل أنواع الفساد الأخلاقي والتحلل الجنسي. وزادها الراهب جيوبرت رئيس دير نوجينت (١٠٥٢-١١٢٤م) الذي زعم أن الرسول هو راهب في كنيسة الإسكندرية وأنه «جاء ببقرة ووضع بين قرنيها كتاباً صغيراً وأخفى هذه البقرة عن أتباعه، وفي أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة وجعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها»^(٢) كما كتب مطران غرناطة بير باسكاو (١٢٢٨-١٣٠٠م) فزعم أن محمد روض ثوراً أمد به بحيرا الراهب - بزعمه! - وكان الوحيد الذي استطاع ترويض هذا الثور! «وآلف القرآن بمساعدة الراهب حيث كان مكتوباً على قرن الثور(!)»^(٣)!!!

يقول الدكتور بدوي تعليقاً على خبل المطران «وروايته تكشف عن خيال مضطرب مع أنه كان يعيش بين المسلمين وفي قلب مملكة غرناطة التي ظلت إسلامية حتى نهاية حكم المسلمين في أسبانيا عام (١٤٩٢) إنه لم يستفد إذاً من حياته في بلد إسلامي ومعايشته لأيام المسلمين ووجود كل ألوان الكتب في متناول يده»^(٤)

سيرى القاريء الكريم صوراً لهذا المطران في عالمنا العربي والإسلامي تتمثل في كثير من العلمانيين والمنحرفين والذين قدمنا نماذج لبعضهم في كتابنا هذا وذلك بعد عرض أسطورة فرويد عن موسى عليه السلام. فليس الأمر هو أن يعيش المرء في العالم الإسلامي أم لا يعيش فيه، فالخفافيش تعيش تحت الشمس وتحت ظل قبة السماء لكنها تكتفي بالليل البهيم وترضى العيش في حلقة الظلام.

وقد زعم «بودي» في التاريخ العام للأتراك عن النبي مايلي «فإنه لجأ كني مزور إلى الأكاذيب والجوانب الأسطورية ليغذي بها أحاسيس شعب خشن وجاهل مثل العرب . . . وبينما هو يتلهى (!) ببعض القصص التي تحكي ما جاء به من

(٣) المرجع السابق ص ١٠ .

(٢-١) المرجع السابق ص ٦ . .

(٤) المرجع السابق ص ١١ .

جديد، إذا بحمامة مروضة لهذا الغرض تطير من مكان قريب وتستقر على كتفه لتنقر حبات كان قد وضعها تحت أذنه ، وهكذا أوهم العرب بأنها تملي عليه إرادة الله وقوانينه»^(١) .

وحكاية هذه الحمامة والأذن في الأسطورة الكنسية ترددت كثيراً في الكتابات القديمة والحاقدة ورغم سخافاتهما فإنها كانت مقبولة عند الغربيين المضحوك عليهم! وقد ردها «هوجو دو جروت» ألياً (وهو باللاتينية ادوجروتوس) وهو الكاتب الشهير للرسالة المسماة (قانون الحرب والسلام)، أمستردام (١٦٣٠) زعم «أن محمداً روض حمامة لتطير إلى أذنه» وقد كان هذا الهوجو كما قال دكتور بدوي «كاذباً كبيراً ورجلاً مجرداً من أي ضمير علمي»^(٢) مع أنه كان من أعظم العقليات في أوربا وقد مدحه «ليبي» في كتابه «المذهب الذي لا يقارن» وكذلك «بير بايل» في كتابه «القاموس التاريخي والنقدي» وكيف يكون هذا الكذاب عقلاً كبيراً وقد زعم في دين العلم والقراءة وفي الرسول الذي كان يجعل مقابل إطلاق الأسرى أن يعلموا المسلمين الكتابة، زعم هوجو أن محمداً حرّم على الشعب قراءة القرآن يقول وهذا التحريم ليس عادلاً كما أنه يصيب بالشك المبرر في أنه يخفي نظاماً تعسفياً يمكن أن تكشفه القراءة في كتبه» (ص ٢٨٩)

ويعلق الدكتور بدوي على ذلك بقوله «بأي هلوسة يلوم جروت على الإسلام ما هو لوم على المسيحية (الكاثوليكية)، وهو أن قراءة القرآن محرمة على المسلمين (ألا يعلم أن قراءة القرآن وحتى حفظه عن ظهر قلب مفروضة على كل مسلم ومسلمة)^(٣) وعن الزعم بأنه أعظم الناس في أوربا - يقول بدوي - فهو أعظم

(١) عربي، هل قلت ص ١٣٦ . (٢-٣) دفاع عن محمد ص ٢٣ .

(*) كنت في زيارة لوالدة عبدالله وزينب (مسلمين هولنديين) يوم ٢٠٠٢/٤/١٥، فأخبرتني هذه المرأة التي خاضت معارك فكرية مع رجال من الكنيسة الكاثوليكية وقامت بنقد خرافاتهم، أخبرتني أن الكتاب المقدس كان ممنوعاً قراءته عليها وعلى رواد الكنيسة، فحتى ذلك الحين أي منذ نصف قرن - عمرها اليوم ٨٢ عاماً - كان الإنجيل الحالي ممنوع قراءته كما أنه لم يكن متوفراً لدى الشعوب !

من وصل إلى الغباء المطلق أو الخيانة العلمية المطلقة، ولذلك يجب أن تقلب الأحكام التقرظية الصادرة في حقه إلى النقيض^(١) وهكذا كان الابتكار الخرافي الخالص - يقول مكسيم رودنسون - الذي كان له لهدف واحد وخز إهتمام يختلط ينسب متغيره، بالتشويهاات الايديولوجية التي تضرب الحقد مع العدو إلى الحد الأقصى^(٢)

ويحكي لنا الدكتور عبدالرحمن بدوي^(*) لونا من ألوان التشويه الذي زيف شخصية رسول الله محمد ﷺ «تأخذ الأسطورة منحني آخر عند الراهب جيوربرت رئيس دير نوجينت (١٠٥٢-١١٢٤م) فظهرت أسطورة جديدة تقول بأن بطريرك الاسكندرية حين مات أراد راهب أن يخلفه في وظيفته لكنه طرد من الكنيسة، فوسوس له الشيطان بأن يعلن بأنه المسيح، ولقد قام هذا الراهب واسمه (ماثوموس) وهي التسمية التي صار يكتب بها اسم محمد^(**) بالزواج من أرملة غنية إسمها خديجة وأشاع أنه نبي بين حشد من الناس. ولقد جاء (ماثوموس) ببقرة ووضع بين قرنيها كتاباً صغيراً (!) وأخفى هذه البقرة عن أتباعه (!)، وفي أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة وجعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها، وقد وجدوا في هذا الكتاب جملاً تحلل لهم لكل أنواع الفساد الأخلاقي، وتبيح لهم أكل كل اللحوم المحرم أكلها على الناس. ويتضح جلياً - والكلام مازال للدكتور بدوي - أن هذه الأسطورة المضللة قد بني واضعها قصتها على أمرين، أحدهما: قصة الراهب (بحيري) التي وردت في كتب السيرة، واسم (سورة

(٢) جاذبية الإسلام ص ٢١ .

(١) دفاع عن محمد ص ٢٣ .

(*) الدكتور بدوي في حالة سيئة جداً في مستشفى بالقاهرة، على حسب ما قرأت في جريدة الحياة، في شهر يناير ٢٠٠٢، أسأل الله أن يشفيه فإن توفاه إليه أن يغفر له، ويضمه مع المخلصين، آمين .

(**) بنفس هذه الطريقة من التحريف المتمهد يقوم العشماوي وسيد القمى ورياد منى وكمال الصلبي وغيرهم مما سيأتي ذكرهم بتغيير معالم الاسماء وخلطها خلطاً فاحشاً كما سيأتي ذكره !

البقرة) السورة الثانية الواردة في القرآن، ومن خلال هذين الأمرين نسج خيال كتاب أوروبا في العصور الوسطى هذه الأسطورة المفروضة في الحماسة والغباء»^(١)

فأنت هنا ترى أن الكنيسة تزور الحقائق وتخترع الأساطير وتثير الأحقاد تجاه الإسلام، وهذا هو الشيء الذي ورثته الفلسفة وإن تغيرت صورته في القرون وتغيرت أساطيره في الرؤى الجديدة وعند أصحاب العلوم الذين كان للإسلام الفضل عليهم في منحهم عقلاً وفكراً، فهذا «فرنسيس بيكون» (١٥٦١-١٦٢٦) الذي تعلّم علوم المسلمين العقلية والتجريبية وتعرّف على الإسلام عن قرب، وهو داعية المذهب التجريبي الشهير، يحكي في أحد مقالاته والمسمى «الخدعة» يحكي مثلاً أن محمداً قال للعرب ذات يوم أنه يستطيع أن ينادي الجبل ليأتي إليه. وقد كان بعيداً، ولكن بعد أن ناداه محمد لم يأت ولم يتحرك وهنا قال محمد لهم «إذا كان الجبل لم يأت إلى محمد فإن محمد سيذهب إلى الجبل» (!) يعلق الدكتور عبدالرحمن بدوي على هذا التزوير بقوله «وإنني أتساءل كيف يمكن لرجل يدعى أنه يقيم أسس المنهج التجريبي وقواعده أن يعتقد في حقيقة تلك الفرية المختلفة! وللأسف فإن بعض السفهاء يرددون تلك الأسطورة حتى يومنا هذا»^(٢)

فالعقلية الأسطورية الغربية لم تتغير، وإن أخذت شكلها الجديد في الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية!^(٣)

وحتى العقلية التجريبية الغربية التي من الإسلام عليها بمنهاج تجريبي عظيم، كان المسلمون قد صاغوا قواعده في قوانين دقيقة، مذهشة وعجيبة، حتى هذه

(١) دفاع محمد محمد للدكتور بدوي ص ٦ . (٢) دفاع عن محمد ﷺ ص ٢٢ .

(٣) وهيجل قال عن المسلمين «إنهم يتحمسون للمجرد، لفكرة مجردة تظل سليمة تجاه كل ما هو موجود» من كتابه دروس حول فلسفة التاريخ (١٨٣٧) ولو كان الأمر كما رعم ما أنتج المسلمون الحضارة التي كانت أساس كل إيجاب في العالم، وما السلب الذي دخل على عالم الإنسان إلا من ضلال هيجل وامثاله، راجع الفصل الأول أخى الكريم .

العقلية كما قد رأيت أخي القاريء في مثال «يكون» لم تتحرر كاملاً من العقلية الكنسية التي ظننت أنها انتصرت عليها وتحررت من قيودها العقلية والفكرية والبيئية!!

كذلك فإن «سيجموند فرويد» الطبيب اليهودي النمساوي، والذي ولا شك - كما قدمنا - كان متأثراً بالفكر الفلسفي وبهذا الإرث الموروث عن العقل الكنسي، إن «فرويد» لا يختلف كثيراً وهو الذي توفي سنة ١٩٣٨م (من القرن العشرين) عن رواد صناع الأساطير المزورة عن الرسول محمد ﷺ، والذين كانوا في الأساس مسيحيين - ويهودا - متعصبين!، وهو الذي يدعى موضوعية العلم ويعده عن الانسياق وراء التلفيق الفكري والتاريخي^(١) رواد القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي اقرأ نصه المشوه للحقائق الذي يقول فيه «... الديانة المحمدية ظهرت مقلدة لليهودية. وهناك من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن النبي محمد كان يجمع في الأصل اعتناق الديانة اليهودية، هو وكل شعبه (!)، واثمرت لدى العرب العودة إلى الإيمان بالآب الواحد البدائي الكبير تقدما غير عادي في الثقة بالنفس، ثقة أدت بهم إلى إحراز نجاحات دنيوية عظيمة»^{(٢)(٣)}.

إن فرويد كما ترى يكرس ذهنية الأساطير الغربية عن الرسول محمد ﷺ وبدل أن كان محمد ﷺ في الأساطير والرؤى الغربية والصليبية القديمة وثناً أو ساحراً أو كاهناً مسيحياً مرتداً، أو مطراناً مطروداً وكان يسمى ليصبح بابا، أو أنه متأثر بالمسيحية!، بدل أن يكون محمداً شيئاً من ذلك يقوم فرويد في العالم الجديد بنسج أسطورة جديدة

(١) انظر قراءة سياسية للتوراة ص ١٠٣ .

(٢) النبي موسى ورسالة التوحيد لسيجموند فرويد ص ١١٤-١١٥ .

(٣) أما «بالذاك» فقد قال - فيما يصنع أسطورة سخيفة عن الرسول محمد ﷺ «محمد هو شخصية اتخذ فيه سحر الصابئة العتيقة (!)، وشعر الديانة اليهودية الشرقي ... صحيح أن محمد اقتبس من اليهود فكرة الحكم المطلق (!)، ومن البيانات الدعائية ... لقد كان قدره مرسوماً من خلال ولادته نفسها، لقد كان أبوه ملحقاً (!)، وكانت أمه يهودية (!!!!!) بالذاك: غالباً ١٨١٤» نقلاً عن عربي، هل قلت عربي ص ١٣٢ .

تزعم أن الرسول كان يزعم هو وكل شعبه اعتناق اليهودية.. ويقولون بأن فرويد كان طبيباً وليس مريضاً!!

لقد أثمرت الأساطير المسيحية واليهودية القديمة عن الرسول أساطير حديثة رجالها أطباء وعلماء في مختلف المجالات ينسبون للرسول أشياء يعجب لها المرء، يعجب كيف أن الخيال الغربي مضطرب إلى هذا الحد إذا ما تعلق الأمر بالله أو الرسل أو النبوة أو الوحي أو الغيب، ثم يزداد العجب أكثر عندما أقرأ لبعضهم يزعم أن العقلية الغربية عقلية واقعية والعقلية الشرقية عقلية خيالية ضبابية!

وهذا «فرويد» يخبرك عن خياله ويطلعك على خياله، عندما يضع للبشرية أسطورة الأب الذي قضى عليه ابنه كراهية له بسبب منافسته على أمه^(١) أو أسطورة الأبناء الذي كانوا يرغبون في أمهم جنسياً وكان الأب الأول مستبداً عنيفاً فقتلوه ليحصلوا عليها... ثم ندموا ثم عبدوا روحه ثم عبدوا آلهه شتى... ثم عبدوا الإله الواحد كرمز للأب المقتول، وهو الذي يزعم فرويد أننا نحن المسلمون نعبدُه!

أليس هذا خيالاً ساقطاً، خيالاً غريباً وليس شرقياً!^(٢)

(١) يقول فرويد «إن الكراهية التي تنشأ في نفس الولد نحو أبيه بسبب منافسته على أمه، لا تستطيع أن تتولى على نفسه دون أن تتعرض للمنع والحجر، فإن عليها أن تصارع الحب والإعجاب اللذين نشأ قبل ذلك في نفسه تجاه الشخص ذاته» من كتابه المحرم والطوطم ص ١٣٩، هذه الكراهية التي يلوث بها فرويد الجنس البشري كله، وهذا الميل المزعوم نحو الأم رغبة في الحصول عليها جنسياً هو خيال فرويد المريض الممرغ في عالم الجنس المتطرف، إنه يجعل هذه النفسية حقيقة للطفل الإنساني كله ويجعل من ذلك قصة قتل الأبناء الآباء لأجل الحصول على هذه الأم المزعومة ويزعم أن نشأة الدين والأخلاق نتجت عن هذه العقيدة وظروفها وتطوراتها التاريخية!!!

(٢) ومع ذلك يقول إيمانويل كانط في ملاحظات حول الجمال والسو ١٧٦٦ «أن مخيلة العربي تصور له الأشياء انطلاقاً من أضواء مُشوَّهة» انظر كتاب عربي ص ٨٧.

ولا أعرف أين إدعاءات الموضوعية والملاحظة العلمية الرصينة، والعملية التجريبية البحثية في هذا العالم الخيالي المزور الذي صنعه فرويد للبشرية وللدين وللأنبياء، وهو العالم الذي تصوره فرويد عن التاريخ البشري على الأرض.

ويقولون إن فرويد كان متخصصاً في معالجة الأمراض العصبية والنفسية، وهو الذي له ثلاثون كتاباً في الدراسات النفسية!

لقد رأى فرويد ظواهر إنسانية عامة كما رأى ظواهر مرضية منحرفة عند مرضاه فاختلط عليه الأمر فجعل ما هو مرض وعارض وخاص بفئة معينة لها ظروف خاصة، جعل ذلك عاماً و كلياً وبشراً مطلقاً فكانت أغلب نتائج أبحاثه وتفسيراتها منحرفة حقاً! ثم وضع لذلك كله رؤية خاصة أحادية وتفسيراً معيناً جزئياً ومشوهاً على خليط من أفكار دارون وغيره من الذين انحرفت رؤيتهم في نظرتها إلى الإنسان والحياة وفقه الكون، هذه الرؤية الفرويدية أضرت بحقائق الإنسان، وحقوق الطفل، وحقائق الدين والتاريخ!، وهي في النهاية تؤدي إلى إختفاء دور الخليفة ومرجعية الخلافة! (*) بيد أن المشكلة التي نواجهها في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، ليست هي انحرافات فرويد اليهودي فقط، ولكن المشكلة الخطيرة التي نواجهها أيضاً هي انحرافات كثير من المثقفين العلمانيين العرب الذين أقاموا أنفسهم رسلاً لأفكار فرويد وغيره وأساطيرهم عن الإنسانية والأنبياء والغيب والشرائع السماوية.

كذلك فإنني في هذا الفصل سوف أعرض لموقف فرويد من النبي موسى عليه السلام ومن ثم موقف (رسله من العلمانيين العرب) من النبي موسى وكذلك من

(*) يقول الدكتور مراد هوفمان السفير الألماني الذي أسلم منذ زمن « اتخذ الكثيرون الفرويدية عذراً في التنصل من مسؤولياتهم ، البت تصرفاتهم صادرة عن اللاوعي؟ التحرر من (إملاءات الأنا العليا) أصبح على قائمة الرغبات، باختصار تغذى الفرويدية، ليس فقط المادية والجنس ومبدأ اللذة فوق كل شيء بل وتنفت السموم في صرح التقاليد والأخلاق ... وفي الواقع أصبحت الفرويدية - ماأرادت إزاحته - شكلاً جديداً لدين سحري زائف، للعلاقة الجنسية فيه مكانة بارزة، أصبح فرويد وزملاؤه مستبدين يمثل الاستبداد السابق للكهنة المسيحي» من كتابه خواء اللذات والادمغة المستمرة ص ٥٣ .

الدين والتوحيد والأنبياء والغيب والشريعة، ليتعرف القاريء على مصادر الثقافة العلمانية التي تقف بالمرصاد - وفي مواقعها العتيدة! - للثقافة الإسلامية الأصيلة وللمنهج الرباني الذي هو مصدر هذه الثقافة ومنبعها الصافي.

إن مصدر العلمانية العربية هو خرافات وأساطير وخيال العقل الغربي الشائنة الذي كونه ظروف صراع مرير ضد الكنيسة الغربية. هذا هو ما أردت تقديمه بين يدي أساطير فرويد وفليكوفسكي والعشماوي والقمني وغيرهم ليضع القاريء يده على ظروفها وآلياتها وأهدافها وغاياتها وأيديولوجياتها الكامنة خلفها والمسترة وراء مزاعمها العلمية والموضوعية!

فرويد الطاغوت الذي يعبدّه باحثون عرب!

«سيجموند فرويد» اليهودي المولد، عالم التحليل النفسي الغربي الطبيب النمساوي هو صاحب فلسفة تكمن خلف أبحاثه السيكلوجية وخلف نظريته عن الإنسان وعن الدين وعن الحياة الاجتماعية البشرية قدمناها في الفصل الأول. وفي هذا الفصل نريد إظهار موقفه من موسى عليه السلام ومن مفهوم الدين.

إن «فرويد» يقلب التاريخ النبوي العام - بل والتاريخ البشري كله! - ويزعم أن عقيدة التوراة التي تقول بأن موسى نبي عبراني ورسول من عند الله كذب وتزوير وقلب للحقائق التاريخية!.. هكذا جملة واحدة!! وبفلسفته في التحليل النفسي يصل فرويد إلى أن الإنسان موسى ... لم يكن يهوديا بل مصرياً^(١) إنها «التيبة المستخلصة» أو التي مؤداها أن موسى كان عظيما من عظماء المصريين^(٢)

فاليهود في زعمه هم الذين اخترعوا موسى العبراني لمصلحة إتجاهاتهم ما أدى إلى إخفاء حقيقته المصرية بوصفه مصري من أتباع إخناتون؟، يقول «وليس بوسع أي مؤرخ أن ينظر إلى القصة التي ترويها التوراة عن موسى والخروج بأكثر من أنها

(٢) المرجع السابق ص ٣٥ .

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص ٣٦ .

أسطورة دينية قلبت إحدى الروايات البعيدة لمصلحة إنجهااتها»^(١)

كما أنه يزعم أيضاً أن التوراة «نسجت أساطير الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب»^(٢) بيد أنه لا يكتفي بهذا الهراء بل يزعم أنه سيعيد بناء التاريخ البشري في روايته الكبرى وفي نموذج منها هو رواية تاريخ موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، يريد إعادة بناء الرواية^(٣) من جديد!

فيقول بأن موسى الحقيقي مصري الأصل ولم يكن قط من بني اسرائيل! «هذا هو ما تقرر تاريخياً، وعند هذه النقطة يبدأ العمل في الرأي الذي نراه، وربما كان هناك رجل من خلصاء إخناتون يُدعى ثوتمس Thothmes كما كان يدعى الكثيرون في ذلك الوقت ولايهم الاسم ولكن الجزء الثاني من اسمه لابد كان «موسى Mose» وكان يشغل منصباً كبيراً^(٤) وكان من المؤمنين المقتنعين بديانة آتون، ولكنه كان على نقبض الملك المتأمل، كان ذا قوة وعاطفة متدفقة، وكان موت إخناتون والقضاء على ديانته يعني بالنسبة لهذا الرجل نهاية كل آماله ولم يكن يستطيع أن يبقى في مصر إلا متفياً أو أن يرجع عن دينه وينكره. وإذا كان حاكماً لإقليم من أقاليم الحدود فمن المرجح(!) أنه اتصل بقبيلة سامية معينة كانت قد هاجرت منذ بضعة أجيال، وتحول في يأسه وفي وحدته إلى أولئك الأغراب(!) وبحث فيهم عن تعويض لما كان قد فقده^(٥)، واختارهم ليكونوا شعبه، وحاول أن يحقق من خلالهم مثله، وبعد أن غادر مصر

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ .

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص ٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٥) يزعم فرويد أن موسى كان على الأرجح من كبار كهنة هليوبولس أي «عين شمس» مركز عبادة «آتون» انظر قراءة سياسية ص ٣٢٨، ويتعبير أحمد عثمان «كما جادل كتاب فرويد الأخير موسى والتوحيد المنشور عام ١٩٣٩ أن موسى كان أحد المسئولين عن بلاد الفرعون إخناتون وكان يسمى ثوتمس ، كان نصيراً للديانة «الآتونية» الأصول المصرية لليهودية لأحمد عثمان ص ٨٧ .

(••) بالله عليك أخى القارئ هل هذا تحليل نفسى أو علمي أو حتى تحليل إنسان عاقل !!!؟

معهم^(*) يصحبه أتباعه الملاصقون، باركهم بختانهم ومنحهم الشرائع وبشرهم بديانة آتون التي قد نبذها المصريون توأ^(١) وربما كانت الشرائع التي أخذ بها موسى يهوده كانت أقسى من الشرائع التي استنتها سيده ومعلمه إخناتون، وربما كان قد ألغى كذلك الارتباط بإله الشمس في أون، الذي كانت ديانته إخناتون ماتزال من المؤمنين به ويجب أن نحدد زمن الخروج من مصر بأنه جرى خلال الفترة التي وقعت بين حكم إخناتون وحكم من ولي العرش بعده سنة ١٣٥٠م. وتغمض بصفة خاصة الفترات الزمنية التالية حتى إمتلاك أرض كنعان... ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة نفسها بأنهم كانوا عنيدين لا يطيعون مشرّعهم وزعيمهم، وتمردوا عليه آخر الأمر وقتلوه وطرحوا عنهم ديانة آتون التي فرضها عليهم... وأنهم هناك في بقعة خصيبة اسمها قادش وتحت تأثير قبائل مدين العربية، اعتنقوا ديانة جديدة هي عبادة إله البراكين يهوه. وبعد ذلك مباشرة كانوا مستعدين أن يفتحوا أرض كنعان.^(١)

وهكذا وضع موسى في «عهد إخناتون» وجعله أحد أتباعه وتلاميذه وقواده الأقوياء ثم زعم أنه كان يعتقد ديانة إخناتون، ديانة إله الشمس! ، ولما هزم إخناتون... إضطر موسى المصري - بزعمه طبعاً! - أن يبحث عن شعب يحمل الفكرة الآتونية المصرية التي رفضها المصريون توأ، فوجد شعب اليهود الذين وافقوا على أفكاره الآتونية وعلى الخروج معه من مصر لتحقيق أحلامه وأحلامهم التي صنعها هو بنفسه لهم... لكنهم ما لبثوا أن قتلوه وتخلصوا منه... بعد الخروج بفترة... تخلصاً من العقيدة الآتونية... ولسبب نفسي غائر في النفس البشرية لا بد أن يحقق تجربته المكررة وعودته العنيفة بقتل الأب البارز الطاغوي المستنير وهو في هذه الحالة «موسى» ، فيتحقق تصريف الكبت المكتوم في الصدور ويتم «عودة

(*) يقول فرويد « يمكننا أن نفترض (!) أن ذلك الخروج وقع بطريقة سليمة تماماً وبلا مطاردة» انظر قراءة

سياسة للتوراة ص ٣٢٧ .

(١) النبي موسى ص ٨١-٨٢ .

المكبوت! يزعم فرويد بناء على أفكار دارون عن الشعوب البدائية المزعومة التي زعم أنها كانت لا تعرف اللغة ولا الدين ولا الأخلاق ولا شيء من هذا القبيل، وبناء على أفكار «أنكسون» في مفهوم النظام الأبوي القديم الذي أدى - بزعمه - إلى تمرد الأبناء الذين اتحدوا ضد الأب وتكاثروا عليه وأكلوا جميعاً جسمه يقول بناء على هذه المقدمات المزيفة «وقلت متابعاً نظرية روبرنسون سميث في الطوطم أن هذه العشيرة التي كان يحكمها الأب سابقاً، أعقبتها عشيرة أخوية طوطمية. ونبذ الأخوة المنتصرون النساء اللاتي من أجلهن قتلوا الأب(!)، ووافقوا على أن يتزوجوا من خارج عشيرتهم، وهكذا تبددت سلطة الأب(!)، ودخل التنظيم الأسري عن طريق النظام الأموي. وظل هناك إحساسات لدى الأبناء، يعارض كل منهما الآخر تجاه الأب... وبدلاً من الأب أعلن عن قيام طوطم من حيوان معين، حل محل جدهم والروح الحامية لهم... وكانت العشيرة تجتمع مرة كل عام تحتفل بطوطمها... وكان تكراراً مقدساً لاغتيال الأب الذي بدأ به التنظيم الاجتماعي والقوانين الأخلاقية والدين»^(١٠)!!!

يقول «وبعد أن قام الترابط بين عشيرة الأخ والقبيلة الأموية والزواج من غير الأقارب والطوطمية، بدأ هناك تطور يمكن أن يوصف أنه دعوة بطيئة للمكبوت... إنني أعني هنا أنه شيء ماض، قد اختفى وأمكن التغلب عليه في حياة الشعب، وهو ما أتحجراً على أن أعامله كمساو للمادة المكبوتة في الحياة العقلية للفرد... وينبغي أن نخلص من ذلك إلى أن المتخلف العقلي من تلك العصور البدائية صار ميراثاً لا يحتاج مع كل جيل جديد لمعاودة تحصيله بل لإيقاظه»^(١١)..

(١٠) يقول «إن قتل الأب هو نواة التوطمية ونقطة البداية في نشأة الديانة» حياتي والتحليل النفسي ص ١٠٢ ويقول «أنه قام في نفس الابن صراع بين التمرد على أبيه وبين محبته له... بغية التكفير عن فعله اغتيال الأب من ناحية، وتدعيم المنافع التي تنمر عنها من ناحية أخرى» ص ١٠٣ نفس المرجع.

(١١) النبي موسى ص ١٥٠.

(١٢) إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تكرر التجربة ويقتل المسلمون نبيهم وكذلك الاتباع أنبيائهم!

ولا أستطيع أن أعطي إحصاء يسيراً للمراحل التي تسير فيها عملية العودة (!). لقد صار الأب مرة أخرى زعيم الأسرة، ولكنه لم يعد صاحب السلطان المطلق ... ويبدو أن فكرة الكائن الأعلى ظهرت مبكرة، وكانت في أول الأمر فكرة ضبابية وخالية من أي ارتباط باهتمامات للبشر اليومية ... نظمت الآلهة ... ثم اتخذت للبشرية في تردد الخطوة الثانية لعبادة إله واحد، وأخيراً تقرر التنازل عن كل سلطة لإله واحد فقط، وعدم قبول أي إله آخر إلى جواره وحينئذ فقط أعيد مجد الأب البدائي. وكان من الممكن أن تتكرر العواطف التي تدور حوله «(*)»!!

وخلاصة هذا الكلام هو أن البشرية بدأت تعود إلى الحالة الأولى في تمجيد «الأب البدائي» الذي زعم أننا نحن المسلمين نعبد! كما تقدم من كلامه!، وفي هذا المناخ زعم أنه لا بد أن يعود المكبوت للظهور ولا بد أن تتكرر العواطف التي تدور حوله وهو ما يعني تكرار التجربة المبكرة - المزعومة! (*) - ويقتل الشعب الرجل البارز فيه (*) وفي حالة بني إسرائيل كان موسى هو المقتول «(*)»! وكل ذكرى تعود من الماضي المنسي تعود بقوة هائلة، ونُحدث أثراً قوياً لا يضاويه أثر آخر على جماهير البشر «(٢)»
ويزعم أن إمبراطورية إخناتون هي السبب الخارجي لظهور فكرة التوحيد «فإننا نرى

(*) إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتكرر التجربة ويقتل المسلمون نبيهم وكذلك الاتباع أنبيائهم !

(١) النبي موسى ص ١٥١-١٥٢ .

(**) يقول فرويد « قتل الأب الذي ساد في العصور البدائية، نُقل إلى اليهود كمصير مقدر وهو أن يكرروه على شخص موسى (!)، وهو بمثابة بديل للرب ولكنه بديل عظيم وكانت هذه حالة من الحالات التي يكون فيها فعل وليس تذكر، وهو شيء كثيراً ما يحدث عند العصاةين (١) خلال جلسات التحليل النفسي ص ١١١ وقد استجاب اليهود للمذهب موسى - الذي لا بد أنه أثار ذاكرتهم (١) - وأنكروا ما ارتكبوا فلم يتقدموا أكثر منه اعترافهم بالأب الكبير ... وهكذا صار مقتل موسى الذي ارتكب شعبه ... همزة وصل هامة بين العقل المنسي للعصور البدائية ومعاودة ظهوره، في التالي في شكل الديانات التوحيدية « النبي موسى ورسالة التوحيد ص ١١١ . يقول « إن الديانات المحمدية كانت تكراراً على نطاق ضيق للديانة اليهودية ص ١١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦ .

إن هذه الفكرة التي انتزعت من تربتها ونقلت إلى شعب آخر - قد تملك هذا الشعب بعد فترة كمون طويلة... أضفت عليه افتخار أنه الشعب المختار، وهي دين الأب البدائي»^(١)

وبعد أن قتلوا زعيمهم، كان لابد أن يحدث الكبت مرة أخرى، والنيان للحادثة مرة أخرى واخفاءها مرة أخرى وذلك لأسباب نفسية تشبه أسباب التجربة المبكرة للبشرية الأولى بزعمه، أسباب وجيهه «لكبت ذكرى المصير الذي وقع لزعيمهم ومُشرعهم... واحتاجت الفكرة الوقت لتكتمل وتُكتب في الأسفار»^(٢) وهو ما يعني أن ما كتب في التوراة عن نبوة موسى هو تحريف وتغطية على حقيقته!!! فالنظرية كما ترى عبارة عن أفكار مضطربة، ونظرات مشوّهة عن الجيل الكريم الأول من البشرية الأولى ولمفهوم الدين والنبوة ولطبيعة وشخصية موسى ودعوته الكريمة، أفكار ليست لها أساس علمي أو حقيقة تاريخية، أو اكتشافات أثرية حقيقية! إنه يستخدم نظريته في «الكبت» و «عودة المكبوت» - وهي النظرية الكاذبة المزيفة للحقائق كلها - ليطبقها أولاً على الجيل الكريم الأول من البشرية ثم على الجيل الكريم الأول الذي آمن بموسى عليه السلام نبياً ورسولاً، وهو نفسه يزعم أنهم يجعلهم موسى نبياً ورسولاً أخفوا الحقائق لدوافع سرية.. إذاً هو لا يتكلم عن محرقة يهود الذين ادخلوا بعض الأكاذيب على شخصية موسى وعلى جهاده وإنما يتكلم عن موسى نفسه فيجعل صورته التي اتفقت عليها الشرائع السماوية يجعلها كاذبة لأن المؤمنين بموسى «استعظموا أن يتخيلوا أن الإنسان موسى يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى أنه عبراني»^(٣) لماذا استعظموا ذلك يجب الآن «الشعب اليهودي كان في حاجة إلى أن يجعل منه يهودياً»^(٤)!!

لكن فرويد ليس غيباً في طرح نظريته!، فهو يعرف أن القاريء عنده أسئلة

(٢) المرجع السابق ص ٨٨-٨٩-٩٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦ .

(١) المرجع السابق ص ١٠٧

(٣) المرجع السابق ص ٢٨ .

كثيرة تشير إلى ثغرات خطيرة وقفات عجيبة وخيالات مدهشة في نظريته، كذلك فإنه يحاول التفلسف من ذلك بالقول بأن دراسة علم الاجتماع البشري والتاريخ القديم صعب على الإنسان العادي ومع ذلك يعترف أن في نظريته فعلا ثغرات يقول «وينبغي أن أعترف أن هذه النظرة التاريخية (!) ترك الكثير من الفجوات وتحتاج في كثير من النقاط إلى تثبيت أكثر (!) ومع ذلك فإن من يعلن أن هذه النظرة التاريخية (!) التي تُعيد بناء التاريخ البدائي نظرية خيالية بسيء تقدير غناها (!) وقوة الدليل التي أسهمت في إقامته»^(١)

ثم يقول عن نظريته أنها ليست فنية «ولا أوافق أنا نفسي عليها من كل قلبي»^(٢) لكنه يعترف أن الفكرة كانت «تلح على كالشبح لا يهمد»^(٣) وهو يعترف أن نظريته خيالية من إحياء منهجه التحليلي القاصر. «نعترف بأننا لا نملك حتى الآن أي دليل على وجود آثار متخلقة في الذاكرة لميراثنا البائد (!) أقوى من هذه البقايا في الذاكرة (أي ذاكرة فرويد!!) التي يستند عليها التحليل النفسي... وإذا كانت الأوضاع على غير ذلك، فإننا سنكون عندئذ غير قادرين على التقدم خطوة أخرى في طريقنا، سواء في مجال التحليل النفسي أو في مجال علم النفس الجماعي»^(٤) ثم يعترف بعدم توفر المعلومات^(٥) ويعترف أنه بعد كتابة نظريته في موسى صار بحثه هذا كخلق غريب عليه^(٦)!! وكلما إنتقل خطوة في البناء النظري لنظريته عن موسى يخترع موقفاً ليس له في التاريخ واقع حقيقي، انظر إليه مثلاً وهو يتكلم عن مازعه من قتل اتباع موسى لموسى يقول «ومن السهل (!) تخيل (!) أن إحدى تلك التمردات إنتهت إلى خاتمة أخرى خلاف ما يورده النص»^(٧) ولشعوره بفراغات كثيرة في نظريته وفقدان الأدلة المادية على ما تزعمه تجده يقول «والذكريات غير الكاملة (!) والمضنية للماضي،

(٢ - ٣) المرجع السابق ص ١٢٤ .

(٥) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٧) المرجع السابق ص ٧٠ .

(١) النبي موسى ص ١٠٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٦) المرجع السابق ص ١٢٥ .

والتي نسميها تراثاً، هي دافع عظيم للفنان، لأنه يكون حراً في ملء الفراغات في الذكريات طبقاً لما تمليه عليه مخيلته وأن يشكل طبقاً لما يقصد من هدف صورة الزمن الذي آل على نفسه إحياؤه»^(١)!!

ويقول بما لا يدع مجالاً للشك أن نظريته تحمل بذور تدميرها الذاتي وحقارتها الذاتية «وعند هذه النقطة أتوقع أن أسمع عتاباً بأنني قد بنيت نظريتي - التي تضع موسى المصري في عهد إخناتون واستمدت من الوضع السياسي للبلد الذي كان فيه في ذلك الوقت قراره بحماية الشعب اليهودي^(*) وسلّمت أن ديانة آتون هي الديانة التي أعطاها لشعبه، أو أنها الديانة التي أثقلهم بها^(**)»^(١) والتي كانت قد أبطلت من مصر نفسها تواتراً. وعند هذه النقطة أتوقع أن أسمع عتاباً بأنني قد بنيت هذا الصرح من التخمينات بيقين عظيم، لا توجد أسس كافية في المادة نفسها تبرهن عليه وأظن أن هذا العتاب لن يكون له ما يبرره. فلقد سبق لي في المقدمة أن أكدت عنصر الشك»^(٢)

كان أمام فرويد لغز نتج عن ضبابية قصته الخيالية وليس عن الواقع المادي الموجود على الأرض، أو عن ملاحظة أو تجريب أو استقراء لوقائع واضحة! واللغز هو كيف يمكن لمصري أن يسوق شعباً من الأغراب ويعطيهم عقيدة؟!^(٣) للإجابة على ذلك يبدأ فرويد بالتخمين لا بالملاحظة التاريخية أو استقراء المادة المتوفرة أو باستقراء حادثة حقيقية ما، فليس عنده ثم مادة تعينه، إذاً فليلجأ إلى التخمين يقول «فليس من المصدق أن إنساناً عظيماً مثل موسى المصري (!) كان من الممكن أن يقترب من شعب غريب عليه بدون أن تكون له بطانة. فلا بد أنه قد استجلب معه

(١) النبي موسى ص ٩٢ .

(*) في موضع آخر يقول شيئاً آخر، يقول «بأنه فعل ذلك لتحقيق أحلامه هوا» .

(**) إن فرويد يؤمن بأن التحرر من الدين يحقق رغبات البشر لأن الدين بأخلاقه الثقيلة على النفس يمنع

الإنسان من تصريف رغباته الحيوانية !!

(٣) المرجع السابق ص ٣٧ .

(٢) النبي موسى ص ٥٤ .

حاشيته من اتباعه المقربين وكتبته وخدمه وهؤلاء كانوا اللاويين الأصليين»^(١) وهكذا يضع المشكلة ثم يحاول حلها وليس ثم واقعة؟!!! ولقد قام هو نفسه بالهجوم على كثير من علماء الطب الغربيين الذين عارضوا نظريته وسفهوها وقالوا بأنها ليست جدية وأنها غير عقلية وغير ناضجة هاجمهم وقال إنهم كانوا على جهل تام بالموضوع «ولأنه لعجيب، حقاً، أن معظم الناس يسلكون مسلكاً غير أمين إذا اضطروا إلى تكوين حكم خاص على موضوع جديد»^(٢) وهل كل تخمينات فرويد هنا إلا أفكار لا أساس لها من الصحة ولا من البحث التاريخي والعلمي، لقد بناها على خلاصة فلسفات ونظريات غير صالحة للتعامل (نظريات التخمين!!) مع الإنسان وتاريخه كما شكلها بفلسفته الخاصة، الخيالية في تفسير الدين والمجتمع البشري تفسيراً مريضاً، عصابياً بالدرجة الأولى، وهو لم يطلق العنان لفكره لمدرسة الوقائع الحقيقية وإنما كما قال هو نفسه عن مؤلفاته اللاحقة «أطلقت العنان للميل إلى التفلسف الذي كبحتة زمناً طويلاً»^(٣) وهو هنا مراوغ فمؤلفه موسى والتوحيد يظهر عليه أيضاً أسلوب التفلسف كما تظهر عليه حيلة التدخل في تحريف بعض النصوص لجعلها تتماشى مع غرضه وهدفه المرصود الذي سخر له خياله المريض! وهو نفسه قال إنه قبل كتابته لهذا الكتاب كان قد تأثر بكتاب «و. روبرتسون سميث» - لديانة الساميين - وفيه بعض من أجزاء نظرية فرويد اللاحقة عليه وكذلك دارون وقد اعترف بأنه اعتمد على أفكارهما في بناء نظريته عن موسى والدين والبشرية الأولى!، كما أنه ولا شك قد قرأ كما قال هو أيضاً «نيتشه» - وقد كان معاصراً لفترة معقولة من حياته - إلا أنه تحايل على قارئه فزعم أنه تجنبه زمناً طويلاً!!^(٤)

(١) النبي موسى ص ٦١ سيأتي من كلام محمد سعيد العشماوي عند هذه النقطة زعمه أن موسى وكهنته اللاويين

سيطروا على العبريين بالسر !!، وهكذا يقومون بالتحليل العلمي الرصين القائم على قدم وساق !!!

(٢) المرجع السابق ص ٨٧ .

(٣) حياتي والتحليل النفسي ص ٧٧ .

(٤) مع أنه قال بأن تخمينات نيتشه تتفق اتفاقاً عجيباً مع كشوف التحليل العلمي الشاقة !!! انظر ص ٨٩ من

كتابه حياتي .

ولو بقي فرويد في مجال تخصصه في مجال علاج مرض الأعصاب والعصاب والهستيريا وغير ذلك فلربما طواه التاريخ أو لربما أخذ من بحوثه الجيد وطرح منها القاصر^(١).

لكنه ذهب يخلط الفلسفة التي يحاول التبرؤ من تأثيراتها على بحوثه النفسية مع هذه البحوث نفسها ليخرج على العالم بأحقاده الغائرة وتشويهات نفسه القاصرة التي تزيف التاريخ، وتحيون الإنسانية، وتخرب الدين، ويُقزّم النبوة وتُفسد التوحيد، وتُشوّه الإنسان، وتُغير معالم عالمه الأرضي فتقلبه من عالم قائم على منهجية قيمة صحيحة تستمد مقوماتها وخصائصها من المنهج الرباني إلى فوضى القيم، وهمجية الحياة، وضياح الحدود، وإباحية الجنس، وانفتاحه المسعور! هذه هي جريمة فرويد حين أطلق العنان بلا قواعد لفلسفته الإباحية والتخريبية. إنه يقول إن تشويه النص لا يختلف عن الجريمة^(٢) في حين أنه هو نفسه قام بهذه الجريمة على أتم وجه، ما أنتج لاحقا جرائم بشرية في حق الله وحق الإنسان وحق الأنبياء وحق القيم الإنسانية الفريدة!

هذا هو فرويد اليهودي الذي عبده العلمانيون العرب الذين زعموا إبداع وادعوا الموضوعية.

أما الجريمة التي فعلها مجموعة من أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي، فهي أنهم إتبعوا فرويد حذو القذة بالقذة والشعرة بالشعرة.. ولم يخالفوه في قبائحه إلا ليتبعوا قبائح نظراءه ومساويء عقولهم الشائنة! وتكملة هذا الفصل ستكون إن شاء الله بعرض هذه النماذج المسوخة من كبار مثقفينا!

(١) يقول: «تجنبت في حذر (!) أي انغماس - في صميم الفلسفة» ص ٨٩ من كتابه حياتي وفي الحقيقة فإن

كلمة : في حذر، فاضحة، تكشف أنه فعل الفلسفة في نظريته لكنه لم يظهر مصطلحاتها المعروفة !!

(٢) حياتي والتحليل النفسي ص ٦٦ .

الباب الثاني

العلمانيون العرب
يخترعون الأساطير

الفصل الثالث

« لقد افتتحت قضية نصر (أبوزيد) الملحمة،

سيد القمني: رب الزمان ص ١٤٨

« أمانتنا العلمية... الرصيد الوحيد الذي نملك ونتيه به اعتزازاً،

سيد القمني: الأعمال (١) الإسرائيليات

قال تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)
وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣)
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا
إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا (١٧) إِنَّهُ
فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ
قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ
وَأَسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ
إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿

{المائدة: ١١-١٦}

وعلمانية تقلب الحقائق ببشاعة وحقد أعمى

ككل العلمانيين الذي يفرضون أفكارهم ونظرياتهم على العالم يؤكد الدكتور سيد القمني أنه يقوم بالبحث المدقق^(١) كما أنه يدعو القاريء إلى مشاركته «متعة البحث والإستقصاء، ومتعة الفرح بالكشف العلمي»^(٢)! «هو خلاصة جهد استمر عشر سنوات أو يزيد»^(٣) قال ذلك في مقدمة مشروعه الممتد على ١١٦٢ صفحة في أربعة أجزاء^(٤)، والذي غير فيه حقيقة موسى عليه السلام، وحقيقة النبوة، وحقيقة الدين، وغير المفاهيم القرآنية والمعالم التاريخية التي أكدتها النصوص القرآنية، وقال وهو يقوم بعمله الغير علمي والسيء القصد إنه يهدف إلى «إعادة قراءة لوضع الأمور في تصحيح نصابها تمهيداً لطرح رؤيتنا في علاقة الموسوية بالأنونية وموسى بإخناتون (!)»^(٥)

إنه يخدع قراءه دائماً بجرعة التهذئة المركزة «أول شروط العلم هو الامانة فيما نعلم»^(٥) هكذا يقول!

فالكشف العلمي والرؤية الآمنة وإعادة الأمور إلى نصابها تتمثل عند الدكتور القمني في نظريته - أو بالأحرى فريته! - عن موسى ﷺ أعظم تمثيل! يقول متحمساً لعرض خياله الخصب المليء بالأوهام «لقد كان قائد الخروج من مصر هو الفرعون (إخناتون) بذاته وكان هو من عرفت اليونان قصته باسم (أوديب) وهو ذاته ما دونت التوراة في قصتها الكبرى اسمه (موسى) وهذا ما سنحاول أن نقيم عليه الأدلة

(١) انظر مثلاً كتابه إسرائيل - التاريخ ص ١٠٣ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة وهو أربعة أجزاء، ج ١ ص ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٩ .

(٤) وهو كتاب النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة .

(٥) إسرائيل ... التاريخ ... ص ٢١٩ .

(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٧٢٤ .

من الآن وحتى نهاية هذا البحث»^(١) البحث الممتد على مساحة ١١٦٢ صفحة كما قدمت!

ويبدو أنه من صناع الأساطير لتدمير حقائق التاريخ، فمهمته كما عبّر عن ذلك بنفسه هي «تضفير النسيج بين إخناتون وأوديب وموسى»^(٢)! ومفاجأة التضفير القمنية هي بحسب لفظة «أوديب هو إخناتون هو موسى النبي، شخص واحد في ثلاث روايات مختلفة، شخص مصري معلوم الشأن هو إخناتون، وشخص يوناني هو أوديب في تراجيديا اليونان، وشخص إسرائيلي هو موسى في رواية عبرانية مقدسة»^(٣) إن الأصل - عند الدكتور القمني - الذي اقتبس منه محرروا التوارة - بزعمه! - هو إخناتون المصري ابن آمنحتب الثالث^(٤) والملكة المديانية (تي) وعلى ذلك فموسى إنما هو إخناتون معدّل، أُعطيَ سَمَات عبرانية وملامح إسرائيلية بعد أن تم إخفاء الأصل ونجاح العملية الإقتباسية القسرية!!! وهو إخناتون قبل إعطائه في الرواية التوراتية اسم موسى وصفة نبي ورسول وجنسية إسرائيلية!!

يقول القمني «إن موسى كان ولي عهد مصر فعلاً بحسبانه إخناتون»^(٥) فالطفل الذي ولد في مصر «إخناتون» والذي قتل أباه وزنى بأمه ثم تزوجها - بحسب ما سيأتي عرضه من كلام القمني - إنما هو موسى فعلاً بحسبانه إخناتون!!

(١) النبي موسى آخر أيام تل العمارنه ج٣ ص ٨٢٨ .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ٩١٣ .

(٣) المرجع السابق ج٣ ص ٨٢٨ .

(٤) أما إخناتون فهو عند القمني آمنحتب الرابع يقول « أن آمنحتب الرابع / إخناتون كان ابن إله مرتين، الأولى لأن والده آمنحتب الثالث قد نصب نفسه إلهاً وعبدته الناس باعتباره الابن المباشر للإله آمون .. وعندما عاد إخناتون إلى مصر حاقلاً على أبيه ... أعلن نفسه ابناً مباشراً للإله الجديد آمون » ج٣ ص ٨٤٤ نفس المرجع .

(٥) المرجع السابق ج٣ ص ٨٦٢ .

وهو ابن فرعون وليس ابن لآب عبراتي وأم عبرانية «كان هذا الطفل - يقول القمني - هو ابن فرعون بال ميلاد والجنس»^(١) العشماوي - كما سيأتي - لم يقل مثل القمني بأن موسى هو ابن الفرعون وإنما زعم أن الفرعون هو جده فهو ابن ابنته أي حفيده!! والمدعش أن القمني جعل والد إخناتون/ موسى/ أوديب هو الفرعون آمنحتب الثالث في الأصل المصري المزعوم!

أما العشماوي فإن الفرعون المزعوم أنه جد موسى وابن ابنته هو رمسيس الثاني وليس آمنحتب الثالث فالزمان مختلف والفرعون مختلف وحتى موسى فمختلف أيضاً وفضلاً عن ما تقدم فهو عند القمني إخناتون نفسه أما عند العشماوي فهو غيره وليس هو وإنما نقل عنه كما سيأتي ذكره بعد قليل وكذلك فأوديب عند العشماوي لم يكن هو إخناتون ولا موسى!

ويعتبر العشماوي من يقوم بالربط بين إخناتون وأوديب إنما يلوي الحقائق ويحرف التاريخ مع أن العشماوي فعل أكثر من ذلك واشنع وأكثر تعسفاً إذ جعل - كما سيأتي- من فرعون جداً لموسى ومن ابنته أمماً حقيقية له، ومن ديانتته مصرية صميعة، ومن خروجه من مصر خدعة لإخراج بني اسرائيل منها باتفاقه مع جده الفرعون بزعم المستشار الذكي!!

وعلى كل فنحن نذكر قول العشماوي هنا يرد به على سيد القمني ومن شاركه القول في الربط بين إخناتون وأوديب! يقول «إن هذا الاتجاه التعسفي بدأ من بعض الباحثين الأيدلوجيين الذين أرادوا(!) أن يقضوا على إخناتون وتوحيده الصافي(!) وشاعريته المرفهة فزعموا أنه أوديب الإغريقي، وظلوا يدللون على ذلك بأسماء طيبة وأبي الهول^(*) التي كان الإغريق قد استعاروها من مصر، كما استعارت كثير

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٨٦٢ .

(*) هذه طريقة أخرى في الاستدلال تختلف عن طريقة القمني .

من البلاد لفظ الإسكندرية حالا (حاليا) وأطلقت على مدن بها»^(١)

وسأل العشماوي «فهل يجيز هذا لباحث أن يلوي الحقائق ويحرف التاريخ ليزعم أن الحضارة المصرية أو حضارة الدولة الحديثة على الأقل كانت في بلاد الإغريق»^(٢) ومع ذلك فقد حَرَفَ العشماوي التاريخ والحقائق وقال «... ومع الوقت بدأ يتضح أن موسى نقل كثيراً من عناصر اليهودية عن مصر، وعن إخناتون بالذات»^(٣) وسيأتى في الفصل القادم أنه زعم أن موسى هو حفيد فرعون على الحقيقة باعتباره ابن ابته على الحقيقة!! لنرجع إلى موسى عند القمني، الذي زعم أن أمه (الأصل) هي (الملكة تي) التي تحولت فيما بعد في التراث الإسرائيلي إلى يوكابد وهي في الحقيقة امرأة ميتانية يقول «إذا كان إخناتون/ موسى/ أوديب، يعود بجنسه من جهة الأب إلى مصر، فإنه من جهة الأم يعود إلى شرقي سيناء حيث المديانيين والعمالقة والكنعانيين (العموريين) والسكيت (الآراميين) وضمنهم الإسرائيلين»^(٤) إن قراءة التاريخ وقراءة النصوص المقدسة، وقراءة بعض الاكتشافات الغامضة واليتيمة أو الجزئية تختلف من باحث علماني إلى آخر، وفي فصلنا هذا سترى أخي القاريء أن لكل باحث علماني إدعاءات عريضة ونظريات عجيبة عن التاريخ والقصص التاريخي للأنبياء وغير ذلك .

ومع تناقضات هذه القراءات وتعارض نظرياتها تعارضاً شديداً إلا أن أصحابها يدّعون أنهم يقدمون الفروض الصحيحة والتاريخ الصحيح! والعجيب أن أحدهم

(١-٢) مجلة أكتوبر المصرية ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٠ ، ١٨ أكتوبر ص ٣٠ .

(٣) إن لي الحقائق غالباً ما تكون لإقامة هذه التزعات العنصرية والتي تبني كلاً من العشماوي والقمني واحدة منها ..

(٣) مجلة أكتوبر الأحد ١١ مارس ٢٠٠١ العدد ١٢٧٢ ص ٢٤ الأصول المصرية لليهودية (٢٦) (البداية والنهاية) .

(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٦٩ سيأتى من النصوص التالية بوضوح تحديد القمني للام بأنها مديانية وليست إسرائيلية!

إذا تناول نظرية الآخر وإفتراءاته لم يتركه حتى يطرحه أرضاً ويهشم رأسه!

وكمثال نُبرزه عند هذه النقطة وستأتي الأمثلة الكثيرة ، نعرض قول القمني في حكمه على بعض قراءات «إيمانويل فليكوفسكي» اليهودي للتوراة والتاريخ، يقول «يمكن لباحث مفرض أن يقرأه قراءة أخرى بأغراض بعينها، وفق أيديولوجيا خاصة، فينطق بأمور أبعد ما تكون عن الصدق والموضوعية العلمية وهو ما سنجد له نموذجاً مثالياً في الباب الثالث من هذا الكتاب»^(١) الذي سماه «التضليل»^(٢) ويسمى بعض فروضاته «الفضائح»^(٣)

ويقول عنه «أي مهتم بالتاريخ الديني لمصر القديمة، سيعرف كم كان (فليكوفسكي) ملفقاً؟ وكم كان بارعاً»^(٤)

وقال عنه أيضاً «بأنه أبرع رجل علم، تمكن من استخدام أدوات البحث العلمي لإجراء أروع بل وأمتع عملية تزييف وتلفيق وتزوير في تاريخ العلم والعالم»^(٥)

وقال «للكاتب مقاصد غير أمينة، وانه قد عمد إلى الإسقاط والحذف لأن المحذوف كان ممكناً أن يتعارض مع فروض الكاتب وما يريد الوصول إليه، باختصار هي انتقائية وعدم أمانة واضحة»^(٦)

لكن المدهش في الأمر أن سيد القمني على الرغم من أنه نقد القومية الصهيونية التي كان فليكوفسكي يسعى لتدشينها بالدعم التاريخي!، إلا أنه تأثر بفليكوفسكي تأثراً عجيباً في أجزاء خطيرة من نظريته المهزوزة، فقد ألف فليكوفسكي كتاباً سماه «أوديب وإخناثون» فقال بأن أوديب هو إخناثون فأخذها القمني خبرة

(١-٢) كتاب القمني : إسرائيل ... التوراة ... ص ٢١٢ .

(٣) أي سمي الباب الثالث الذي ينقد فيه تضليل فليكوفسكي بالتضليل .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٤ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٥٣ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٢٠ .

تاريخية لإعادة بناء التاريخ النبوي بالطريقة العلمانية العبراء التي لا ترى من العالم إلا ماديته فقال القمني (بإضافته المدهشة) إن إخناتون هو أوديب هو موسى شخص واحد في روايات ثلاثة والأصل هو إخناتون، أما موسى وأوديب فاقتراسات عن الأصل! وقد صنع لذلك عنواناً سماه «الثلاثة في واحد»^(١) ومع أن القمني استفاد استفادة كبيرة جداً من خرافات سيجموند فرويد الذي زعم أن موسى مصري الولادة والجنس وأنه كان أميراً وأنه خرج بأتباعه الذين يتكونون من المصريين والهكسوس والإسرائيليين من مصر مطرودون وليسوا مطاردين^(*) إلا أنه خالفه في جزئية إخناتون ففرويد قال إن موسى المصري كان كاهناً من رجال إخناتون فقال القمني: إن موسى هو إخناتون نفسه وليس كاهناً عند إخناتون!

وهكذا استفاد القمني من فليكوفسكي فكرة (أوديب هو إخناتون) ومن فرويد مصرية موسى بالولادة والجنس لكنه نحي فكرة فرويد التي تقول بأن موسى عليه السلام من أتباع إخناتون وقال أنه إخناتون نفسه وليس من أتباعه ثم جمع خلاصات فليكوفسكي وفرويد بعد أن عزل بعض العناصر المتعارضة مع خياله الخاص وبعد إدخال إضافات عجيبة كإضافة أن إخناتون هو (موسى قبل اقتباس التوراة وتعديلها للنسخة الأصلية) فكانت خلاصته وفرديته ونظريته هي: إخناتون هو أوديب هو موسى، ثلاثة في واحد! ومع أن فليكوفسكي وفرويد يهوديان ويتميان للفكر العلماني الأحادي النظرة إلا أن فليكوفسكي هاجم فرويد لكون فرويد قد زعم أن موسى لم يكن من بني إسرائيل بزعم أنه كان مصرياً من أتباع الفرعون إخناتون!

يقول أحمد عثمان - وسيأتي عرض أكاذيبه - «وكان إيمانويل فليكوفسكي أحد علماء النفس اليهود، الذي هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة هو الذي بدأ في

(١) النبي موسى وآخر أيام العمارنة ج ٣ ص ٨٢٥ .

(*) يقول «رفض فرويد لقصة مطاردة المصريين للخارجين» ج ١ ص ١٧٩ المرجع السابق .

سبعينيات القرن العشرين بمعارضة فرويد والهجوم على إخناتون، وكرّس فيلكوفسكي حياته في محاولة لإثبات خطأ ما ذهب إليه فرويد بخصوص الملك المصري عن طريق إثبات سبق موسى لعصر إخناتون^(١).

يقول القمني في ذلك «ولا ينسى فليكوفسكي أن يحط من قدر فرويد لتجرؤه(!) على شخص موسى وعلى شعب الله المختار وتبجيله إخناتون تبجيلاً عظيماً، ليقول بالنص عن كتاب فرويد: هذا الكتاب ليس سوى إنقاص لقدرة موسى والخط من شأنه، فقد حط فرويد من شأن موسى عندما أنكر أصله وحرمة إياه، كما هاجم شعب اليهود عندما حرّمهم زعيماً يقود جنسهم، إذ جعل موسى مصرياً... على حين يمجّد مرتداً مصرياً^(*) معتبراً إياه مؤسساً لدين عظيم الشأن. هذا بينما يرى فليكوفسكي وهو يقلب التاريخ رأساً على عقب(!) في بقية أعماله(!) أن موسى كان سابقاً على إخناتون بزمان طويل أما إخناتون نفسه فليس بمستحق لكل ما لاقاه من احترام، عندما ارتكب جريمته وهو يعلم ماذا يفعل^(٢)»

وقد قدمنا في الهامش مدى توافق أفكار فليكوفسكي والقمني عن إخناتون وأفعاله!! والفرق أن فليكوفسكي يجعل إخناتون متقدماً على موسى في الزمان أما

(١) مقال لأحمد عثمان بعنوان «إخناتون نبي مصر المزيف» في مجلة الكتب ووجهات نظر، مارس ٢٠٠٢ العدد الثامن والثلاثون، السنة الرابعة ص ٣٩.

(*) قلت: أن القمني قد حط أكثر من فرويد من موسى عليه السلام ونبوته بجعله إخناتوناً معدّلاً، مع علمه أن إخناتون تزوج أمه! وهو لا يبجل إخناتون كما بجّله فرويد يقول عن إخناتون «إخناتون... ارتكب ما هو أشنع من القتل بإفناء إبيه نفسه بمحو اسمه من الآثار في قتل أبدي، ناهيك عن تعصبه الأعمى الذي ملك عليه عقله وقلبه ضد كل أديان مصر (!) وكهنتها، وانتهى بإغلاق جميع المعابد ومصادرة أموالها، وهو أمر لا شك - وإن لم يدونه لنا التاريخ أو فقدنا مدوناته - لم يتم بهدوء ودون عنف قد صاحب تلك الحملة الخبيثة على ماثور مصر التليد (!) الذي عاشت عليه طوال تاريخها» من النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ج ٣ ص ٩٢٦.

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ج ٣ ص ٨٢٣-٨٢٤.

القمني فيجعلهما شخصاً واحداً (موسى بحسبانه إخناتون) فالزمن واحد!

وفي تعليق القمني على عبقرية فرويد الفذة!، يمدح فليكوفسكي، فيقول عن فرويد «ومع ذلك أبداً - رغم عبقريته الفذة - لم يربط بين الشخصيتين: أوديب، إخناتون. وهو الدرس الذي وعاه (!) فليكوفسكي بقدرة عالية الجودة (!)»^(١)

ولا أعرف كيف تكون القدرة عالية الجودة تلك التي تقلب التاريخ رأساً على عقب .. وبلا أمانة!

فخيال فليكوفسكي جمع إخناتون وأوديب في شخص واحد، وخيال الباحث أحمد عثمان .. وسيأتي التفصيل - جمع بين موسى وإخناتون في شخص واحد^(*)، فجاء القمني واستفاد من فليكوفسكي وأحمد عثمان فجعل إخناتون وأوديب أو موسى وإخناتون شخصاً واحداً ثلاثياً: إخناتون/ أوديب/ موسى. إن ذلك - بتعبير القمني - «صار شيئاً مؤكداً»^(٢) مع انه ليس هناك من دليل على ذلك واحد يتيم عليه!

خيال سيد القمني وواقعة خروج مزيضة!

يخترع سيد القمني واقعة للخروج من مصر مخالفة للأحداث الحقيقية لم يأت عليها بأي سند تاريخي أو أثري أو مادي ملموس أو مكتوب فيقول «حدث خلاف عقائدي عند جبل الله حوريب بسيناء بين عبدة الأدون أو السيد أو الله مثلاً في ثور الخصب»^(**) وبين عبدته بإعتباره الأدون أو السيد الأعلى فوق جميع

(١) المرجع السابق ج٣ ص ٨٢٥ .

(*) يقول القمني « هناك كشف آخر ينطلق من ذات فكرة فرويد لمجده عند أحمد عثمان وهو أن موسى بالجنس والميلاد مصرياً، لكنه لا يربط بين أوديب وإخناتون، لكن بين موسى وإخناتون، ويوهز لنا عن بعد أن موسى كان هو ذات شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه» ج٣ ص ٨٢٥ .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ٨٣٠ .

(**) يقول « كانت أهم تجليات الإله البتناوى هي التجلى الخصبى مثلاً في قضيب الذكر / المشروم / البركان» ج٣ ص ٨٤٥ .

الأرباب وهو الانشقاق .. الذي أدى إلى معارك دموية بين فصائل الخارجين (!) انتهت إلى انقسامهم فرقا (!) منهم من اتجه نحو بلاد الحجاز ومنهم من اتجه نحو بلاد اليونان، ومنهم الذين انتصروا في الصراع وفرضوا عقيدتهم وهم من استمروا نحو فلسطين، ومع أولئك الذين اتجهوا نحو اليونان، انتقلت قصة الفرعون المارق الذي تزوج أمه وسقط عن عرشه، لكن باسم أوديب، بينما نقل المتصورون ذات القصة إلى فلسطين لكن بطلها حمل اسماً آخر هو موسى!!!^(١)

هذا هو الأساس الذي بنى عليه سيد القمني نظريته وأكاذيبه، وعلى امتداد (١١٦٢) صفحة، حاولت أن أجد أي سند مادي أو أثري على هذا الكذب فلم أجد إلا خيال القمني الخصب الذي مليء صفحات الكتاب التي تجاوزت الألف صفحة! وكما ترى فهو من هذا المنطلق يبدأ بالزعم أن نفس قصة الفرعون المارق «إخناتون» الذي تزوج أمه وقتل أباه نقلها المتصورون «ذات القصة!» لكن بطلها حمل اسماً آخر هو موسى الوهمي! ويقول بأن ذلك حدث بعد مقتل اخناتون عند جبل الرب حور المقدس «إبان فتنة العجل الذهبي، وأنه بموته هناك انتهى إخناتون وانتهت ديانتها الآتونية وبدأت قصة موسى الوهمي (!) التوراتي كمرحلة جديدة هي التي شكلت فيما بعد الديانة اليهودية»^(٢)

فهذا تصريح بأن قصة موسى وهمية وليس لها وجود حقيقي بصورتها التي في التوراة والقرآن وإنما هي اقتباس عن أصل مصري لإخناتون معلوم الشأن، أي أن موسى يمكن اعتباره (إخناتون) إذا نظرنا إلى مصدر الاقتباس أي أن موسى العبراني النبي الرسول ليس له وجود في التاريخ بزعم القمني وتلفيقاته واضطرابات عقله الهائج علمانياً!

كذلك فالذين خرجوا مع موسى لم يكونوا (بني إسرائيل) خلّص وإنما كانوا خليطاً من المجرمين! يقول «لقد خرج موسى التوراتي / أوديب اليوناني / إخناتون

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٩٣٩ .

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٨٣٠ .

المصري (!) برجاله من مصريين واسرائيليين وأصحاب الهجمة الهكسوسية الثانية (!) المهزومين من مخرج المجرمين العبيد (!) الفارين مطرودين لا مطاردين^(١)

فمع زعمه أن (موسى التوراتي وهمي) ومع زعمه أنه خرج مع فرق مختلفة عقائدياً وعرقياً مطروداً لا مطارداً كما ورد في القرآن إلا أنه عندما يتكلم عن موسى النبي يتكلم بصورة الذي يعرف موسى فعلاً ولكن بإضافة أكاذيب مدهشة قلّد فيها فرويد وغيره يقول «ولا نظننا لنجان الصواب في افتراض أن موسى أبداً لم يصل إلى جبل (نبو) شرقي الأردن مباشرة مقابل أريحا ليموت هناك إنما مات تحديداً (!) فوق جبل يقع شمالي جبل كاترين مباشرة وأن ذلك كان السبب في أن ذلك الجبل قد حمل من يومها اسم جبل موسى وأن قاتله كان يشوع^(*) تلميذه المخلص تحديداً (!) وعند تلك اللحظة المفصلية تتغير أمور كثيرة كانت سبباً في كثير من الالتباسات التي أدت إلى كثير من الألغاز التي استغرقت عمرنا ونحن نحاول فك طلاسمها!!^(٢)

وفي الحقيقة فإن ما استغرق عمره هو السعي في تلفيق النظريات بربط ما لا صلة بينه إطلاقاً فهو وأصحاب النظريات الخرافية الضعيفة يحاولون وضع أصل مشترك لقصاص لا رابط بينها، وحكايات لا مشترك بينها. وإن كان بعض نقاد الكتاب المقدس قد نجحوا في الوصول إلى أصل مشترك بين بعض الخرافات الدينية - كتابيه المسيح والفداء والخلاص والقيامة من بين الأموات - وبين أساطير الحضارات القديمة. لقد فتح ذلك شهيتهم الملوثة بالجراثيم المادية والقاتلة للروح الإنسانية بهدم كل

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٠٦٦ .

(*) كيف يقتل نبي رسولاً يا دكتور أم أن تلفيقاتك أعمتك عن رؤية الحقائق أم أنك تعرف كيف تصفر الأكاذيب فيما تهدم النبوة وتقصف بالأنبياء ؟؟

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٩٢٢ وانظر ص ٩٣٠-٩٣١ .

ما يتعلق بالإيمان والدين والغيب والوحي فظهرت سخافاتهم المادية وأحقادهم الأسطورية واختلافاتهم المنهجية العميقة القاصرة، وعوراتهم الفكرية السافرة وتلفيقاتهم الخائبة الخائنة، ونظرياتهم القبيحة الهازلة!، وإلا فقل لي بالله عليك كيف يمكن الربط بين فرعون خائن، زنى أبوه بابنته، وزنت أمه به، واستبدل ديناً وثنياً بدين وثني آخر، أتباعه من الوثنيين الجدد، حكم مصر فترة من الزمان ثم طُرد منها مع جماعته المختلة العقل والعقيدة، وأصابه العمى في آخر عمره بعد أن قتل أباه! كيف يمكن الربط بين هذا العابد لقرص الشمس، والذي تمثله الرسوم المصرية عارياً مع أمه التي هي أيضاً عارية إلا من ثوب شفاف يكشف مفاتيحها، مع موسى النبي العابد لله، الذي أرسله الله لتحقير الأوثان والآلهة البشرية الزائفة لفرعون وأمثاله، والذي خرج من مصر مطارداً هو وبني إسرائيل الذين أُمر بإخراجهم من مصر. أي مشترك بين القصتين وأي نسخ قامت به التوراة؟ أم أن الأمر إنما هو في استخدام كل أساليب المكر والخداع لتلوّث شرف الأنبياء والنبوة وهدم الدين ونبد الوحي والإستغراق في متاع الدنيا الهش.. وإلا فليقل لنا هؤلاء العلمانيون هل يستوي موسى الذي جاء معلناً الحرب على الفراعنة ورموزهم مع اخناتون الفرعون المرسوم عارياً الذي يحتفل بزواجه بأمه - كما وصفه القمني نفسه! - بعد قتله أبيه الفرعون المضاجع لابنته وسيأتي ذلك عن كلام القمني نفسه!؟

لقد زعم السيد القمني أن نبوءة قتل طفل نبيل لأبيه الفرعون واستيلائه على السلطة وتزوجه لأمه إنما هي قصة إخناتون/موسى التي استبعدتها التوراة كاملاً وحملها القرآن بعد أن كانت منتشرة شفاهاً في الجزيرة العربية بعد إنتقالها إليها! يقول أن «محرري التوراة قد استبعدوا قصة النبوءة بكاملها (!) ، لأنها كانت تعني إبراز وإيضاح مصرية موسى بال ميلاد والجنس»^(١) وهو قول ليس عليه دليل واحد اللهم إلا العجز الذي ينتهي إليه هؤلاء الباحثون الذين يحاولون بكل طريق

(١) النبي موسى..... ج ٢ ص ٨٦٠ .

إيجاد أصول مشتركة بين ما أسموه الملاحم . وعندما تفلت الأدلة المطلوبة من بين أيديهم يذهبون يطلقون الكلام على هواهه بلاجامح ، وينطلقون مسرفين في الكذب والبهتان وبدل من الاعتراف بالفشل في إيجاد رابط بين قصة النبي وقصة الخائن تجرهم أحقادهم العلمانية إلى الإتهامات السهلة والصفحات المكتوبة المليئة بعطب النظريات، وعفن الأفكار، وغشاء الاستنتاجات.

فعندما لايجد القمني رائحة (مُشَرَك ما) بين القصص التي يحاول المقارنة بينها يذهب إلى الإتهام والشتائم والشنآن والهوى البغيض معرضاً عن الموضوعية التي يتشدد بها وعن العلم الذي يأبى هذه الأساليب الإلتفافية التي تنضح بالخداع وتمتليء بالكذب والضلال البعيد.

ولذلك نجد أخي القاريء كثرة هذه الاختلافات التي تظهر بين أصحاب هذه النظريات العلمانية الخطرة التي تدمر كل شيء وتحطم المقدس والنبوة وتتهم التوراة والقرآن بما هما بريئان منه ومن سخافات الماديين أجمعين.

القمني يقدر في القرآن الكريم:

فبعد أن دمر سيد القمني الحقائق التاريخية عن موسى ﷺ وتاريخه ونبوته وتوحيده الخالص ونسبه الطاهر، وأمه وأباه ذهب يقدر في القرآن الكريم باعتباره دُونَ ما أغفلته التوراة وأخفته مما كان متوارثاً شفاهياً - بزعمه! - ومنتشراً على الألسنة من نبوءة القاتل لأبيه والمتزوج لأمه!!!

يقول «مايبدو هو أن محرري التوراة قد استبعدوا قصة النبوءة بكاملها لأنها كانت تعني إبراز شخصية موسى بال ميلاد والنبوءة، لأن النبوءة تستبعد الطفل الملكي لخطره على أبيه(!) وقتله وإستيلائه على عرشه حسبما قالت ، لكن هذه النبوءة لن يكون لها أي معنى مع أسرة حقيرة(!) غريبة مستبعدة في مصر، لكن الأصل

الحقيقي للقصة كان يحوي لاشك قصة النبوة التي ظهرت في النسخة اليونانية (أوديب) كما ظل أصلاً فيما تواتر شفاهة وميراثاً غير مكتوب حتى وجد طريقه كدوين بالقرآن الكريم بعد ذلك بأزمان، ليرز قصة النبوة ويؤكداه (!)

ياله من كذاب ومفتر، فالقرآن لم يؤكد أي نبوة من هذا النوع، فليس في القرآن إشارة إلى شخصية مصري بالجنس والولادة والبنوة سيقتل أبيه ويتزوج أمه وذلك بعد رجوعه من منفاه وتدشين المؤامرة (*) إن مقصد د. سيد القمني هو أن القرآن دون الأسطورة المكتوبة بزعمه في التوراة والتي زعم أنها نفت عناصر قصة الأصلية لصاحبها اخناتون ونسبت القصة لموسى مع تعديل وتحوير، كما أنه دون بقيتها الشفهية التي أخفتها التوراة بزعمه لأنها كانت ستكشف الأصل المصري لأعظم أنبيائها. وهو إتهام خطير ليس عليه دليل. فالأسرة المستبعدة لطفل الأسطورة ثرية وفرعونية وتمتلك عرش مصر كما في القصة المصرية أما قصة موسى فالأسرة فقيرة عبرانية مؤمنة بالله وحده لا تمك حتى حررتها! لكن القمني يقول لك لا تنظر إلى عدم المطابقة هنا لأن الإخفاء كان كلي وتام (من أخبره بهذا!!) مع أنه لا يملك أي دليل على افتراءه هذا.

والزعم بأن القرآن دون ما كان يتناقل على الألسنة من الأسطورة البشعة وجعلها قرآناً يتلى كذب وإفتراء عظيم.

فالقرآن عرض قصة الصراع بين موسى ﷺ رسول الله إلى بني إسرائيل وبين فرعون وقومه ولم يدون روايات أسطورية مكتوبة أو شفوية مقتبسة عن أي أصل

(*) التوراة كالقرآن تثبت نبوة مختلفة تماماً، إلا وهي أن طفلاً عبرانياً أو من بني إسرائيل سبب في هلاك فرعون وفي التوراة الحسالية أمر ملك مصر أن يقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل في الأصحاب الأول من سفر الخروج، أما القرآن فيقول ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ غَالِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)﴾ فالتفقه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ (القصص: ٧-٨)

أسطوري. وكذلك قصة موسى ﷺ بوصفه نبياً ورسولاً في التوراة فهي لم تخف مقاطع من قصة إخناتون التي زعم القمني أنها اقتبست منها الكثير ونسبته لشخصية عبرية هي موسى ﷺ.

يسير الدكتور القمني على هذه الوتيرة العرجاء في الاستدلال في فقدته الخائب لخيطة المطابقة المزورة، فهو يرى أن التوراة أصرت على التأكيد على تمتع موسى ببصره حتى نهاية حياته ما يؤكد بزعمه على أنها أيضاً أخفت المقطع من قصة إخناتون / أوديب وهو العمى الذي أصابهما في نهاية حياتهما!! يقول «قامت التوراة نصر على نفية، لنفي أي إشارات يمكن أن يكشف الأصل المصري لأعظم أنبيائها»^(١)

فالتوراة عند القمني فيما يخص موسى إما أن تصوغ الأصل بقدر من الاختلاف وإما أن تخفي مقاطع معينة خشية إنكشاف الاقتباس وإما أن تقوم بعكس ما ورد فيها ففيما إخناتون عمى في آخر حياته فإن موسى كان قوي البصر شديد النظر!! بهذه الاستنتاجات السخيفة يحاول القمني أن يَدشّن نظرية المطابقة وعن موسى/ إخناتون/ أوديب. ومعلوم أن لا التاريخ ولا الروايات الحقيقية تسعفه، ولا العقل والمنطق يؤكد ذلك ويبرهنه، ولا الموضوعية تذهب إليه وتُمنهجه، وإلا لصارت كل القصص المولودة على الأرض مقتبسة مع تحويرات وإخفاءات ونفي لمقاطع وفي هذه الحالة تصوير الشخص واحد ويصير الفرعون نبياً والإنسان حيواناً والملك إلهاً والمرأة رجلاً والقرد وثناً والعفة عُهرًا وسيد القمني نبياً والعشماوي مصلحاً وهادياً!!!

وكما زعم أن التوراة استبدلت اسم إخناتون بموسى، زعم أيضاً أن أوديب أصبح بديلاً عن إخناتون «حملت القصة أسماء يونانية وأصبح بطلها هو أوديب

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٩٠٤-٩٠٥ .

والقرآن وقع في الفخ فدّون ماهو رائج ومنتشر ومكتوب بلا أدنى نظر أو علم مستقل. هذا هو زعم القمني وكل الباحثين العلمانيين الذين يدرسون التاريخ النبوي والبشري!، وهو ما يعني أن القرآن إفراز بيثوي تاريخي اجتماعي سياسي اقتصادي وهكذا!!! والتوراة باحتوائها على قصة موسى وإثباتها لنبوته وتأكيدها لرسالته ولولادته لأم وأب من بني إسرائيل إنما هي تؤكد بنفسها أن لا دين ولا وحي في الحقيقة إنما هي كتابات محررين ملتوين من كهنة بني إسرائيل الذين سرقوا قصة إخناتون ونسبوها لموسى مع تلفيقات وحذف ونفي واقتباس! يقول «أما التوراة فقد صاغت قصتها بقدر من الاختلاف (!) لكن مع الاحتفاظ بالعنصر التأسيسي وهي فكرة استبعاد بطل الملحمة ونشأته في بلاد غير بلاده، ومرباه في قصر ملكي ثم عودته إلى أهله بعد ذلك كما عاد كل من أوديب وإخناتون»^(٢)

وعندما لا يجد القمني توافقاً يقول بأن التوراة ومن ثم القرآن إما أنها غيرت سياق القصة الأصلية لمصلحة إنجائها وإما أن تعطيها ترميزاً يبقى على الأصل لكنه يتبدل نوعياً (وهذه الأخيرة رمى القرآن بها !) .

«لتم عناصر الأسطورة يعود موسى إلى أهله الوضعاء ليخرج بهم من مصر في أكبر حدث ديني في المنطقة قيد التدوين»^(٣) وذلك بدلاً من أهله النبلاء الذين كانوا يحكمون مصر، وبدلاً من أن يقتل أباه ويتزوج أمه ويغلق معابد أبيه ثم يحدث الانقلاب عليه فيخرج من مصر مطروداً منبوذاً!

إن القمني مازال يؤكد على أن القرآن احتفظ بعناصر الأسطورة التوراتية - بزعمه الخائب! - وفيما يخص نبوءة قتل إخناتون لأبيه وتزوجه من أمه فيزعم القمني أن القرآن عن طريق الرواية الشفهية الغير مكتوبة دَوّن قصة النبوءة مع

(٣) المرجع السابق ج٣ ص ٨٥٨ .

(٢-١) المرجع السابق ج٣ ص ٨٣٤ .

يقول «قصة النبوءة وصلت جزيرة العرب لتدون في القرآن (!) رغم أنها استبعدت من التدوين في التوراة»^(١)!! وهو ما يعني أن القرآن دون العناصر الأسطورية المكتوبة في التوراة لقصة موسى التوراتية كما أنه دون العناصر الأسطورية الأخرى التي كانت تتناقل على الألسنة (شفاهيا) مع بعض التعديل المناسب!

يقول «إن الأمر فقط يمكن أن يكون متسقاً (!) إذا احتسبنا ذلك ترميزاً للقصة الأصلية ظل محافظاً على وجوده في القصة المعدلة المزورة والمحرفة، ترميزاً واضحاً إلى أن موسى كان ولي عهد مصر فعلاً بحسابه إخناتون ... هذا الطفل هو ابن فرعون بالميلاد والجنس»^(٢)

فقصة موسى في القرآن بعناصرها كلها هي مزورة مُحَرَّفة مُعدَّلة بزعم الدكتور سيد القمني الذي لم يأت إلى الآن بدليل واحد على إثبات أكاذيبه وأضاليه!^(٣)

لقد زعم العشماوي مثله أن موسى هو ابن بنت الفرعون وهو فرعون آخر غير فرعون سيد القمني أما القمني فإنه يجعل موسى/ إخناتون ابن الفرعون وليس ابن إبنته!، وإتفق القمني والعشماوي على أنه كان أميراً مصرياً لكن القمني زعم أنه

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٦٢ .

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٦٠ .

(٣) كذلك زعم القمني أن القرآن هو خلاصة تطورات عقلية وتاريخية واقتصادية في عالم الإنسان خصوصاً في تطورات التاريخ والفكر اليهودي فالشيطان والملائكة والتوحيد وغير ذلك إنما هو نتيجة لتطورات وارتقاءات عقلية وصلت إليها مراحل العقل التطورية وكمثال، فالشيطان أو إبليس بزعم القمني، في العقائد القديمة كان إلهاً للبشر يحول مع التطور العقلي إلى ملاك عاص أو جنى وذلك «إنما يعود إلى نزوع العقل البشري خلال القرون نحو التوحيد، ونعتقد أنه كان لليهود دور لا يعقل في ذلك، إيان الأسر البابلي» كيف: «تحويل اليهود الآلهة القديمة إلى ملائكة» انظر الأسطورة والتراث للقمني وص ٧٣-٩١، مقدمة هذا الكتاب «الأسطورة والتراث» ترمي عقائد الإسلام بأن لها صلة بعقائد الحضارات القديمة والتطورات التي طرأت عليها !!! ص ٥٠-٥٧ .

قتل أباه الفرعون وتزوج أمه أما العشماوي فقال بأنه لم يقتل أباه ولم يقتله أتباعه فيما بعد - كما زعم القمني - ولكن اشترك مع جده الفرعون في الاحتيال على بني اسرائيل وإخراجهم من مصر. والعشماوي يجعل موسى بعد إخناتون بخلاف القمني الذي يقول: هو هو!!... موسى بحسبانه إخناتون!!! وطبعاً على القاريء أن يقارن بنفسه هذه النظريات الخربة ويُمرّن عقله على السخرية من هؤلاء الكذابين الذين يتناقضون في الروايات التي اخترعوها هم، ولم يأت أحدٌ منهم بأي دليل صغير يساند عقولهم الخيالية الضعيفة!

فيجعلون أساطيرهم هي الأصل مع تناقضها الشديد والقصة الأصلية لموسى هي الاقتباس المزور!! (ولم يخرج أحدهم بخياله ليقول بأن قصة موسى هي الأصل!!!) حتى يقول القمني متجرأً «الأمر لم يكن مجرد أسطورة إنما كان تسجيلًا بالأسلوب الأسطوري لأحداث وقعت بالفعل»^(١)!

وهو ما يعني أن القرآن والتوراة سجلاً بالأسلوب الأسطوري أحداثاً وقعت بالفعل مع تحويل البطل اسماً ونسباً وجنساً إلى صورة أخرى مغايرة للنسب والحسب والولادة الحقيقية للأصل المصري إخناتون الذي تزوج أمه وقتل أباه! كما يعني أيضاً أن القرآن والتوراة غيراً ديانة البطل الأصلي!، وشريعته إلى بطل آخر وديانة أخرى وشريعة مغايرة!!

فالوجود التاريخي الحقيقي إنما هو للأصل الذي عاش في الواقع التاريخي أما موسى أو أوديب فهما شخصان لم توجد في الحياة إلا بقدر ما اقتبس لهما من الوجود الحقيقي للأصل الإخناتوني!!

هذه هي مقارنة سيد القمني وكشفه الذي يدعو القاريء إلى الاستمتاع به! ومع أنه لم يأت بدليل يقيم على مقارنته الخائبة ومطابقته المزورة إلا أنه يقول بكل

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٨٥٨ .

ثقة وأدب! «فإن الاستعانة بعمليات القياس والنقد والمقارنة بين النصوص (أية مقارنة يادكتور!!) المتعددة إزاء الحدث الواحد والتحليل ومحاكمة الوثائق على سياقها الداخلي والسياق التاريخي، يمكن الوصول بالمسألة إلى الوجه الأقرب إلى صدق ما حدث فعلاً!!»^(١)

صدقك الدكتور وهو كذوب!، لكنه لم يقم بشيء من ذلك كدليل على تحليله العلمي والروح التحليلية الرصينة. إن ما فعله هو لخبطة بين وقائع أو أحداث لا رابط حقيقي بينها وهو يتعسف في الوصول إلى مقارنة ومقاربة حقيقية ودليل عمى إخناتون/ أوديب - دليل المطابقة - والمفقود عند موسى يدلك على التمثل والابتكار الماكر والتحايل السافر!

لقد أخذ الرجل من فرويد ومن فليكوفسكي وكثيرين آخرين ذكر مراجعهم في كل كتبه أخذ منهم افتراءاتهم وليس من وقائع أو قياس أو تنقيبات فالقياس ليس على نصوص حقيقية وإنما اقتباس من النظريات المتعارضة واختراع أسطورة خاصة لها متعة ذاتية عند كاتبها وهو في حالتنا هنا السيد القمني الذي يحاول أن يظهر في الأمة أنه يخوض معركتها ضد القومية الصهيونية فيما يروج خططها التدميرية لتاريخ الأمة ومقدساتها والوحي الذي أنزل على الأنبياء والمرسلين.

إنه يقرأ قراءاتهم وقد يعدّل نظرياتهم ليبدو موضوعياً، صاحب روح علمية رصينة كما في قوله «وبناء على قراءته لما حدث، يرى سيجموند فرويد أن ما جرى لموسى بالفعل (!) في حقل أحداث التاريخ يسير على قوانين الأسطورة النمطية لكن محرري التوراة هم من قلب الأوضاع (!) وعكسوها تماماً، ليجعلوا من هذا المصري (!) الذي أسس لهم في التاريخ عقيدة وقومية / إسرائيلياً بالميلاد والعنصر استبعاداً لتلك السبة التاريخية العظمى / فقاموا بعكس حقائق الواقع

(١) إسرائيل ... التوراة ... التاريخ ... التضييل ص ٨٩ .

الفعلي ليؤكدوا إسرائيليته وليستبعدوا تماماً مصريته (!) وهكذا كان موسى من أصل ملكي وأبوه ملك وأبوه من أقارب أمه الأدينيين وهو بذلك يطابق قصة اخناتون مطابقة كاملة (!). من حيث التطابق مع العناصر الملحمية... بل ونزعم أن قصته بهذا الفهم تطابق جميع العناصر الملحمية التأسيسية^(١)!!!

وقد قدمنا أنه ليس هناك أي تطابق فموسى من أسرة متواضعة من بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون في مصر في ظل حكومة فرعونية مستبدة، أما إخناتون فكان أميراً ثم أصبح فرعوناً وحاكماً عاماً للبلاد فيما بعد، بعد قتله لآبيه الفرعون فاي تطابق هنا؟^(٢)

وفي قصة إخناتون زنا ودعارة وإباحية أم وأب وابن وثقافة مديانية شاذة أما في قصة موسى فعفة ورحمة أم، أوحى الله إليها لمكانته عنده وقد اصطفى ابنها رسولاً، فأين هذا من ذلك؟! وأين الزنا والدعارة من العفة والطهارة؟! وفي قصة إخناتون عمى مشاوم وفي قصة موسى نضارة وجه نبي وقوة بصر وبصيرة فهل تستوي الظلمات الحالكة مع الأنوار الزاهية؟

مالككم كيف تحكمون أيها العلمانيون .. لماذا ديدنكم الكذب والافتراء والخداع أبهذا تحاربون العدو، وتنورون الشعوب وتبدعون وتتقدمون! تَبّاً لكم ولعقولكم الصببانيه التي تسوقها شبهاً قاصرة لفرويد وفليوكوفسكي ودارون وماركس

(١) النبي موسى وآخر أيام ... ج ٣ ص ٨٥٨، ٨٥٩ .

(٢) إن المطابقة الصحيحة لا تكون بين أم فرعون غنى وأم نبي فقير خصوصاً إذا كانت الأم الفرعونية تزوجت ابنها المترف والأم الفقيرة، قدمت ابنها لله في ثقة تامة وعبودية مدهشة، بيد أن المرء يمكنه أن يطابق - وهي غير مطابقتهم!! - بين أمهات ثلاثة من أولى العزم من الرسل وهي أم عيسى وأم موسى وأم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد كنَّ فقيرات عفيفات طاهرات، يقول محمد الغزالي « إن من الغرائب المثيرة أن يكون ثلاثة من أولى العزم قد كفلتهم نساء ضعيفات، وأن يرعى كبار الأنبياء في طفولتهم نساء مجردات من القوى المادية، معتمدات على رب السماء » نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم إنها مطابقة في الخلق والعفة والفقر تظهر لك بينات الأنبياء وطهارة الأمهات، ج ١ ص ٣٤-٣٥ .

وهيجل ونيتشه وأهل الضلال والإلحاد والشرك! إن القمني يقارن بين موسى وإخناتون وأوديب ثم يخرج علينا بأن الثلاثة واحد! وقد فعل النصارى ذلك مع الله والروح القدس والمسيح، الثلاثة واحد! والقمني يجعل الأم الزانية هي الأم الطاهرة أو بالأحرى الطاهرة تحوير للعاهرة! فهل يعقل هذا؟! كيف يتطابقان؟! القمني يقول لا تطابق هنا ولكن التوراة أخفت القصة الأصلية للأم الزانية فحورتها لتصبح أمًا طاهرة! فعنده «الملكة (تي) أم إخناتون زوجة آمنحتب الثالث» هي أم موسى قبل التعديل! يقول «وهكذا فإن يوكابد زوجة فرعون، وهما أبوي موسى، بينهما قرابة واضحة بفصح عنها المحرر التوراتي فيقول: وأخذ عمران يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى (خروج ١٦ / ١٠) ويلفت نظرنا هذا الاسم يوكابد أو (يوكابت)، الذي يلتقي بشدة (!) مع اسم بنت الملك الميتاني (جيلوخيا) أو (يلوخيات) أو (يلوكيبا) التي اقترضاها هي ذات الملكة (تي) أم إخناتون زوجة آمنحتب الثالث، وتتسق عناصر أطروحتنا وتماسك (!) عندما نجد اسم (يوكابد) يلتقي أيضا بتطابق واضح مع اسم أم أوديب في الملحمة اليونانية (يوكاستا)!!! مما يعني أن محرري قصتي موسى وأوديب قد حافظوا (!) بعض المحافظة على الأسماء الأصلية لأبطال القصة»^(١)

ليس السيد القمني هو الذي يلعب لعبة تلفيق الأسماء وجعلها تؤدي إلى أغراضه الأسطورية!، لقد فعل ذلك كل الباحثين العلمانيين وبصورة مضحكة وسخيفة وليست من العلم في شيء. فعل ذلك العشماوي وكمال صليبي وزياد مني وأحمد عثمان وفرويد وغيرهم ومع ذلك فنظرياتهم متعارضة، كل منهم يخرج على التاريخ بأباء لموسى غير الأب الأصلي ولأمهات - معظمهن زانيات! - غير الأم الأصلية، وحتى لأكثر من موسى يختلف عن النبي موسى ﷺ!

إن القمني يخدعنا بمقارنات ساذجة لا تنطلي على طفل من أطفال المسلمين

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٦٢-٨٦٣ .

تكيف بالصالحين من الرجال والعفيفات الحكيمات من المسلمات وغير المسلمات!!
وليخبرنا القمني أين هو الاسم (تي) من (يوكابد) - مع أن القرآن لم يذكر هذا
الاسم لكن لنمضي معه إلى نهاية الطريق! - أو حتى اسم (جيلوخييا)
أو (يلوخييات) أو (يلوكيا) وأين يوكابد من (يوكاستا) العاهرة!

حقاً إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إن هؤلاء يقومون
بالهجوم الثقافي الحقيق الذي يتسلل خفية إلى السرائر والعقول وهو ملئ بالدس
والختل لتدمير العقائد وإهالة التراب على معالم الإسلام كلها^(١)

إن القمني لا يستطيع أن يحصل على أي تطابق بين ملك زان ونبي شريف أو
أم كريمة وأم خبيثة أو أب مؤمن وفرعون جاحد، وأين هي المطابقة إذن بين
أمنحتب الثالث وبين والد موسى عليه السلام أو اسم أم موسى التي لم يخبرنا
القرآن عنه وبين أسماء عاهرات في التاريخ المصري واليوناني القديمين!

هذا كله في كفة، وما استنتجه سيد القمني من اسم موسى في كفة أخرى!

فأنت أخي القاريء تعلم أن القصة المصرية عن الملك الذي قتل أباه واستحوذ
على أمه!! ، لا تنطبق على موسى ﷺ كما أنه ليس هناك أي اقتباس توراني
عن قصة ذلك الذي قتل أباه وتزوج أمه! لكن الدكتور سيد القمني يستنتج قصة
هذا الملك الزاني والخائن والقاتل من اسم موسى ﷺ ليثبت التطابق المدهش!!!
يقول «والغني عن البيان (!) هنا أن اسم موسى يتركب من شقين أو ملصقين
هما (مو = ماء + سا = ابن) = موسى = ابن الماء ، وهو اللقب الذي أطلقته
الأميرة الفرعونية على موسى (!) عندما عثرت عليه وصفا لحاله حسب الأسطورة
التوراتية، وابن الماء هو لقب فرس النهر الذي قتل أباه وتزوج أمه (!) وبعد سنوات
طويلة من التطور الارتقائي الطويل^(٢) (!) كتب المحرر التوراتي مُعبراً عن انشغال

(١) انظر قذائف الحق للغزالي ص ٩ .

(٢) تبدو رائحة المذهب الدارويني والمذهب الفرويدي والماركسي ترف فوق كلماته !!!

بال يقف وراء ما كتب (!) «وعورة أمك لا تكشف (لاويين ١٨ / ٧) وبقى فرس
النهر في ذاكرة المصريين رمزاً للفسق الأعظم وعدوا»^(١)

فيوكابد هي تحوير للملكة التي تزوجت ابنها وهي (تي) ! واسم موسى يدل
على تاريخ سيء، تاريخ قتل الأب والاستحواذ على الأم!، لكن نتيجة للتطور
الارتقائي في الدين والأخلاق والمجتمع استطاع محرر التوراة - بزعم القمني - أن
يُغير الحقائق عن موسى وأمه!!! أما والد إخناتون ووالد أوديب فيقول عنهما «لقد
حلت اللعنة على بيت لاويست اليوناني (والد أوديب) لأنه أول من أدخل اللواط
إلى طيبة بحالة العشق التي مارسها بصحبة الصبي خريسبوس، وقد تم تصوير
أمنحيب الثالث في اللوحات المصرية في ملابس نسائية، وكانت الحالة الوحيدة
الأولى والأخيرة في تاريخ مصر الذي يظهر فيه الفرعون بملابس نسائية»^(٢) والد
إخناتون/موسى بملابس نسائية!!! ومحاولة من سيد القمني توسيخ - آسف
لاستعمال هذا اللفظ! - صورة بيت موسى عليه السلام يقول: «وإذا كان
(لايوس) هو النسخة اليونانية لأمنحيب الثالث المصري فإنه بحذف التصريف
الأسمي تصبح لايوس هو (لايو) البيت الذي أنجب أوديب، لكن المبهر حقاً (!)
حسب التوراة أن بيت السبط (لاوي) كان هو البيت الذي أنجب موسى؟!!!!!^(٣)
لاحظ تلاعبه بالأسماء وخلطه للبيوت!! ومحاولة من د. سيد القمني تضييف
نسيج المطابقة المزعومة أو تنفيذ مخطط مخرب الأديان، اليهودي فرويد صاحب
القول بأن التوراة قلبت حقائق الواقع الفعلي فجعلت من الفرعون نبيا ورسولا،
محاولة من سيد القمني إيجاد التطابق بين قصة إخناتون وقصة موسى فإن لم يجد

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٧١ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٦٣ فهل هذا هو التطابق با فيلولوكي اليهودي ريا تلميذه أيها الدكتور

المصري ١١٩

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٦٤ .

فتخريب الحقائق وتشويه النبوة في وحل المقارنات المفتعلة، محاولة منه لتحقيق ذلك ذهب إلى التاريخ اليهودي ليجد منه صورة عن زنى إخناتون بأمه فلم يجد، فقام بالتلاعب التالي «لكن الإعتراض البدهي هنا هو المعلوم أن موسى في التوراة قد تزوج من صفورة بنت كاهن مديان (يثرون/رعوثيل) أو رع إيل - رع إله) وليس أمه يوكاب. ومن جهة أخرى نعلم أن التوراة لم يكن لديها ملامة في زواج المحارم (بمنطق اليوم) فالبطريك إبراهيم تزوج شقيقته سارة (١) وعمران تزوج عمته (أو خالته) يوكابد، وكان بالإمكان التجاوز إلى بقية المحارم لكن التطور اللاحق منع من تسجيل الزيجة الأهم والصارخة (٢) فقد عمد المحرر بعد تطور العلاقات الاجتماعية (٣) إلى إخفاء هذه الحقيقة المروعة، لكن لتختلط الأحداث بين يديه وتلتبس فتفلت الحقيقة من بين السطور، في حكاية فضيحة. والحكاية في حديث التوراة عن زواج موسى من صفورة بنت (يثرون) في سيناء، وكيف أنه لم يكن مختونا بعد. ومعلوم أن موسى قد هرب إلى مديان يافعا بعد قتله المصري ظلما، وهو الترميز التوراتي لقتله أباه بمحو اسمه (٤) كما يرمز الهرب إلى مديان قصة إستبعاد إخناتون طفلا إلى هناك (٥) فهو يجعل حقائق التوراة والقرآن وهي هروب موسى بعد قتله المصري إلى مديان أنها ترمز إلى قتله أباه بمحو اسمه وأنه استبعد طفلا إلى مديان وليس هروب مزعوم في الكبر!

والقمني دائما ما يفتعل هذه التفسيرات إذا لم يجد المطابقة المرصودة بين

(٢) ويسمى في وضع آخر «المضاجعة المحرمة» و«فضيحة في القصر» جـ ٣ ص ٧٩٩-٨٠٤ ويقول ص ٨٠٠ « كانت العلاقة الجنسية بين الأم والابن أمراً بغيضاً في مصر والعالم القديم والمجتمع البدائي والحديث على السواء . . . وهي الحالة التي تشبه حالة إخناتون وأمّه (ني) من وجهة نظر فليوفسكي إقلت سيأتي تبني القمني لهذه النظرة أيضاً! فقد كان يعرف أنها أمه وتعرف أنه ولدها وأن العلاقة كانت علنية، فجعل أمه شريكته على العرش والفراش والمجب منها بكتانت، وربما بدأت العلاقة سرية ثم انقضت تلك السرية بسرعة »

(٣) هذا هو التفسير المادي للتاريخ !!!

(٤) المرجع السابق جـ ٣ ص ٨٦٤-٨٦٥ .

القصتين! وهو يجعل من نص توراتي موجود في الأسفار الحالية ليهود سنداً
لنظريته لتشكيلها كما يريد فيدعي أن زوجة موسى هي أمه!

والنص في سفر الخروج هكذا «وحدث في الطريق إلى المنزل أن الرب التقاه
وطلب أن يقتله، فأخذت صفورة (زوجة موسى المديانية / تعليق القمني) صوانه
وقطعت غرلة ابنها ومست رجله، فقالت: إنك عريس دم لي فإنفك عنه، حينئذ
قالت: عريس دم لي من أجل الختان» خروج/ ٤/ ٢٤-٢٦(*)

يعلق د. سيد القمني على هذا النص بقوله: «ونعود للنص الخطير عن ختان
صفورة لموسى بالصوان، نجد النص يقول إن موسى يفع وكبر وتجاوز السن
الشرعية للختان ولم يختن، فأخذت زوجته صفورة بنت رعوثيل/ يثرون/ سكيثا
مصنوعاً من الصوان وقطعت به قلبه أو غزله أي غلفة قضيب موسى. لكن المبهم
أن موسى هنا يوصف بأنه ابن صفورة التي هي زوجته»(**) وقبل علمنا هذا كان
ذلك النص مدعاة لتخریجات وتحريفات ومحاولات تاويلية فاشلة غير مقنعة،
لتفسير كيف كانت صفورة زوجته وأمه في نفس الوقت، خاصة أن هذه الأم بعد
أن خنته كبيراً أعلنته عريسا لها؟!!! لان لابد لكي يستقيم الأمر هنا ألا تكون
صفورة هي الزوجة والأم لكنها يوكابد أمه التي تزوجها أبوه عمران في مصر.
لكن لإخفاء ما حدث وستره كان لابد من هذا التميويه، فقد علمنا أن إخناتون قد
تزوج أولاً من نفرتيتي التي افترضنا مع جاردنر أنها الجميلة تادوخيا (الميتانية)،
وأنها ذات صلة قرابة بأمه (تي) التي افترضناها الأميرة (الميتانية) جيلوخيا التي
سبقت تادوخيا في الوصول إلى مصر وافترضنا أنهما ربما كانتا شقيقتين، مما يعني

(*) لصياغة سيد القمني لافتراءاته ووضعها في نظرية مكتملة يذهب لنصوص التوراة الحالية أو الأسفار
اليهودية الحالية فيأخذ منها ما شاء أو يحاول استخدامها كما أعلاه للقدح في موسى عليه السلام ونفى
حقيقته وهدم سيرته ومن ثم هدم الدين تماماً .

(**) يقول فرويد «الله كان غاضباً على موسى لإهمالة الختان وأن زوجته المدينية أنقذت حياته بإجرا»
عملية ختان سريعة» موسى والتوحيد ص ٦٧ .

أن إخناتون قد تزوج مرتين بزوجته نفرتيتي / تادوخيبا / والثانية بالملكة تي / جيلوخيبا / يوكابد^(*) / يوكاستا / التي هي صفورة أمه^(١)

وهكذا يجعل الدكتور سيد القمني من إخناتون / موسى / أديب شخصاً واحداً ومن أمه الملكة تي / يوكابد / يوكاستا أم واحدة ثم يزعم أنها هي صفورة زوجة موسى التي زعم أن قولها «إنك عريس دم لي» أنها جعلته زوجها! فبرواية توراتية من الكتاب المقدس الحالي يلفق سيد القمني أسطوره عن زواج إخناتون / موسى / أديب من أمه ويبنى عليها أن إسطورة هذا الزواج المرتبط بقتل الولد لإبيه دونت في القرآن بعد وصولها لجزيرة العرب!

مع أن نص التوراة يؤكد أن صفورة هي بنت رجل مديان «فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت له ابناً فدعا اسمه جرشوم. لأنه قال كنتُ نزيلاً في أرض غريبة» خروج ٢: (٢٢، ٢).

وقد يكون هذا الابن - ابن موسى - هو الذي خنته أمه، وقد يكون في النص فراغات أو ثغرات خصوصاً ونحن المسلمين نؤمن أن في الأسفار (المدعوة مقدسة) الحالية لليهود والتي يؤمن بها مسيحيو العالم ثغرات وفراغات وانحرافات وطمس للحقائق وتغيير وتبديل وتخوير، لكن لا يعني ذلك أن الحقائق التي وردت فيها هي إفرازات اسطورية ومواد خرافية واقتباسات كهنوتية هذا ما يقوله العلمانيون الماديون في تحليلهم للتاريخ وقلبهم للحقائق وتزييفهم للوقائع. إن المشير للدهشة حقاً، هو أن سيد القمني بعد أن انتهى من استخدام «صفورة» في بناء نظريته ذهب لاستخدام نص توراتي آخر يثبت زواج موسى من امرأة أخرى «كوشية» ويخلص من ذهب أن ذلك الغضب لا يمكن أن يكون لأن موسى تزوج مرة أخرى

(*) يوكابد اسم أم موسى في التوراة!! أي هي (تي) أم إخناتون / موسى وقد تزوجها بزعم القمني !!

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٦٦ .

أو من كوشية وإنما لأنه فعل جريمة خطيرة وهي زواجه بصفورة أمه!! أو بالأحرى زناه! فأين صفورة المديانية من الكوشية؟ وقد جعلها سيد القمني أيضاً واحداً!!، يقول «وننقب في المقدس التوراتي بعيون الباحث والتحري علناً نجد ما يفيد بزواج موسى من زوجتين تعادلان نفرتيتي ثم (تي) في قصة إخناتون، نجد التوراة تلتوي وتشير بسرعة (!) إلى أن موسى قد اتخذ زوجة ثانية وأن تلك الزوجة الثانية هي صفورة المديانية، أما الأولى فيتركنا المقدس التوراتي بشأنها دون إفادة (!) واضحة. وفي قصة التوراة التي نقصدها (!) نعلم أن هارون شقيق موسى ومريم شقيقته بعد مساندة طويلة لموسى بغضبٍ عليه غضباً شديداً^(*)، ويُعلنان على الناس هذا الغضب مع تحريضهم وإثارتهم ضد موسى لسبب يتلخص في كلمات شاردة سريعة مغطاة لا تتكرر مرة أخرى بالتوراة إلا هذه المرة الوحيدة تقول تلك الكلمات الشاردة: وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها لأنه قد اتخذ امرأة كوشية) عدد ١٢ / ١. أبداً لا يكرر الكتاب المقدس تلك الإشارة، ولا يفصح لنا عن هذه المرأة الكوشية^(**) ومتى تزوجها موسى ولماذا أغضبت مريم وهارون؟ وليس مقبولا أن يكون كل هذا النزاع والغضب فقط لأنها كوشية/ سوداء/ زنجية (!) (ماذا تريد أن تقول يادكتور سيد؟! ولا ريب أن لذلك الغضب الهائل مبرر آخر (!) أغمض المحرر التوراتي عينه عنه (!) أما ثمثال (تي) أم إخناتون الذي عثر عليه في سيناء قرب الجبل المقدس كاترين

(*) لو كان الأمر كما سيذكر فلماذا ضربها الله بالبرص كما في الكتاب المقدس (عدد ١٢ : ١٠) ورداً على اعتراضهما على زواجه من الكوشية يقول عدد ١٢ : ٣ وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً، ورداً آخر في عدد ١٢ : ٧-٨ : أما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي فلماذا لا يخشيان أن تتكلما على عبدي موسى . ونحن لا نقبل لا روايات القمني ولا روايات الاسفار اليهودية ولكننا نرى هنا تزيف المعلومات من دكتور في التاريخ !! .

(**) لذلك يحاول القمني أن يتهمها فرصة غالية ليقول بأنها أمه !! بدل أن يقول أن هذه الرواية تخالف طبيعة العلاقة التي كانت بين الأنبياء موسى وهارون فنوق أنهما اخوين فهما أيضاً نبين وليست هذه هي سيرة الأنبياء، بدل أن يقول ذلك ذهب يخترع الأساطير .

فكان يفصح بوضوح عن وجهها السيناوي الأسود!!!^(١)

إذن الكوشية ذات الوجه الأسود/ سوداء/ زنجية بحسب لخبطة القمني، هي أمه التي هي (تي) التي هي أم إخناتون التي هي (صفورة) المديانية (ثلاثة في واحد!!!) يقول «إذن يبدو أن إخناتون عندما عاد إلى مصر وكي يتزوج أمه (تي) (!) كان لابد أن يقوم بطقس الختان حيث لم يكن قد اختن في مديان (!)، وهو ما جاء في النص التوراتي المذكور «فأخذت صفورة صوانه وقطعت غرلة ابنها! أما أن يرى الصليبي (يقصد كمال الصليبي) بعينه الثاقبة أن في التوراة صورتين لموسى واحدة باعتباره نبيا وواحدة باعتباره إلها، فهو ما يؤكد نظريتنا لأن إخناتون كان نبي آتون وفي الوقت نفسه ابنه الإلهي، لقد كان إلها ونبياً في الوقت ذاته»^(٢)

أما حفلة الزواج فيحكىها الدكتور سيد القمني عن «جارستانج» فيزعم أن (تي) قامت بدور الأم الإلهية والكاهنة العظمى «هذه المرة كانت أمه تي - وهو ما تنطق به لنا لوحة الحائط الشرقي بمقبرة يويا التي يأخذ فيها إخناتون بيد أمه (تي) يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها مع تدوين شارح يقول «يقود الملكة العظمى والأم الملكية (تي) لترى ظلها في الشمس» وفي اللوحة يرتدي إخناتون ثوباً شفافاً يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما (تي) فتكاد تكون عارية تماماً. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة في زواج صريح معلن دائم وليس فقط في حفل سري بالمعبد ... لقد أراد إخناتون كشف كل الأستار والتصريح بطقوس عقيدته فقرر أن يكون إلها ابن إله على الأرض قبل رحيله إلى عالم الآلهة بعد الموت بالزواج من الأم الإلهية»^(٣)

ويذكر القمني قول «فليكوفسكي»: «أما «تي» فتكاد تكون عارية وإخناتون يمسك بيدها كما لو كانا عاشقين» ويذكر قول أوديب عن أمه يوكاستا «أمي

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٥٧ .

(١) ج ٣ ص ٨٦٧ المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٥٦-٨٥٧ .

وبما تقدم فقد حاول القمني أيضاً أن يقول بأن موسى تزوج أمه التي رعم أنها صفورة التي هي زوجته!!!، هي تي العارية هي الكوشية السيناوية!!!

فهل هذه حقيقة المرأة الكريمة أم موسى التي أوحى الله إليها ووعداها وعداً حقاً؟! ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [النمر: ٧] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمر: ١٠] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَجْرُ عَيْنَاهَا وَلَا تَحْزَنُ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمر: ١٢] ويقول الله تعالى أيضاً في سورة [طه: ٣٧-٣٩] ﴿وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ اقْذِيبِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيبِي فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ هل هذه المرأة الكريمة هي (تي) التي يقول القمني عنها «نفرتي تي و «تي» وبناتهما يظهران عرايا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحاً عن طقس يلزم العبادة الجنسية...»^(٢)

وهل موسى هو إختاتون نفسه الذي تزوج أمه وزنى أبوه بابتته؟

يقول القمني «وقبل زمن إختاتون بجيل واحد تزوج والده آمنحتب الثالث إحدى بناته عرض، وقد حذا إختاتون حذوه، وربما كان تأثر عادات الميثانيين في العلاقات الزوجية، هوالمثل عن هذه النزعات التحررية... كذلك نزعة العري في رسوم نفرتي تي وبناتها، والتي تكشف دوماً عن الفرج، كما لو كان مقصوداً عن عمد، ربما تقديساً للفرج رمز الخصب»^(٣)، وعادة ما اشتملت عقائد عبادة الفرج على طقوس جنسية غير مألوفة، كزواج الابن من أمه أو الأب من ابنته فيما يُعرف

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٨٤٦ .

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٧٩٩ .

(٣) لاحظ أن القمني جعل من الخارجين من مصر طائفة هم «عبدة الآدون أو السيد أو الله مثلاً في نور

الخصب»!!! والنص جـ ٣ ص ٨٣٠ .

بالطقس السري، ويطلق على العقائد التي تمارس ذلك عموماً «الديانات السرية»^(١).

وهكذا وجد القمني مقابل شخوص قصة موسى ﷺ شخوص في القصة المصرية عن إخناتون حتى إنه جعل الأسماء هنا هي الأسماء هناك في احتيال تطابقي هش لا يصمد أمام التحليل البسيط.

بيد أن القمني عجز عن إيجاد شخصية مقابلة لشخصية هارون أو مريم أخته (كما في رواية التوراة) في قصة إخناتون المصرية فجاء بما يضحك منه الدهر يقول «سنجد في الملحمة التوراتية (!) شخوصاً غاية في الأهمية مثل هارون ومريم شقيقا موسى دون تواجد واضح لشخصيات مقابلة في الأصل المصري (!) أو في الملحمة الأوربية فمن كانا في تلك الملاحم ولو بالاستنتاج؟ (!) ثم الأهم من كل هذا تبقى ثغرات واضحة في نظريتنا لا تحتاج جهداً لكشفها وتتمثل في السؤال: كيف كان الفرعون إخناتون هو ذات شخص موسى بينما المفترض أن موسى نازح ضد الفرعون ودخل معه صراعاً جذلياً استخدمت فيه أدوات لإدارة الصراع ومرت البلاد والعباد ناهيك عن كون أوديب قد مات أعمى وهو ما لم يحدث لموسى بل على العكس تماماً كانت التوراة تؤكد طوال الوقت أن موسى عاش ثاقب البصر صحيح العينين... وعملياً من المستحيل على باحث أن يجد جميع العناصر والتفاصيل الصغيرة^(٢) بدقائقها ومنمنماتها متطابقة تمام التطابق بين أصل واقعي في حقل أحداث حدثت في مصر، ونسخة مروية من تلك الأحداث في كتاب موصوف بأنه مقدس عمد محرروه إلى أكثر من استبعاد وأكثر من تزوير لإستبعاد فكرة واستبقاء أخرى تتفق مع رؤيتهم القدسية»^(٣) ولا يظن القاريء أن د. سيد

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٨٠٦ .

(٢) ألم يقل في نفس المقالة بأن اشخاصاً غاية في الأهمية كهارون ومريم مفقودون في القصص المصرية واليونانية فلماذا الآن يقول (التفاصيل الصغيرة؟!) فهل هذه تفاصيل صغيرة .

(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٨٨٤ .

القمني يدافع هنا عن الاسلام وعن قصة موسى في الإسلام، فالرجل يرفض حقيقة قصة موسى باعتباره نبياً من بني اسرائيل وأنه أرسل إلى فرعون بعد هروبه من مصر وبعد أن عاش فترة في مدين وتزوج ابنة رجل مدين، فالقمني يرفض أن تكون قصة موسى كما هي في القرآن برفض اعتباره نبياً، تربى في بيت فرعون وهو غريب عنه، طفلاً من بين إسرائيل وليس ابناً لفرعون لا بالولادة ولا بالجنس والعرق، ولا يؤمن بحقيقة المواجهة التي تمت بين موسى ﷺ وفرعون الملعون ولا بطلب موسى من فرعون أن يترك بني إسرائيل يخرجون من مصر بسلام ولا أن فرعون بعد خروج بني اسرائيل قد طارد موسى وقومه فإنشق البحر ففرق فرعون، لا يؤمن د. سيد القمني بشيء من ذلك، لأنه يعتقد أن قصة موسى، كما هي في القرآن انتقلت للتدوين عن طريق الرواية الإسرائيلية، مع بعض التحوير، وأن قصة موسى التوراتية إنما هي نسخة محوَّرة عن أصل القصة المصري لاختاتون الذي حدثت له أحداث في مصر، نسبت بعد ذلك لموسى بزعمه وقد أضيف عليها نبوة موسى كما أضيف عليها أنه أرسل من الله لبني إسرائيل، لا يؤمن القمني بشيء من ذلك ولا أن موسى كان طفل بني اسرائيل تربى في بيت فرعون لم يؤمن بقصة هروبه بعد قتله للمصري إلى مديان ولا برجوعه لإخراج بني إسرائيل من مصر بأمر من الوحي الإلهي وغير ذلك من الأمور التي يرفضها هو والعشماوي وأحمد عثمان وغيرهم كثير من العلمانيين العرب الذين ذهبوا يقلدون خزعبلات فرويد اليهودي وإيمانويل فليكوفسكي اليهودي وجاردنر (آلن هنري) وجيمس هنري برستد وغيرهم من الذين يزورون الروايات ويشوهون الحقائق والتواريخ والنبوات.

وقد قدمنا كيف كان يتلاعب بقصة موسى وكيف زعم أن محرري التوراة هم الذين صنعوها ونسخوها بطريقتهم الخاصة عن قصة إخناتون! وبدل أن يقبل القصة القرآنية بهدوء ذهب يتمحل ويعطي الأدوار لشخصه حسب دورهم في

نظريته المفعممة بالضلال والشبق المدمر يقوم بذلك فيما هو يحاول أن يجد لكل شخصية صدى في الاسطورة إخناتون نظيرها في التوراة والقرآن.

إنه مازال يبحث عن دور لهارون عليه السلام فقد سبب له إشكال في نظم ونسج خيوط نظريته الهشة يقول «فربما كان هارون رفيقا لأوزر سيف وربما كان هو الوسيط العبري بين إخناتون وبين أسرى مدينة حواريس سواء كان حقيقة أم اختراعاً اخترعته التوراة كمترجم، وهو الوسيط الذي لم يأتنا ذكره في الأصل المصري لأن الأصل المصري قد عني بالأسرة المالكية وحدها، خاصة أن ظهور هارون كوسيط يبدأ دوره بعد خروج إخناتون منفيا من مدينته^(*) ومن ثم لم نجد أي ذكر في المدونات المصرية له فهو أمر طبيعي لأنه لم يكن قد ظهر بعد (!). وبالتالي لم يظهر أيضا في ملحمة أوديب لأنها قد استمدت وقائعها من مصر مباشرة (!) وليس عبر التوراة، لذلك كان طبيعيا أن يظهر في التوراة وحدها، ولتأكيد إسرائيلية موسى ونفي أصله المصري (!) ابتدع لهما أصل واحد (!) فهو شقيق موسى و كليهما إسرائيليان من بني عمران^(١)»

وهذا قدح في الوحي، وقدح في القرآن الذي جعله القمني نتاج تطور ارتقائي وإفراز تاريخي وتكوين وتراكبات ثقافية لقرون طويلة!، ويعتبر قصة موسى التي - بحسب كلامه - دُوِّنت في القرآن نتاج تحويرات ايديولوجية لكهنة التحريف اليهودي الذين نسخوا قصتهم عن موسى عن أصل مصري لا يمت لبني إسرائيل بصلة!!، فإذا كان فليكوفسكي - بحسب قول القمني - قد (زور علينا وعلى العالمين)^(٢) فإن القمني فعل نفس الفعل - وهو يحاول، على طريقته الماركسية في

(*) منذ قليل كان يبحث عن دور ولم يكن متأكداً من وجوده التاريخي والآن بعد سطر واحد يتكلم كأنه

متأكد من دوره بعد خروج إخناتون !!! ياللعجب !!! .

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٨٧ .

(٢) إسرائيل ... التوراة ... التاريخ ... التفسير ص ٢٢١ .

التفسير، أن يجعل من آيات موسى ﷺ موروثة مصرياً وحيلة معروفة!!

يقول عن قول الله عز وجل لموسى ﷺ ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْمَى﴾ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿طه: ٢١، ٢٢﴾ «أما وضع الملك يده في فتحة ملابسه في صدره وإخراجها ليربها للناظرين، مع ما جاء في التوراة والقرآن أنها تظهر في تلك الحال بيضاء مضيئة، فنعتقد ذلك يرتبط بما سبق وفعلته حتشبسوت (١) لتأكيد شرعية ملوكيتها المشكوك فيها وأرسلت لهذا السبب خصيصاً بعثتها إلى بونت لاحتضار المادة المضيئة التي أسمتها النصوص مادة السام... ويبدو أنها كانت العادة التأكيدية لشرعية الملك في أعياد سد فكان الملك يخفي يده في جيب صدريته ويغمس يده في مادة السام المخفية في ملابسه ليخرجها مضيئة للناظرين، وهو بالضبط ما فعله إخناتون أمام (آي) وجماهير شعبه كآيات للملك، وذكرته بعد ذلك التوراة كمعجزات قام بها النبي موسى أمام الفرعون. أما بقية المعجزات كضرب مصر بالبعوض والصفاد والجراد والذباب والقمل فهي أمور إعتيادية في أرض مصر التي تضج بالحياة (١)، وهي في ذات الوقت أمور غريبة على محرر توراتي يعيش في صحراوات جافة ضئيلة بالحياة وشحيحة. ويبدو أن الأمر لم يحسم لصالح الدلائل السحرية للشرعية» (١)

وهكذا يجعل القمني من الآيات الكبرى - كما سماها الله في القرآن - حيل تصنع في الخفاء عن طريق مادة السام التي تخفي في الملابس وعند إخراج اليد منها تخرج مضيئة للناظرين!

لقد ساوى حيل السحرة بآيات الله، ونفي عن آيات الله أن تكون آيات حقا، وحسب اعتقاده فذلك يرتبط بما فعلته حتشبسوت بالمادة المضيئة المخفية في الملابس!

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ج ٣ ص ٩٠٨-٩١٢ .

وأنا هنا أذكر ما قاله عبدالله النديم في أساتذة القمني القدامى الذين صنعهم الاستعمار الفرنسي ثم رعاهم الاستعمار الإنجليزي والذين أشاعوا في عالمنا العربي والإسلامي المادية والشك، والعلمانية، والإلحاد يقول النديم: إنهم إعداء الله وأنبيأوه، الأجراء الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق، وقد ستروا هذا الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هي إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان»^(١)

وما هي إلا تكهنات خائبة وافتراضات خاطئة وتأملات منحازة وأيديولوجيات مبيّنة مُترَبِّصة تحاول صنع ما أسماه «أدونيس» العلماني: «انقلاب معرفي ونظري»^(٢) في عالم الإسلام والمسلمين وهذا الانقلاب المعرفي يقوم كما قال ابن القيم قديما على «زبالة الأذهان ونحالة الأفكار وغبارة الآراء ووساوس الصدور»^(٣) فهل نترك اليقينيات ونرمي وراء ظهورنا العقلليات ونرفض الحقائق التاريخية الأصلية لهذه الزبالات، ونتبع «مناهج العمى»^(٤) بحسب وصف سيد قطب.

مناهج العمى التي تسبب عمى البصيرة، وعمى الطباع - يقول محمد الغزالي - ذلك أن الطباع إذا فسدت فسدت تصورها للأشياء، وفسدت أحكامها عليها. كالمرأة التي غاض ماؤها، وانطفأ نورها، وتساقت القطع من سطحها وأطرافها، لا يمكن أن تثبت صورة صحيحة لما يواجهها»^(٥) وكيف يفهم هؤلاء القضايا الكلية الكبرى والصغار لا يستطيعون فهم القضايا الكبرى، كما تعجز المراصد البدائية عن التقاط

(١) من مقالة للدكتور محمد عمارة تحت عنوان «هذا إسلامنا» بجريدة القاهرة المصرية الثلاثاء ٨ مايو ٢٠٠١ ص.

(٢) ديوان الأساطير، دار الساقي ص ٨.

(٣) إعلام الموقعين ج ١ ص ٦٨.

(٤) ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٧٥.

(٥) كيف نفهم الإسلام للغزالي ص ١٣٨.

صور الكواكب البعيدة^(١) فبعد ما يقومون بالرصد البدائي بعيون فاقدة لنور البصر والبصيرة يخرجون على العالم بالنظريات الخائبة المشوشة والخلافات الصاخبة المخلخلّة والاستنتاجات المحيرة المظلمة التي سرعان ما يجري تبديلها وتغيرها كالثوب الوسخ البالي أو تعديلها بمجرد ظهور ضلالات جديدة فيكرهون كما قال ابن تيمية رحمه الله فطرهم وعقولهم على التناقض والفساد والانحراف^(٢) على العكس من هؤلاء الانبياء الذين بُعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا تبديلها وتغيرها أو إكراهها ومسح طبيعتها. فلن «من خالف الانبياء فإنه كما أنه مكذب لما جاؤوا به من النبوة والسمع، فهو مخالف للحس والعقل، فقد فسدت عليه الأدلة العقلية والنقلية»^(٣)

«يُفسدون الحس والعقل كما أفسدوا الأدلة السمعية والحس والعقل، بهما تعرف الأدلة، والطرق ثلاثة: الحس، والعقل، والخبر، فخالفوا الانبياء أفسدوا هذا وهذا وهذا»^(٤)

والله تعالى يقول ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١٠، ١١] فالتخرص والإنغماس في الغفلة والسهو عن الواقع آفات - كما يقول الغزالي - لا تنتج حقيقة أبداً^(٥) والخراصون لا يؤيدون النظريات العقلية المناقضة للقرآن والواقع والتاريخ «إلا بمقدار ما تُعطي الشبهات حق الحياة، والخطأ حق الإنطلاق والفوضى حق التدمير فإذا أتاحت لهم الحرية ما يستفنون سدوا على خصومهم أفواه الطرق ودفعوا بالمجتمع كله صوب ما يعتقدون»^(٦)

وما الوقعة في الانبياء إلا إفساداً للحياة وتدميراً لحقائق الوجود، فحق الانبياء تابع لحق الله، وإنما عظمت الوقعة في أعراضهم لما يتضمن ذلك من الكفر

(١) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ص ١٤٨-١٤٩ .

(٢-٤) النبوات لابن تيمية ص ٤٤٩-٤٤٨ .

(٢) انظر نقض المنطق ص ٥١ .

(٦) ركائز الإيمان لمحمد الغزالي ص ٣٥ .

(٥) ركائز الإيمان ص ٣٣ .

والواقعة في دين الله وكتابه ورسالته^(١) «فإنه أصل لكل فساد في الأرض إذ هو إفساد للنبوة التي هي عماد صلاح الدين والدنيا والآخرة»^(٢)

إن سيد القمني من أقطاب المدرسة العلمانية التي تعتمد إلى النيل من العقائد والشرائع السماوية والمقدسات الدينية بحجة حرية البحث والاجتهاد... تهتك المقدسات وتجرحها - كما يقول الأستاذ فهمي هويدي - تهدم في هدوء وبغير ألم وتتحدى ركائز عقيدة الأمة^(٣)

وكتابات القمني - كما يقول هويدي - «من نوع الكتابات الشيطانية العربية»^(٤) «أخطر من رواية سليمان رشدي، تباع في مكتباتنا وعلى أرصفة مختلف العواصم العربية»^(٥)

القمني وإيمانويل سيمون فليكوفسكي:

قام د. سيد القمني بنقد فكر «فليكوفسكي» الهادف إلى تأسيس خطير للقومية الإسرائيلية «في كتابه الذي إكتسب شهرة عالمية في الأوساط العلمية كافة، والموسوم بعنوان (عصور في فوضى)، والذي إنتهى من كتابته في شهر فبراير من عام ١٩٥٢م»^(٦)

فليكوفسكي - في نظر القمني - «هو صاحب أهم وأخطر وأثرى تنظيم تاريخي لما يسميه هو (القومية الإسرائيلية)»^(٧)

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٣٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٩ .

(٣-٤-٥) من مقالة «التعدد لا التعدي» للأستاذ الكريم فهمي الهويدي بجريدة الأهرام ٢٣ مارس ١٩٨٩م

القاهرة، والمدعش أن القمني وضع هذه المقالة كاملة في مقدمة كتابه التافه «الحزب الهاشمي» انظر الحزب

الهاشمي ص ٧ .

(٦-٧) إسرائيل .. التوراة .. التاريخ .. التضييل للقمني ص ١٥٥ .

ويقول القمني بأنه عندما طالعت (عصور الفوضى) اكتشفت أن الأمر جد خطير، وأخطر بكثير من كتابات أسطورية قديمة كانت تلائم بنية التفكير في عصرها»^(١)

فما أزعج القمني هو «قدرة المؤلف على البحث الدؤوب الذي لا يكل، وإملاكه جلدأ على التقصي لا يبارى، وسعياً لا يفتر - من أول كلمة خطها إلى الختام - وراء القرائن والبراهين التي تدعم فروضه وأطروحاته لتحويلها إلى بناء راسخ القواعد»^(٢) فقد سجل فليكوفسكي - يقول القمني - «أعظم نقطة في رصيد القوميات العنصرية، بقراءة موثقة وتنظير قل أن يوجد مثيلاً له لتاريخ إسرائيل المقدس»^(٣) ويعترف القمني أن فليكوفسكي كاد أن يحكم السيطرة على عقله تماماً! «وهنا أجدني مضطراً لتقديم اعتراف متواضع، مضمونه أنني ما كدت أنتهي من قراءة كتاب عصور في فوضى حتى كان (فليكوفسكي) قد أنشأ كل إمكاناته وبراعته في دماغي، حتى وصلت إلى لحظة كادت تكون هي التسليم له بكل ما ذهب إليه»^(٤) ومن ثم كان لابد أن أعيد النظر فيما سبق أن وصلت إليه في أعمالي المنشورة لي على الأقل، وأن أعلن في أقرب مناسبة تراجعني الكامل عن كل ما وصلت إليه في أبحاثي من باب أمانة واجبة علمياً (!)، كما كان ينبغي إذا أردت الاستمرار أن أبدأ من نقطة الصفر مرة أخرى، وأعيد النظر في كل ما وصلت إليه حتى الآن في قراءتي للتراث... ولولا محاولة أخيرة في قراءة رابعة لعصور في فوضى، تسمى للإطمئنان اليأس قبل أن أنفض يدي من شئون البحث، قصدت منها مراجعة أخيرة لمكمن سقراطي البحثية قياساً على نتائج

(١) المرجع السابق ص ١٥٦ لقد قام الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد بنقد فليكوفسكي والقمني في آن واحد في كتابه المغالطات والافتراءات الصهيونية وهو كتاب مفيد .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

(٥) سيأتي أن القمني اقتبس جزءاً من نظريته من فليكوفسكي وقدمنا ذلك أيضاً !

(فليكوفسكي) لأضعها بين يدي باحث صديق أطمئن لإخلاصه ليأخذ الخطوة المناسبة أقول: لولا تلك القراءة ما كان ممكناً أن أكتب هذه الصفحات، فسرعان ما بدت تتالي إكتشافات لمكان الشرك والفخاخ، وبدأ التلقيق يظهر ثم تزييف الدلالات أخذاً بعضه برقاب بعض، تلك الشرك التي تمت صياغتها وتربيتها بحرفية عالية الجودة وبإتقان غاية في الكفاءة^(١) اكتشف القمني أن فليكوفسكي طوع مادته التاريخية لخدمة أغراض أبعد ما تكون من العلمية^(٢) إضافة إلى ذلك يحلف القمني بالآيمان الثلاثة أن فليكوفسكي يتلقى دعم مؤسسات أكاديمية عالمية^(٣)

ومع ذلك فقد وقع د. سيد القمني في شرك فليكوفسكي المتقنة الكفاءة ففي حين قام القمني بنقد كتاب فليكوفسكي «عصور في فوضى»^(*) لأنه يؤسس للقومية العنصرية الإسرائيلية نجد القمني من ناحية أخرى يغرف من طروحات فليكوفسكي المدشنة في كتاب آخر لفليكوفسكي هو «أوديب وإخاتون» الذي وصفه القمني نفسه بأنه عمل غير مسبوق! لقد استفاد القمني من هذا الكتاب استفاده قصوى، بل لقد خصص له حوالي ٤٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه (النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة) من الصفحة ٧٨٤ إلى الصفحة ٨٢٤، كسند قوي له في بناء أطروحته الخربة. فيقول القمني في أول صفحة (٧٨٤): «في عام ١٩٦٠م انتهى إيمانويل فليكوفسكي من تدبيج عمله غير المسبوق «أوديب وإخاتون» الذي أوجز المسألة كلها في فقرة تقول: «لم يكن إخاتون موحداً أولاً، ولم يطلق عليه من خلفوه من فراعنة لقب المجرم من جراء محاولاته في ميدان الإصلاح الديني،

(٢) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(١) المرجع السابق ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦٠ .

(*) أدلى فليكوفسكي بدلوه أيضاً في لخبطة التاريخ، وبدلاً من أن يكون عصر إخاتون سابقاً لخروج بني إسرائيل من مصر، جعل الخروج سابقاً على إخاتون وسمى كتابه «عصور في فوضى» من الخروج إلى الملك إخاتون! والمضحك أن فليكوفسكي قال بأن حثبوت المصرية هي ملكة سبا اليمنية!! فانطبق عليه وعلى عصره العلماني اسم كتابه أي : عصور في فوضى !!

ولكن من جراء خطيئة أخرى تسردها صفحات هذا الكتاب»^(١)

إن القمني ذهب كما ذهب فليكوفسكي إلى أن خطيئة إخناتون كانت جرماً خاصاً وهو زواجه بأمه! كما ذهب إلى أن إخناتون لم يكن موحداً وأنا لا أعترض على ذهاب القمني لما ذهب إليه فليكوفسكي في هذه المسائل كما لا أعترض على عملية الربط بين إخناتون/أوديب التي استفادها القمني من فليكوفسكي، فهذا تاريخ بشري يأخذ منه ويرد، ولم يكن اليونان بأعظم أخلاقاً من المصريين الأقدمين ولا المصريين في التاريخ القديم كانوا أبعد عن الوثنية من اليونانيين لكن القمني يستغل المشاعر الإسلامية للإيحاء بأن فليكوفسكي يسعى في أبحاثه لإقامة تنظير تاريخي للقومية الإسرائيلية.

ولو نظرنا بدقة إلى ما ينقده القمني أثناء نقده لأفكار ومسلمات فليكوفسكي لوجدنا القمني ينقد أشياء كثيرة ثابتة في التوراة والإسلام، ويكفي كدليل على ذلك ما هدمه القمني من الحقائق التاريخية التي يشترك في الإيمان بها المسلمون واليهود من نبوة موسى ﷺ وأنه من بني إسرائيل وأن خروجه كان ببني إسرائيل مطارداً من فرعون وجنوده الذي أهلكه الله وجيشه في معجزة انشقاق البحر ونجاة جسده كاملاً كجثة هامة تحتل الآن مكاناً في قاعة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة ويستطيع الزوار أن يروه^(٢)

(١) فليكوفسكي : أوديب وإخناتون ، ترجمة فاروق فريد، وزارة الثقافة بالمشراكة مع دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص ٦ نقلاً عن النبي موسى للقمني ج ٣ ص ٧٨٤ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل ... ج ٣ ص ٧٨٤ .

(*) يقول الدكتور بوكاي « في يونيو ١٩٧٥ سمحت لي السلطات المصرية العليا بدراسة أجزاء جسم فرعون التي كانت مغطاة حتى ذلك الوقت ... الشاهد المادي الوحيد الباقي حتى يومنا هذا ... الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التي أرادها الله لجسده ... إنها شهادة مادية في جسد محنط على من عرف موسى وعارض طلباته وطارده في هروبه ومات في أثناء هذه المطاردة، وأنقذ الله جسده من الهلاك التام ليصبح آية للناس كما هو مكتوب في القرآن « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل ص ٢٧١ .

لقد قام علماء المسلمين قديماً وحديثاً بنقد خرافات وافتراءات أسفار اليهود المعروفة لكنهم لم ينقدوا الحقائق التي مع الخصم ذلك أن الحقائق التي عنده هي حقائق نبوية ولا يمكن أن تتناقض مع ما أوحى إلى رسول الله محمد ﷺ . فلم يقوموا مثلاً برمي موسى بإدعاء النبوة أو برمي كتبه الأسفار اليهودية بأنهم أخفوا أصلاً مصرياً لقصة موسى ﷺ أو أنهم اقتبسوا قصة موسى من أصل مصري أو عراقي أو يوناني .

أما القمني الذي يؤمن بالماركية والمذاهب الحديثة في تحليل النصوص المقدسة فقد نقد حقائق وأباطيل فليكوفسكي في نفس الوقت الذي استفاد منه نصف نظريته الجديدة وهي أن إخناتون هو أوديب وأضاف عليها أن إخناتون هو أوديب هو موسى ، شخص واحد بروايات ثلاثة !

فكانت إفتراءاته أخطر بكثير من افتراءات فليكوفسكي ، فقد قام بنقد حقائق آمن بها فليكوفسكي أو سلم بها في نفس الوقت الذي أضاف إلى ما استفاده من فليكوفسكي «إخناتون هو أوديب» أباطيل رفضها فليكوفسكي نفسه ألا وهي أن موسى هو إخناتون وأنه ابن آمنحتب الثالث وزوجته ني اللذين كانا إياحين في ديانتهما ! وقد قدمنا من كلام فليكوفسكي الذي أورده القمني نفسه رفضه لفكرة أن موسى هو إخناتون بل ورد فليكوفسكي ونقده اللاذع لزعم فرويد بأن موسى مصري الجنس والميلاد ولتجروءه على شخص موسى ﷺ ! في حين أن القمني راد في جراته الهمجية أكثر من جرأة فرويد فزعم أن إخناتون هو موسى هو أوديب ثم ذهب يسرد علينا تاريخاً فاضحاً لإخناتون وأمه وأبيه ، يستحي المرء من قراءته .

فإن كان القمني قد قال عن فليكوفسكي أنك «لا تلمس بطول كتابه نزوعاً إيماناً حقيقياً، ولا يبدو الرجل كحبر من الأحبار، ولا حتى ذا ميول دينية ، بل إنك تلمس رغبة الرجل ألا يبدو رجل دين تقليدي، بل يكاد يفصح أحياناً

بالحاده« (!) فلإن كتابات القمني نفسها إنما هي أعظم افتراءاً من افتراءات فليكو فسكي، كما أنها أصرح منها في الكفر والإلحاد - وإن كان القمني أثناء قتله للجسد الإسلامي يصلي على النبي!! - واغرق منه في الخيال والكذب والبهتان. فعلى الأقل وقف الرجل ضد سيجموند فرويد لتحقير الأخير لموسى ﷺ أما القمني فهو يمرغ صورته في الوحل ولا ينسى أيضاً أن يصلي عليه!

زيادة على ذلك افترى القمني - كما قدمنا - على القرآن بزعمه أنه دون أساطير مكتوبة وشفوية ومقتبسة!، كما زعم أن هذه الأساطير - وقد جعل القمني من الحقائق التاريخية أساطير - وصلت جزيرة العرب لتدون في القرآن، فهي ليست وحياً فوقياً ولكنها تطورات وتنقلات لأساطير قديمة!! وقد رمى القمني القرآن بأنه دون بين دفتيه مفاضلة باطلة بين شعب مصر القديم وتاريخه العريق وفراعينه وبين جماعة إسرائيل وأنبيائها و المفاضلة بين ملوك إسرائيل وجماعتها وبين ملوك كنعان وشعبها الفلسطيني يقول «وهي المفاضلة التي يمكن أن تؤرق الضمير الوطني أو تجرح الحس العقائدي في حال لزوم الاختيار ما بين فرعون وموسى، أو المصريين والإسرائيلين، وكذلك ما بين جالوت وداود، أو الفلسطينيين والإسرائيلين»!!^(١)

ولا أعرف عن أي ضمير وطني يتكلم القمني؟

فكلنا يعلم أن الضمير الوطني اليوم هو ضد إسرائيل المفسدين وفرعون الماضي الظالم، فالمسلم مع الحق أينما كان، فيوم أن كان فرعون يستخف قومه كان الإسلام في صف الإيمان وأهله واليوم يستخف اليهود بالعالم كله ونفس الإسلام الذي وقف ضد فرعون في الماضي يقف اليوم ضد يهود التحريف والإفساد.

فنحن المسلمين مع موسى النبي وقومه ضد فرعون وملئه المفسدين كما أننا مع داود ﷺ ضد جالوت المتعالي واليوم نحن مع إخواننا الفلسطينيين ضد اليهود

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص ١٥٢ .

الكافرين والمفسدين والمحاربين لدين الله ولإنسانية الإنسان. في نفس الوقت الذي نسالم فيه ونعامل بالحسنى أي يهودي أو مسيحي مسالم غير معتد ولا محتل غاشم. هذه مسلمات في ديننا وفي ضميرنا الوطني وعقيدتنا الإسلامية.

لكن القمني يرفض التاريخ الموسوي كله، بل يرفض نبوته ورسالته فهو بزعمه كان اخناتون الوثني الإباحي غير أن التوراة غيّرت القصة الحقيقية بعد تحويلها من أصلها المصري لتأخذ شكلها العبري المزيف.

هكذا يفكر القمني وقد قدمنا كل الأدلة التي تظهر هذا الموقف المفسد للحقائق والمضيع للأصول بحجة الحفاظ على الضمير الوطني الذي يجب أن يحارب الصهيونية ومسلماتها!

لقد اتهم الرجل الاسلام بأنه خضع للأيديولوجيا الصهيونية ومنظومتها الفكرية بعد إلباسها لباساً قرآنياً إسلامياً!

يقول «في التجربة المستمرة للتعامل مع طروحات الأيديولوجيا الصهيونية، المؤسسة على أعمدة تاريخية ودينية قدسية، كنت على يقين دوماً بمدى تهافت كثير من أعمالنا الفكرية وترنحها إزاء تلك الطروحات، رغم كم الشعارات والجميل الساخنة، والإطالة المفرطة حيث كانت تلك الأعمال تلتقي بنا في النهاية على حجر الفكر الصهيوني وقبضة منظومته الفكرية بعد الإقرار لها بكل تأسيساتها التاريخية والقدسية، برداء إسلامي يعيد إنتاج عناصر الأيديولوجيا الصهيونية، وهو ناتج ضروري، ولزوم حتمي عن التسليم الايماني بقدسية التاريخ الإسرائيلي، كمادة أولى وأساس في النص المقدس، وكمادة أولى في قانون الإيمان (بالله وملائكته ورسله وكتبه)، وكان الواضح أن أولئك الرسل جميعاً من بني إسرائيل نسباً وشرفاً وعقيدة. وإن تم سحب المصادقية عن مقدسهم المتداول بين الأيدي الآن بعد وصمه بالتحريف، بعد إكتشاف (!) يهود يثرب والنبي محمد ﷺ اختلاف

توجهاتهم على البعد الإستراتيجي، ومن ثم تغير التكتيك المرحلي زمن الدعوة بالنسخ القدسي، ليتم الكشف عن الإسلام كبعد تاريخي قديم وأن الإسلام كان مستبطناً باليهودية التاريخية، ومن ثم تمت إعادة التاريخ دورة كاملة إلى عهد النبي محمد ﷺ كما تحول (!) جميع أنبياء وملوك دولة إسرائيل القديمة إلى أنبياء مسلمين كانوا يدعون بدعوة الإسلام ... وظلت الآيات التي تذكر بهم كشعب مختار متميز فضلهم الله على العالمين، وغير ذلك لانهج سوى تنويعات عروبية نادرة ونيمة (!) عن القرى العربية البائدة، وأنبياء مثل هود وصالح، أما النسب الإسلامي والعربي، فقد ظل بدوره إسرائيلياً، بإعلان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، انه الحفيد النبوي الأخير لسلسلة اسرائيلية استعربت بعد إبراهيم باستعراب ولده إسماعيل ... هذا ناهيك عن تطابق المنمنمات (!) الدقيقة حول الإله وقد رآته وقصص الأولين الأولى بدءاً من قصة الخلق وآدم مروراً بنوح والظوفان^(١)

إن الدكتور سيد القمني يرى أن ذهبنا مع موسى النبي ضد فرعون مصر ومع داود النبي ضد جالوت الفلسطيني يجرح الضمير الوطني، كما يرى أن القصص الديني القرآني المرتبط بتاريخ موسى ونبوته بني إسرائيل إنما وصل إلى جزيرة العرب عن طريق الروايات التوراتية المزورة كما عن طريق الروايات الشفهية المتداولة. ولذلك خرج على العالم بنظريته الطائشة عن موسى ﷺ بل وعن جميع الانبياء وعن داود ويعقوب وإسحاق وإبراهيم، وهو أكثر جرأة من غيره في جرح المقدس ونسف الدين ويتمتع بعقل أقل ما يقوم به هو الاستخفاف والتعالي وتآليه الذات انظر إليه وهو يمسك بقلمه المهزوز المستخف وهو يقول عن مملكة سليمان وداود «مهما دقت النظر وأعييت الذهن، فلن تجد أية إشارة لا لمملكة وضیعة، ولا حتى في حفائر الدويلة الحالية، ولا أثر معماري واحد بقي يتيماً

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص ٧-٨ .

كشهادة واحدة على تلك المنشآت التي صدعت بها أسفار المقدس رؤوسنا (!) ،
 بينما نجد ما يقف بلا ضجيج، بدل الشاهد ألف، في آثار فراعين مصر الذين
 سفهم ذلك المقدس (!) وأظهرهم في المراتب الدنيا من الإنسانية، فالمملكة التي
 تبجح المقدس (!) بعظمتها لا شيء عنها البتة، لا في أثر على ظهر الأرض، ولا في
 باطن الأرض (!) (*) ولا حتى على الورق !! اللهم إلا ورق المقدس وحده، وهو
 في موازين التاريخ والبحث العلمي، مالم ت اخترع له وحدة قياس بعد» (١)

ويقول متاكداً مما على ظهر الأرض وباطنها «ومن المناسب أن نوضح من جانبنا
 أنه لم يكتشف نص واحد حتى الآن، لا في مصر، ولا في نصوص الرافدين،
 يشير من بعيد أو قريب، إلى ملك باسم سليمان أو داود أو شاؤول، وهو أمر
 غريب بالقياس إلى ما إدعته التوراة عن شهرة المملكة السلیمانة!!» (٢)

إن الدكتور أحمد سوسة (**) لم ينف وجود هذه المملكة تماماً ولم يتبجح كثيراً
 في إنكارها كما فعل القمني، لكنه كان يضع الأساس الإلحادي لأمثال القمني
 الذي يتميز بالجرأة، اقرأ النص التالي - الذي أورده القمني نفسه - لأحمد سوسة
 وقارنه بكلام القمني الذي ذكرته لك آنفاً «والحقيقة أن مملكة سليمان التي تبجح
 بعظمتها، كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر، قائمة على حراب
 أسياها الفراعنة» (٣)

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص ٥٣ .

(*) هذا هو التطرف العلماني الذي يهدم الموضوعية التي يدعيها بحقه الأسمى ويغفل أن البحث العلمي
 الحقيقي لا يدعى معرفة كل شيء حتى ما في باطن الأرض بهذه الصورة الساذجة الملطخة بالهوى، لقد
 أغلق القمني كل الأبواب في وجه الحقيقة في حين أن J.smilh قال بخلاف ما قاله القمني هنا قال
 «وليس بعيداً إن تكشف أعمال التنقيبات الجارية الآن - فيما تكشف - عن بعض الآثار التي تعين على
 مزيد من الإيضاح» انظر مرجعه في اليهودية لأحمد شليبي ص ٦٥ .

(٢) قصة الخلق للقمني ص ١٤٤ .

(**) هو أحد العلمانيين الذين يخترعون النظريات عن التاريخ القديم، ويلغون الوحي والدين، وقد
 وضعت نظريته في كتابي هذا ليرى القارئ حجم الدجل وخصوبة خيال العلماني !

(٣) آثار القمني إلى أن نص أحمد سوسة هذا موجود في كتابه العرب واليهود في التاريخ، دار العربي
 للإعلان والطباعة والنشر ط ٢ ، دمشق ص ٢٦٩ انظر قصة الخلق للقمني ص ١٤٣-١٤٤ .

فما فعله القمني هو أن زاد على كلمتي «تبجح بعظمتها» كلمة (المقدس)!! في نصه الذي بدا تأثير كلمات سوسه عليه واضحاً جداً. لكن القمني زاد أن هذه المملكة لا وجود لها على ظهر الأرض ولا باطنها ولا حتى على الورق إلا ورق المقدس وحده في حين أن سوسه نقل المملكة من عظمتها إلى أنها أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر!

إن سيد القمني يجعل من العقائد والقصص القرآني خرافات ولا معقول، وأقاصيص اللاموضوعي الذي يَخدم له مناهج المدارس الغربية التي تجعل الدين أساطير أرضية.

وفي كتابه الأسطورة والتراث وهو أجراً كتبه على الإطلاق ، ذكر جملة الباحثين الغربيين الذين إستفاد كثيراً من مناهجهم «وربما أشهر الباحثين هو (K.o.Muller) الذي إحتسب الأسطورة أحاديث مصورة لأحداث تاريخية حقيقية واقعية، تابعه في ذلك مع بعض الاختلافات الجزئية كل من (جاكسون Jackson) و (أولد نبرج Olden berg) وهم إلى حد كبير يتبعون المنهج البوهيمي القديم، الذي اعتبر الأسطورة قصة أبطال حقيقيين... أما أكثر المدارس أثراً فهي مدرسة (إ.ب تايلور E.B.Taylar) أحد أعلام مؤسس المدرسة الأنثروبولوجية، التي هاجمت المدرسة اللغوية، وذهبت إلى منهج يجمع الأساطير المشابهة في مجموعات للحصول على علم حقيقي للأساطير، مع مقارنة تلك المجموعات بعضها ببعض لتتبع فعاليات عملية التخيل)... ومن أهم أتباع المذهب الأنثروبولوجي (هربرت سبنسر)...»^(١) وبعد أن ذكر القمني مدارس علم النفس والمدارس المتعددة من (يوهيمر) حتى (مالينوفسكي) إلى ليفي شتروس) قال «وعليه فإننا نقرر من البداية أننا سنعمد إلى المنهج الذي يؤدي إلى نتائج تبدو صحيحة، دون الرجوع للمدرسة، بمعنى أننا على إستعداد للسير قسماً من الطريق مع أي من

(١) الأسطورة والتراث ص ٣٢ .

هذه المدارس ، لكننا لسنا على إستعداد للسير مع أي منها الطريق كله^(١) فكانت النتيجة هي جعل الدين أسطورة نشأ مع نشوء علاقات اجتماعية تسلطية ، يقول «وظهر الدين مع التطور الطبقي وتقسيم العمل والكون إلى عقل وجسد، ومع التفرغ اللازم من العمل البدوي تمكنت الطبقة المسيطرة مع تنمية ثقافتها الدفاعية، واستثمار التراث الاسطوري السابق بعد تفرغه من محتواه الموضوعي ، ونحويله إلى خدمة الأغراض الجديدة، وإحتساب التراث الاسطوري جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الجديدة المتمثلة في الدين»^(٢)!! وهو يطبق هذا الفكر الماركسي القاصر على قصة موسى ﷺ وعلى القصص الديني عموماً، وقد قدمنا أن قصة موسى إنما هي قصة تم تفرغ محتواها المصري والخاص باخناتون وتم تحويله إلى خدمة الأغراض الدينية الجديدة ووصل جزيرة العرب فدُون في القرآن!!

هذه هي خلاصة فكر الدكتور المصري سيد القمني الذي يتحلى بشجاعة نادرة وتناقض عجيب وتقليد مدهش للفكر الغربي الذي لا يرى إلا تحت قدميه ولا يتجاوز تصورات الهزيلة التي نتجت عن ظروف أوربية بحته وأزمة وعي غربية مدمرة.

(٢) نفسه ص ٣١ .

(١) الأسطورة والتراث ص ٣٤ .

الفصل الرابع

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨)
يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ {الذاريات: ٧-٩}

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾
{يونس: ٦٩}

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ
يَصِرُّ مُتَكَبِّرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةٌ بِعَذَابِ أَلِيمٍ (٨)
وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ﴾ {الجاثية: ٧-٩}

المستشار محمد سعيد العشماوى وقدميرحقائق الدين واختراع نظرية سخيفة

« كنت ذات عصر في نادى الجزيرة عندما وقفت إلى جوارى فجأة سيارة نزل منها من يُحيينى بمودة وحرارة، ورغم أنه كان أشيب الشعر والحاجبين، فقد تعرفت عليه على الفور، إذ كنا زملاء دراسة في كلية الحقوق .. نزل زميل الدراسة هذا من سيارته وهو يقول لى (لقد كبرنا يا فلان .. فاكرا أيام كلية الحقوق، لما كنت أنت نواره الدفعة (!) يريقك وعيونك الزرقاء وشعرك الأصفر، عجبت بشدة من هذا الوصف، فأنا لم أكن قط بهذه الأوصاف ولا بأوصاف قريبة، لكن زميل الدراسة وهو شخص عاقل واع وله مكانة اجتماعية طيبة، يخلق لى أمامى وفي حياتى أوصافاً لم تكن ولا يمكن أن تكون لى، ولا بالتقريب. بطبيعة الحال لم أجادله، وإنما واصلت الحديث معه لأتأكد من سلامته العقلية (!)، ولما تأكدت (!) حيته بمودة وتركته إلى حال سبيلى، وأنا أعجب مما حدث، لقد رأيت فيه آلية الأسطورة، إذ يحتمل أن يصفنى آخر بأوصاف مغايرة، فيكون هذا الوصف وذاك مخالفاً لوصفى الحقيقى .. وبهذا تنشأ للأسطورة ثلاث صيغ تتناول كل منها شخصاً محدداً، في زمان ومكان معين، ومع ذلك تختلف في وصف شكله وبيان ملامحه»^(١).

في هذا المقطع النفيس يحكى المستشار محمد سعيد العشماوى ما حدث معه شخصياً من اختراع بعض من يعرفونه أسطورة عنه ليس له منها شيئاً إلا اسمه فقط! ويؤكد العشماوى أن ديدن صناع الأساطير أنهم يصنعون أوصافاً لأشخاص معروفين لا تمت لهم بصلة على الإطلاق لا يمكن أن تكون لهم ولا بالتقريب

(١) الأساطير المدنية، مقالة باسم المستشار محمد سعيد العشماوى بمجلة أكتوبر، الأحد ٢٢ يوليو ٢٠٠١

فضلاً عن أنها مخالفة للحقيقة ومعارضة للأصل! من البديهي أن يذهب المرء ليتأكد من سلامة عقول هؤلاء الذين يخترعون الأساطير حول أشخاص حقيقيين عاشوا في التاريخ من أمثال العشماوى كمثل نضربه هنا !!

لقد أظهر لنا العشماوى مثلاً على التوهم والتلفيق الذى يُسيطرُ على بعض الناس فيجرهم ذلك إلى وضع الأساطير بجرأة مدهشة وبراعة ثابتة الجأش!

لكن يا ترى هل نجا المستشار العشماوى من هذه الآلية التوهمية التي يستغرب أن تحدث من أصحاب العقول السليمة؟! فضلاً عن أمثال العشماوى نفسه !! إن الإجابة على هذا السؤال أضعها بين يدي قارئى الكريم على طبق من ذهب كما نقول في مصر المحروسة !

شيء آخر قبل أن أغوص في الموضوع واستخرج منه لآليء الحكمة الربانية، وغشاء الجهل العلماني لأعرضه أمامك أخى الكريم لتستقرئ التاريخ من نماذج عصرية تهيمن على منابر ثقافية كبيرة وتفتح لها أبواب الجامعات العالمية ويُرحب بها ترحيباً عجيباً وغريباً؟!!

لقد عرض العشماوى في مقالة له بعنوان («على منصة القضاء» ١٩٩٠) عندما يهتز اليقين) صورة إنسانية يزعم أنها له، وصفات يدعى أنه يتحلى بها، وقد وضعها على لسان أحد الأشخاص، الذي قال للعشماوى مؤكداً له «أمرك معروف وشهرتك تسبقك عن الكلام بالحق والحكم بالعدل»^(١).

فهذان شخصان، زميل دراسة قديم وضع له صفاتاً جسمانية عجب العشماوى منها!، لأنها كما قال لم تكن له ولو بالتقريب وأنها مخالفة لوصفه الحقيقي! والآخر رجل يصفه بأن أمره معروف ومشهور وذلك أنه يقول الحق ويحكم بالعدل! أما أنا فأقول بأن هذا الوصف المعنوى الأخير لا ينطبق على العشماوى في موضوع دراستنا في هذا الفصل!

(١) مجلة أكتوبر العدد ١٢٨٠ الأحد ٦ مايو ٢٠٠١ .

وذلك رغم وصف العشماوى لنفسه بأنه باحث متمكن ودارس قدير يكتب
بسلاسة وسهولة، وفي وضوح لا تعقيد فيه وجلاء لا التواء به!!^(١).

وغالباً ما يصف العشماوى نفسه بالفاظ عجيبة وصفات فريدة وأنه بحاثه رصين
وعلامه سديد مبتدع للمناهج ومخترع للأدوات العلمية الموزونة، العلمية لا
الإنشائية!!

فرغم أنه نقل عن فرويد وغيره الكثير، تقليداً ينافي العلم والدراسة، والفحص
والكياسة إلا أنه دائماً ما يقول عن نفسه كلما سنحت له الفرصة ذلك، أن له
منهجاً أكاديمياً حديثاً * الذى ابتدعناه واتبعناه منذ أول كتاباً نشر لنا عام ١٩٥٩
ويقوم هذا المنهج على عدة عناصر، تتحصل في أن تكون ثمة رؤية واضحة محددة
تهيمن على الدراسة وتتكشف من خلالها، وأن تجرى الدراسة على عرض منظم
مطرّد متتابع ليكون مترابطاً ويكون متماسكاً (!)، وأن يبنى عن الأسلوب
الإنشائي... ليتبع الأسلوب العلمي الذي يحقق ويوثق (!) ويلتزم الموضوعية
والحيادية ما أمكن... الذي لا يكون فيه تفاكك ولا تشات ولا تفات (!) هذا
المنهج أشبه ما يكون بالموسيقى الكلاسيكية العالمية (!)^(٢) !!!

إذن علينا أن نختبر عقل علمانى كبير يدافع عن بحوثه التنويرية الدكتور جابر
عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة بمصر، وقد صنف العشماوى من
قبل علمانى آخر وهو محمد جابر الأنصاري بأنه من أصحاب ما يمكن أن نطلق
عليه (المدرسة التاريخية العلمية!)^(٣).

(١) مجلة أكتوبر الأصول المصرية لليهودية(ب) عهد الأباء، ٨ أكتوبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٠.

(٢) مجلة أكتوبر (الأحد ٧ أكتوبر ٢٠٠١ العدد ١٣٠٢).

(٣) يقول الأنصاري في مقالته المعنونة «معركة الإسلاميين وخصومهم» بجريدة الحياة اللندنية ١٦ يناير
٢٠٠١ العدد ١٣٨٢١ «برزت مدرسة يمكن أن نطلق عليها (المدرسة التاريخية العلمية التي أخضعت
مصادر التاريخ الإسلامى لمنهجية البحث النقدى بنزعة مستقلة عن المثاليات الدينية والاعتبارات
الايديولوجية للإسلام السياسى)»، ومن أبرز كتابها : محمد سعيد العشماوى، وخليل عبدالكريم،
وسيد محمود القمى، الذين يعتبرهم أصحاب الاتجاهات الدينية كتاباً علمانيين!!

لقد أنشأ المستشار محمد سعيد العشماوى أسطورة جديدة عن موسى عليه السلام تضاف إلى الأساطير العلمانية الحديثة التي لفقتها العلمانية الحاكمة للتاريخ ووقائعه ولشخصه التاريخية، ومنها شخوص الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.

لقد جعل العشماوى من موسى فرعوناً، ابناً لابنة فرعون على الحقيقة، وأنه حفيد الفرعون (رمسيس الثاني) على الحقيقة وأن خروج بنى إسرائيل من مصر إنما تم بناء على خطة استراتيجية تمت بين الفرعون وحفيده موسى المصرى المولد والجنس! لطرد بنى إسرائيل من مصر وتوطيئهم بعيداً عنها للتخلص من مشاغلهم المستمرة ومؤامراتهم المعهودة! وعلى ذلك فقصة موسى الدينية مزورة ومحاورها التوراتية والقرآنية دخيلة ولا حقيقة لخروج بأمر إلهى أو بمعجزات ربانية أو بهلاك لفرعون مصرى معاد لموسى ﷺ أو غير ذلك مما هو من حقائق التاريخ المعروفة التي يؤمن العشماوى أنها يقينيات طفولية وثوابت يرفضها العلم وتنبذها الموضوعية!!

يقول « وفي حالة الطفولة لدى الأشخاص أو عند الجماعات (الأمم يكون ثمة يقين لا يتزعزع ولا يتزعزع بكل شيء، وأى رأى أو (اعتقاد فإذا جمد الوضع ووقف النمو وظل الأمر عند حال) الطفولة صار من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يتزعزع شيء مهما كان ظاهر الخطأ، أو يتغير رأى وإن كان واضح البطلان أو أن يتصحح اعتقاد على الرغم مما قد يبدو جلياً من انحراف تأويله أو اعتراف تطيقه» (١).

والعشماوى بأفكاره الهدامة يريد كفيره من العلمانيين المنحرفين أن يزحزح اليقين ويدمر القديم حتى يتحرك الوضع ويستمر النمو ويتغير الرأى !

(١) مقالة « على منصة القضاء (١٩) عندما يهتز اليقين - الأحد ٦ مايو ٢٠٠١ العدد ١٢٨٠ ص ٢٢ مجلة أكتوبر المصرية .

ماسونية العشماوى في صورة نظرية تدميرية :-

إن العشماوى يريدك أخى القارئ أن تلين له وتفتح له مجالاً للنقاش حتى ولو في نقاشه اللاعلمى التدميرى الذي يقتل كل شيء حقيقى عن التاريخ والغيب والنبوة والشريعة والرسول والصحابة!

إنه يقول لك، لا عليك إذا قلت لك «موسى كان ابناً حقيقياً لابنة فرعون»^(١)، أى أنه كان حفيد الفرعون، وقد كان اسم جده رع موسى»^(٢).

يكتب العشماوى ذلك عابثاً بالتاريخ، مزيفاً لحقائقه ووقائعه وأحداثه الهامة وبعد أن يفعل ذلك يتوسع في الاتهام ويُسرف في القول ويقول «ما كتب في التوراة كان تضليلاً يرمى إلى قطع موسى من أبة نسبة إلى مصر حتى اسمه»^(٣).

وهو يقصد أن موسى هو مصرى لا باسمه فقط ولكن بنسبه وجنسه وديانته يقول «قوام ذلك كله أن موسى مصرى قح، مصرى في نسبه، وفي ولادته، مصرى في علمه وثقافته»(!)، وأن كتاب التوراة حرصوا على إخفاء ذلك(!) بالتحريف مرة، والتزييف مرات، حتى تكون اليهودية أول الشرائع السماوية، ويكون ما قبلها وخاصة ما كان في مصر وثنيات وجاهليات، ولولم يفعلوا ذلك، لكانت اليهودية استقرت واستمرت على أنها فرع من الديانة المصرية القديمة أو تطبق لها في بيئة

(١) اعتمد العشماوى في ذلك ولا شك على ما رواه «فلافوس يوسفوس» المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي الذي رَوَّج لاسطورة يهودية تدعى أن موسى كان ابناً لبنت فرعون ! (انظر قراءة سياسية للتوراة ص ٣١٧) يأخذ العشماوى هذا الجزء من الاسطورة ويترك جزءاً آخر وهو أن حفيد الفرعون سيصبح خطراً على عرشه ويجعل العشماوى بدلاً من ذلك أن الفرعون وحفيده عاشا في ونام يرسمون الخطط السرية لطرد الأعداء أي أن الحفيد لم يكن في أي وقت من الأوقات خطراً على الجسد، ويوسفوس هذا وغيره من المؤرخين الأيديولوجيين لا يعتمد عليهم في هذه الأمور الهامة وإلا ضاعت الحقائق وتاهت الوقائع وخرب التاريخ .

(٢) الأصول المصرية لليهودية (٧) (حقيقة موسى) مقالة للعشماوى بمجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٣ ص ٣٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٣١ .

صحراوية غير حضارية، أول من وصل إلى هذه الحقيقة سيجموند فرويد... عالم النفس الشهير الذي ولد يهودياً ثم تحول إلى الحق (!) حتى أغضب قومه (!) وتلى فرويد عدد من العلماء يهود ومسيحيين حتى أمكن من دراستهم تقديم صورة كاملة (!) أو شبه كاملة عن حقيقة موسى^(١). !!!

وهكذا ترك العشماوى حقائق القرآن التي أوردها عن موسى ﷺ، وولادته ونسبه، ونبوته وشريعته، وذهب يقات على موائد يهود العلمانية المنحرفة التي تسعى لتخريب التاريخ واهتبال الفرص والظروف لتضيع حقائق ذكرتها التوراة وأعلنها الوحي الإلهي في القرآن .

ذهب العشماوى وراء فرويد اليهودي ليقول لنا أن التوراتيون قلبوا حقيقة موسى فبعد أن كان أصله مصرياً حولوه إلى عبراني «فقد زيفوا اسم موسى»^(٢) !

هكذا زعم العشماوى وبناء على ذلك دشن نظريته بافتراءات لا دليل على صحتها ومنها قوله « موسى لم يكن عبرانياً قط »^(٣) !!

هنا لابد لى أن أعيد تذكير القارئ الكريم بقول العشماوى المتقدم الذى علّق به على ما حدث له مع زميل الدفعة الحقوقية الذي وصف العشماوى بأنه كان (نواره الدفعة) ومجموعة أخرى من الأوصاف لا تنطبق بتاتاً على المستشار المغرور باقتباساته عن آخرين! يقول « لقد رأيت فيه آية الأسطورة، إذ يحتمل أن يصفني هذا الزميل لمن يعرفني ومن لا يعرفني ومن لم يرني بالأوصاف التي ذكرها، في حين يصفني آخر بأوصاف مغايرة، فيكون هذا الوصف وذلك مخالفاً لوصفي

(١) المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشرعية والقانون ، مقالة بمجلة أكتوبر للعشماوى ، بتاريخ ٣ ديسمبر

٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ ص ١٥ .

(٣) المقالة السابعة من الأصول المصرية لليهودية وهي حقيقة موسى ص ٣١ وهي كما تقدم سطرت كغيرها من

مقالات الأصول المصرية لليهودية في مجلة أكتوبر المصرية .

الحقيقي ... وبهذا تنشأ الأسطورة ثلاث صيغ ... ومع ذلك تختلف ...» .

فقد وصف فرويد موسى بأنه مصري، فرعون بالميلاد والجنس ومن أتباع إخناتون ونفى عنه أن يكون عبرانياً أو نبياً أو موحى إليه من الله ، هذه أسطورة علمانية لو تأكدنا من سلامة عقل مفبركها لوجدناه شخصاً مريضاً ليس بتحليل أفكاره المريضة فقط ولكن بشهادة تلاميذه ومعاصريه وهى شهادات مشهورة ومعروفة مطرة في الكتب .

والعشماوى أخذ أوصاف فرويد المزورة لموسى فحذف منها وأضاف إليها فنشأت أسطورة جديدة بملامح جديدة وصيغة جديدة لم تكن ولا يمكن أن تكون لموسى ولو بالتقريب !

ومع أن أسطورة فرويد عن موسى تختلف في بعض ملامحها عن أسطورة العشماوى إلا أن العشماوى يحاول أن يقنعك بأنهما رجعا إلى الحق ! وقدا صورة كاملة أو شبه كاملة عن حقيقة موسى !

والشير للاستغراب هو أنه فيما يقوم العشماوى بمهاجمة علماء المسلمين ومفكرى الحركة الإسلامية المعاصرة ورميهم بكل أنواع الضلال والغباء والجهل والهذيان والإنشاء والسطحية فيما يقوم هذا الماسونى البناء بذلك تجده يرص الألفاظ الجميلة والأوصاف العلمية لأمثال فرويد «وبريستد» و«فريزر» ويعتبرهم «أولو العزم من العصر الحديث» الذين أحدثوا بحسب ألفاظه المتقاه «إنقلاباً» و«تحريراً» و«تغيراً» لمكونات العقل «بجهد عظيم» ومشكوراً طبعاً يقول، وذلك «بالعلم والثقافة فقد قدر على فحص التوراة (حتى من علماء شهود مثل سيجموند فرويد) وتحليل ما بها من نصوص، وإثبات صلاتها بالتراث البابلى والحضارة المصرية، وتأكيدها تأثيرها بالتراث الشعبى إي الفولكلور وهو ما سجله العالم الشهير فريزر في كتابه

الغصن الذهبي ... والفلكلور في العهد القديم»^(١) .

وفي نفس هذه المقالة العشماوية التي يكيل فيها المدح ليهود ويقوم فيها بالتسبيح لعقول تخريبية كما وصفها بعض تلامذتها يقول العشماوى كاذباً على التاريخ ومزيفاً لحقائق الوحي الإلهي أنه «خلال فترة الأسر البابلى عرف الإسرائيليون كثيراً من الفكر البابلى فأخذوا»^(٢) منه قصة الخلق، وقصة الطوفان (ملحمة جلجميش وقصة أيوب) وهو أدومى غير إسرائيلي وغيرها»

وهذا الكلام الفارغ يقوله العلمانيون الماديون الذين يقومون بإعادة كتابة التاريخ بطريقتهم القاصرة وعقولهم الحقيرة الضعيفة بعيداً عن الوحي الذي نبذوه وذلك نتيجة للصراع مع الكنيسة في العصور الوسطى في أوروبا ورد فعل غير علمى على أصول ثابتة في التاريخ ووقائع العالم، حقائق جاء بها الوحي الإلهي وأعلنها القرآن الكريم على البشرية .

إن نتائج العقل العلماني الغربى في علوم التاريخ والإنسان والمجتمع لا يمكن الاعتماد عليها لقصور أدواتها وخلل قواعدها وأسسها .

فقد ألغى هذا العقل الوحي وعبث به ولم يعتبره شيئاً، وأرجع النبوة إلى ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية وتاريخية وبشية فأخفى وحرّف، ومسّخ وشوّه ، وطمس وكتم، وعزل ونفى، وجزّأ وانتقى !

إن عقلاً بهذه القدرة على تعطيل الحقيقة عن الوصول إلى العالم لا يمكن أن يكون لنا قدوة أو أن يصير لنا أستاذاً في العلم والتاريخ والفلسفة فضلاً عن أن يكون عقل رجل من أولى العزم كما وصف العشماوى بعضهم .

كما أنه لا يمكن أن تكون نتائج أبحاثه التاريخية والدينية والإنسانية والتاريخية

(١) (٢) مقالة «حقيقة موسى» ص ٣٠ .

(٣) لقد أخذوا لكن لم يأخذوا ما ذكره هنا !

مرجعاً لنا في النظر إلى التاريخ والدين والإنسان والمجتمع، فمناهجه جزئية قاصرة، محدودة وشائنة ما فيها من قصور وضلال أضعاف مضاعفة ما فيها من جدية ومعرفة . . . ولذلك فهي عاجزة عن تقديم صورة متكاملة حقيقية عن حقائق الوجود والغيب والإنسان والمجتمع .

ولذلك فهي لا تساوى الأدلة التي يقدمها علماء الإسلام « لافى سلطان العلم وبراهينه وأدلتها، ولا في سلطان النصر والتأييد »^(١) وهي دليل نفسها وبرهان ذاتها، إنها نظريات الكاسر والمكسور، نظريات الأزمة الغربية !

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً ، وكل كاسر مكسور

هذه الحجج التي هي هشة يتبناها العلمانيون العرب مسلمات ومطلقات وهي ضلالات جديدة للعقل الوثني الجديد، فكيف يطلب الهدى عند (فكر الأزمة!) ومعلوم كما يقول ابن تيمية أن طلب الهدى عند أهل الضلال من أعظم الجهل^(٢) فقد حذرنا الله عز وجل من اتباع الأهواء الجاهلة ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣] فالمهارة الحرفية لتبرير الباطل وتزيين الهش هو فعل الأولياء من دون الله عز وجل، وهم لا يتنجون إلا سفالات الأفكار، وسخافات الأقوال، وعطب النظريات يقول العشماوى «وفى حديث لى مع توفيق الحكيم قال: إن كاتباً معيناً مشهوراً في مصر والعالم العربي يستطيع تبرير السفالة، قلت له : وهل يمكن وفقاً لأى معيار تبرير السفالة (!)؟ قال : إنها المهارة الحرفية التي يمكن أن تقلب الحق باطلاً وأن تقلب الباطل حقاً »^(٣) .

إن ذلك هو عين ما يقوم به العشماوى نفسه : تبرير السفالة .

وقلب الحق باطلاً والباطل حقاً كالطاغوت الذى يطغى فيغتنال الحقائق وينفى

(١) النبوات لابن تيمية ص ٣٨٩ . (٢) نقض المنطق لابن تيمية ص ٢١ .

(٣) مقالة مجلة أكتوبر بعنوان «على منصة القضاء» (٢٣) موازين العدالة» الأحد ٣ يونيو ٢٠٠١ العدد ١٢٨٤

الأدلة، ويقهر البراهين، وينسف الموازين، ويدمر الأصول ومع ذلك يتبعه الناس المعجبون به على غير بصيرة وينساقون وراءه على غير هدى .

«وطاغوت كل قوم - يقول ابن تيمية - من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة . . فهذه طواغيت العالم»^(١) .

واليوم هناك طواغيت كثيرون، منهم طواغيت الفكر وجبايرة الطمس والإخفاء وفى مجال علم التاريخ هناك كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال فرويد وبريسيد وجاردنر وفريزر وفليكوفسكى وغيرهم .

وهؤلاء صاروا مراجع لمجموعة ضخمة من العلمانيين العرب أمثال القمنى والعشماوى وصليبي وأحمد عثمان وزياى منى وغيرهم .

رجل الماسون المصرى المخلص !

وهؤلاء الطواغيت الغربيون هم الذين وسوسوا للعشماوى بأفكاره الوثنية التي يرجع بها الجهل على العلم، والظلام على النور، اقرأ له إنصافه للوثن وعبدية الأوتاد والقبور والصلبان في نصه الذى نشرته له مجلة أكتوبر المصرية، يقول «فالعقيدة، في حقيقتها، ولدى الصفوة أو المختارين أو المخلصين (بفتح اللام أي الذين نالوا الخلاص)، غير العقيدة لدى العامة، إذ هي لدى أولئك الصفوة مجردة في علياء، وهي لدى هؤلاء العامة، مجسدة في شخوص أو مجسدة في واقعات، أو محددة في رسوم، ولأن أكثر الناس لا يرون أنفسهم، وإنما يشاهدون الآخرين فإنهم لا يلحظون ما في الصيغة التي وصل إليها معتقد من مادية وتجسيد، لكنهم يهتمون غيرهم من أصحاب المعتقدات الأخرى بالمادية (التي يقال عنها إنها وثنية)، لأنهم يتعلقون بالمباني أو القبور أو المشاهد أو السائر، والعقلاء من الناس لا يرون

(١) إعلان الموثعين ج ١ ص ٥٠ .

المادة التي يلتصق بها العامة من قبور أو شواهد أو صلبان، وإنما يرون أن هذه كلها وسائط إلى معانى أسمى ودلائل أرقى، فليس زائر القبور متشبعاً بالموتى، وثنى الطبع غلف القلب (!) لكنه في الحقيقة، يرنوا إلى ما وراء القبر ويسمو إلى ما بعد الموت، وليس لابس الصليب عابداً له، في الواقع، بل يتخذ منه تذكرة إلى معانى العطاء والفداء (!)، التي يرمز إليها الاعتقاد في واقعة الصلب .. وفي هذا المعنى العظيم (!) يقول ابن عربى (لقد صار قلبى قابلاً كل صورة تواجهه، فالحب دينى وإيمانى)^(١٠) .. ويقول الفارض في معنى عدم استهجان صورة العبادة التي تبدو لدى الكثيرين في أشكال مادية (فلاوجه للإنكار بالعصية)^(١١) .

ولذلك فعقيدة الفرعون إخناتون عند العشماوى هى عقيدة توحيدية بناء على فكرة التوحيد المجرد الذى يجعل من عابد الوثن والصليب حباً وإيماناً لوسائط إلى معانى أسمى ودلائل أرقى فيقول « التوحيد العالمى الكونى المجرد، ذلك الذى آمن به المصريون منذ عصور ما قبل التاريخ المكتوب (٣٢٠٠ ق.م) ثم تم ترسيخه في عقيدة إخناتون »^(١٢) .

وماذا فعل إخناتون - كما يصوره لنا العشماوى - « اتخذ الشمس رمزاً للإله، واتخذ من اسمها آتون بمعنى القوي اسماً للإله »^(١٣) .

(*) أورد العشماوى هذا الجزء بصورة كاملة في مكان آخر روى : « ولقد صار قلبى قابلاً لكل صورة، فمرعى لغزلان، ودير لرهبان وبيت لأوثان وكعبة طائف والواح تورا، ومصحف قرآن، أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى » ثم عقب قائلاً « ففي هذه المعانى كلها ينبض الفكر الصوفى المصرى » ثم قال بأن من يضاده في فكره الذى يقدمه إنما يقف واحداً مع اليهودية السياسية (الصهيونية التي ترمى مصر بالكفر والإلحاد والوثنية والضللال) . راجع (البداية والنهاية) مقالة في مجلة أكتوبر ١١ مارس ٢٠٠١ .

(١) مقالة للعشماوى بمجلة أكتوبر باسم (صراع الأمم ٢٥) الأحد ١٣ يناير ٢٠٠٢ ص ٢٠ العدد ١٣١٦ .

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون، الأحد ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ بمجلة أكتوبر المصرية .

(٣) مقالة الأصول المصرية لليهودية (٧) الأنبياء الاجتماعيون ٧ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٣ .

فاللوهية العالية عند خواص الماسون كأمثال العشماوى تتمثل في عبادة الوثن
كما في عبادة قرص الشمس^(١٠) كما في التوحيد، تتمثل في دير الرهبان
ومعبد الاوثان وكعبة الرحمن يقول: «أما المفهوم الرائع حقاً فهو ذلك الذى يقول
به المرء (إن روحى هى الإله هى الأبدية) فهو أمر يستحيل (يتحول) به الإنسان
المؤمن بمعناه إلى أن يكون ربانياً أبداً فوق كل مكان وأى زمان، وذلك هو جوهر
وأصل ولب الفكر المصرى الذى قدمته مصر إلى الإنسانية ويعاود تقديمه إلى
العالم كله من أرض مصر، فتى مصر»^(١١) - أى العشماوى - .

فآلهة مصر المتمثلة في أوثانها وأصنامها وفراعينها ورموزها السماوية والأرضية
إنما هي المفهوم الرائع الذى يقدمه العشماوى (فتى مصر!) إلى العالم كما قدمته
الفرعونية القديمة تماماً !

فمع أن أوزير يقول أنا الواحد أى الذى يفوق بصفاته وملكاته أى مخلوق آخر
إلا أنه بحسب العقيدة المصرية تجسد للإله «كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإله
تجسد في شخص أوزير»^(١٢) والعشماوى يخترع تاريخاً لأوزير يعدده هكذا « ولد
أوزير في أول يوم من الأيام الخمسة المضافة إلى أيام العام (١٢X٣٠) لتجعلها
٣٦٥ يوماً»^(١٣) وقد كان أوزير وزيراً أله كما هي عادة حكام مصر الأقدمين الذين
يؤلّهون فراعينهم ويؤلّهون رموزاً سماوية كالشمس مثلاً وهي الأشياء التي يعتبرها
العشماوى تمثيلاً للإله الواحد !

(١٠) يقول «تعاليم إخناتون لم تزل حية فعالة في نفوس الكثيرين، لما فيها من مبدأ اللوهية العالية...»
مجلة أكتوبر (شريعة موسى) الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٥ .

(١١) مقالة العشماوى بمجلة أكتوبر (الأصول المصرية لليهودية) (١٩) من كتاب المونى، الأحد ٢١ يناير ٢٠٠١
العدد ١٢٦٥ ص ٢٧ .

(١٢) مقالة العشماوى بمجلة أكتوبر (الأصول المصرية لليهودية) (٢٠) التراث الأوزيري، ٢٨ يناير ٢٠٠١ العدد
١٢٦٦ ص ٢٨ .

(١٣) الأصول المصرية لليهودية (١٩) (كتاب المونى) مجلة أكتوبر ٢١ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٥ .

«ذلك لأن رع وآمون وآتون وغيرها من أسماء كانت مجرد أسماء للإله الواحد الأحد، في حين كان أوزير هو كلمة هذا الإله التي خلق بها الكون، ويسير بها الكون»^(١) !!!

فالآلهة الوثنية المصرية القديمة يعتبرها العشماوى أسماء للإله الواحد، وإختاتون عابد قرص الشمس هو صاحب التوحيد النقى، وأوزير المؤله جعله العشماوى كلمة الله، ويزداد فكر العشماوى خيالاً واضطراباً وعطياً عندما يقول إن هذه الوثنيات إنما هي تجلى للحقيقة الكبرى «وكان من اللازم تفسير هذا التوافق والتطابق بين شخصية وآلام وأوصاف كل من أوزير والمسيح على أساس كونى يتأدى في أنه لابد أن يكون من طبيعة الكلمة وصميمها أن تتحرك في الزمان، وهي الزمان، لتجلى على مدى التاريخ في صور بشرية وأنها حين تجلى تنشر من نور المعرفة حقيقة أوصافها وطبيعة أعرافها، فيدرك الكثيرون ذلك، وتتطابق الأوصاف والمظاهر والمعانى بين كل تجل وغيره (!) ... بدلاً من هذا الإدراك الصائب والصادق، فقد رفضت الكنيسة المعتقد المصرى تماماً، ووصفته بالزبوغ والوثنية، فوقفت في هذا الصدد في وجهة واحدة مع اليهودية»^(٢) !!!

فالتوحيد عند العشماوى هو تجليات وثنية يعتبرها تجليات كونية نورانية ذات مفهوم رائع! «عندما بدأ عصر التوحيد الأول، وفيه ظهر أوزير (كلمة الله وروحه وحكمته (!)) . فقد استطاع على التناقض ورفع التعارض، بمفاهيم دينية عظيمة، عن التجلى الإلهى في أشكال متعددة وأسماء متغيرة»^(٣)، وعن اعتبار أن الكلمة

(١) مقالة الأصول المصرية لليهودية (٢٠) التراث الأوزيري، مجلة أكتوبر ٢٨ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٦ ص ٢٨ .

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (٢٣) الانشقاق اليهودي، ١٨ فبراير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٩ ص ٢٥ .

(٣) يقول بناء على ذلك «فقد ظن بعض العلماء، أن التوحيد الإلهى لم يظهر في مصر إلا عهد إختاتون... في حين أن الذي ثبت من الدراسات العلمية (!) والآثار الكشفية يقطع بأن التوحيد ظهر في مصر منذ زمن قديم جداً (حوالى ٦٠٠٠ عام قبل الميلاد) وأنه كان توحيداً مفاده أن الله يتجلى في كل شئ» الأصول المصرية لليهودية (٢) (ب) يوسف الصديق، مجلة أكتوبر ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ ص ٢٦ .

ثلاثة صور هي الكلمة والروح والحكمة، وأن الثلاثة في واحد، وهو ما وطأ لمفاهيم الثالوث والتاسوع، والأرباب ... وهكذا^(١).

وهكذا فالعشماوى لا يرى غضاضة في الأوثان والأرباب والثوابث والصلبان والأتاد والأصنام يزعم أنها صور للحقيقة على أساس كونى رائع!

وعلى هذا الأساس المشوه للحقيقة يجعل العشماوى من مصر أساس الفكر الدينى وأن الدين صدر من مصر وإذا كانت الحقيقة ضاله الإنسان أنى وجدها احتفى بها، أو إذا كانت الحقيقة تثبت لمصر الريادة في الدين والأخلاق، فذلك أمر لا صارف عنه، ولا يمكن تجاوزه أو تخطيه، وإلا تقطع العلم وتبدد العقل وتزيف التاريخ^(٢)!!

فمصر هي الريادة ومركز الدين والتوحيد بزعم العشماوى، وأن اليهودية والمسيحية والإسلام أخذوا من مصر واقتبسوا وغيروا وبدلوا.

عود على بدء

فقصة موسى كما وردت في القرآن ليست قصة حقيقية تاريخية في تصور العشماوى وإنما هي قصة عقائدية، والحقيقة التاريخية عند العشماوى هي أن موسى هو ابن ابنة الفرعون المصرى «رمسيس الثانى» وهو مصرى بالمولد والجنس وليس عبراني بزعمه!

لم يقف الافتراء بالعشماوى عند هذا الحد، وإنما اخترع سيناريو مختلفاً تماماً عن ما هو معروف في العالم كله عن موسى عليه السلام.

(١) مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٥) حتمية الإيمان والاستقامة، مجلة أكتوبر ٤ مارس ٢٠٠١ العدد

١٢٧١ ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥.

فقد زعم « أنه لقدرة موسى وقوته فقد عينه جدّه (!) الفرعون (رئيس الثاني) أميراً (أي حاكماً) لمنطقة جاسان، وذلك لعله معينة »^(١) .
ولماذا عين على منطقة جاسان ؟!

يزعم العشماوى أنه كان قائداً مصرياً ماهراً اتفق مع جده على تهجير بنى إسرائيل من مصر للتخلص من مشاغباتهم، وأنه رسم خطة محكمة لإدخال العبرانيين أرض كنعان، ولذلك فـ« الخروج - يقول العشماوى - الذى وافق عليه الفرعون ، تأمين لمصر من اتصال العبرانيين بالهكسوس »^(٢) وينفى العشماوى أي اضطهاد لبنى إسرائيل في مصر أيام الفرعون، ويقلب الحقائق بالزعم أنهم كانوا خطراً على مصر، ولذلك كان الحل « عملاً عسكرياً لموسى، قصد به - على ما سلف - تهجير العبرانيين ... من أرض جاسان في مصر إلى أرض كنعان (في موقع الأراضى الفلسطينية حالياً) وتبديد شمال البدو أو العبيرو (في القول المصرى) الذين كانوا يهددون أمن مصر، ويستعدون مع الهكسوس الذين طردوا من مصر إلى العودة إليها »^(٣) . وبذلك يزعم العشماوى أن هناك خطة سرية تمت بين رئيس الثاني وحفيده موسى للقيام بعمل عسكري لتهجير العبرانيين وتوطينهم خارج مصر « مهمة موسى كانت في الابتداء مجرد إخراج العبرانيين وتوطينهم في أرض كنعان »^(٤) ، هذا أول عمل في الخطة المزعومة التي رسم ملامحها المستشار القاضى محمد سعيد العشماوى الذى تعجب من زميل دراسته عندما رسم له ملامح أسطورية لم تكن أبداً له في يوم من الأيام، أما ما يفعله العشماوى الآن من وضع نسب لموسى غير نسبة ورسالة غير رسالته وغاية في

(١) مقالة (حقيقة موسى « الأنفة الذكر، مجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ص ٣١ .

(٢) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية تفصيل الشريعة، مقالة بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠ ص ٢٥ .

(٣) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية (١٣) أرض المعاد، مقالة بتاريخ ١٠ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٩

(٤) مجلة أكتوبر ، الأصول المصرية اليهودية ، مقالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر العدد ١٢٥٧ ص ٢٤ .

الوجود غير غايته وجعله شخصاً آخر يختلف كلياً عن حقيقة موسى ، فهذا ما لا غبار عليه عند القاضى الذى يدقق في الوقائع ويسأل عن التفاصيل ويفحص الأدلة ويختبر البراهين !

وهو لم يأتِ على أقواله بدليل واحد صحيح وإنما أتى بدليل واحد من القرآن مقطوع عن سياقه، تماماً وفي موضوع لا يتربط بجسم القصة، العشماوي القائمة على التلفيق العلمي المرشّد !

فجسم القصة عند العشماوي يتكون من نسب مزيف أقامه العشماوي، (هذا الرجل الذى يتربع على عرش « قمة التحريف العصري ») بين الفرعون رمسيس الثاني وموسى ﷺ وذلك بعد أن جعل موسى فرعوناً صغيراً وأميراً لجده على منطقة يسكنها بنى إسرائيل، ويتمى هذا الحفيد إلى ديانة مصر وليس إلى الدين الذى أوحى إلى موسى خصائصه ومقوماته، وعقائده وتشريعاته وهو دين الله كما وصفه القرآن وأعلنه الوحي الإلهي كما يتكون جسم القصة من خطة تمت بين الجد والحفيد الأمير، القائد العسكرى الماهر لجده الفرعون رمسيس الثانى « وكانت خطة تهجير العبرانيين مرسومة بين الفرعون رمسيس الثانى وحفيده وقائده موسى (!)، وتضرب عصفورين بحجر واحد (!)، فتخلص المصريين من العبرانيين (!) الذين غالباً ما كانوا قد عمدوا إلى التجسس على مصر ومساعدة الهكسوس في العودة إلى حكمها كما أنها كانت ترمى إلى إخلاء أرض كنعان من سكانها الذين تسرب إليهم الهكسوس وصاروا - كما كانوا - منهم، مع توطين العبرانيين في هذه الأرض » (١) .

ومع أن العشماوي كما سيأتى ذكره بعد قليل ادعى أن التواة حرفت نسب موسى وقلبت من مصرى إلى عبرى وغير ذلك إلا أن العشماوي يذهب ليسلم

(١) مجلة أكتوبر ، الأصول المصرية لليهودية، مقالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠ ص ٢٤ .

للتوراة الحالية بما ينكره الإسلام عليها ورفض نسبته إلى موسى ﷺ ألا وهو الإبادة الكاملة لسكان كنعان، فيزعم العشماوى أنه « لأسباب سياسية، وأغراض أمنية لا لأهداف دينية، وأعمال شرعية، كان هجوم موسى بجنوده من اللاويين (العبرانيين ربما) على سكان كنعان، وإبادتهم، وحرق مدنتهم، وتدمير حصونهم، ومن ثم فإن فعله هذا يتعين أن يوضح في إطاره التاريخى الصحيح (!) وأن يوصف بوصفه العسكرى الظاهر حتى لا تختلط السياسة بالدين ولا تتدخل الحروب مع الشريعة »^(١)!!

وهذا النص يحكمه التناقض، وتتكون لحمته من سخافات العشماوى وجنون خياله الفاشل، فموسى عليه السلام فوق أنه لم يرسم خطة مع الفرعون لتهجير بنى إسرائيل، فإنه أيضاً لم يقوم بعملية إبادة عسكرية لسكان كنعان كما زعم العشماوى بناءً على التوراة المحرفة، التي يجعل حقائقها مزيفات، وتحريفاتها ثوابت تاريخية !

ولسبب محاولة العشماوى فصل الدين عن الدولة، والشريعة عن النظام فإنه يجد هنا فرصته الثمينة ومن نص توارثى مُحَرَّف وليس حقيقياً وتاريخياً، ليقول لنا بأن ما فعله موسى من الإبادة المزعومة لكنعان لم يكن عملاً دينياً ولكن عملاً اقتضته السياسة والأمن وكان الدين لا سلطان له على الأعمال الكبرى السياسية والأمنية وما يفعله العشماوى هنا هو بسبب إيجاد المبررات العلمانية للدولة الحديثة لعزل الدين عن الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها من الحيات التي قطع صلتها بأصول الدين والشريعة وربطها بأصول وثنية ومعرفة ادعى أنها كونية وهى في الحقيقة ماسونية مغرضة تهدف في النهاية إلى القضاء على الدين والدولة والشريعة والنظام معاً !!

(١) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية (١٤) أرض المنفى، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ ص ١٧ العدد ١٢٦٠ .

إنه يقضى على الصورة التاريخية والنبوية والإنسانية: لموسى ﷺ - كما يقضى على كل الصور النبوية الأخرى! وذلك باختراع أسطورة عجيبة تفتت حيلته وخياله المريض الزيف عنها فطمس ولفق، وعبث وبتر، وغالى وخرف وقال بأشياء غريبة لا مصدر لها إلا أم رأسه وزيف العقل العلماني الذي يسكنه الجنى الغربي !

تحت عنوان «موسى المصرى» أكد العشماوى في جراءة القاضى المدقق أن أفكاره عن الدين والنبوات وعن قصة موسى لم تكن خيالية إنشائية، إنها أفكار «بعيدة عن العواطف الجامحة (!) والتطرفات اليقينية (!) والعنصرية الحمقاء (!) والاعتقاد الأعمى»^(١)

إذن لنختبر أدلته البتيمة وبراهينه العجيبة ! ، فعن مصرية موسى وأنه ابن ابنة فرعون رمسيس الثانى على الحقيقة وأنه حفيده على الحقيقة يلتزم العشماوى دليله من التوراة التي قال هو نفسه عنها بأنها زيفت أصل موسى فيقول « والذي يؤكد أن موسى كان مصرياً في الشكل والملامح واللغة والتصرف أن ابنتى كاهن مديان قالتا لأبيهما عنه (رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة) خروج ١٩: ٣ »^(٢) ولا يمكن أن تكون الفتاتان قد وصفته بأنه مصرى لمجرد أنه كان يرتدى زياً مصرياً. فالزى وحده لا يكفى. وفي حالة موسى فإن هروبه من مصر إلى مديان لابد أن يكون قد ذهب بزيه المصرى واضطر إلى لبس زي بدوى يتناسب مع البيئة الصحراوية ويخفى هويته عن شرطة فرعون (!) لكنه كان متهماً حكماً بأنه مصرى، من قسماته وحركاته ولغته ولهجته»^(٣) .

وأنا أقول للقاريء الكريم: إن دليلى على عدم قول العشماوى الحق وعدم

(١) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية (٦) حقيقة موسى ، ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠ ص ٣٢ العدد ١٢٥٢ .

(٢) (٥) الإحالة خطأ، فهو الإصحاح الثانى من الخروج وليس الثالث .

(٣) المرجع السابق .

حكمه بالعدل (الصفات التي وصف بها العشماوى كما أشار إليها هو في إحدى مقالاته) دليلى هو تلاعبه بالنصوص التي تتناقض تماماً مع السيناريو الأسطورى الذي رسمه لموسى عليه السلام .

ويمكنك أخى القاريء ضبط العشماوى متلبساً بالتلاعب بالأقوال والاستخدام السخيف .

فموسى في أسطورة العشماوى إنما هو حفيد الفرعون وقائده المقرب والمتفق معه على طرد بنى إسرائيل من مصر فكيف يكون من هذا شأنه هارباً في الصحراء ومن شرطة جده وحليفه العريق !

إن المقطع الذى استشهد به العشماوى لا محل له من القصة الخيالية التي ذكرها، فهو مقطع هروب واختباء عن شرطة فرعون فكيف يجمع النقيضين، وتلتحم القستان ويتوافق الحدثان؟!

أم أن العشماوى، القاضى، البارع في تلفيق القضايا الكبرى، وخداع الناس بفعلته هذه يستغفل قراءه والتاريخ في آن واحد !

كما هو شأن العلمانية دائماً، التواء وطمس، وتحريف وتزييف، وتبجح وغرور فارغ، إن الأكاديميين يبحثون عن الأدلة العلمية الرصينة، والقانونيين يحتاجون إلى براهين ساطعة كالشمس المظلة على الكون، والطلاب ليسوا مغفلين بهذه الصورة التي هي من الجهل بمكان !

والدليل الذى استدل به العشماوى على مقصوده متناقض مع سيناريو العشماوى نفسه كما أنه ليس دليلاً قرآنياً يمكن الاعتماد عليه، فضلاً عن أن الأنساب لا تؤخذ من ظنون الناس وأوهامهم، خصوصاً ظنون أمثال العشماوى الذي سرعان ما ربط بين قولة ابنة رجل مديان في التوراة وبين افتراءاته الشيعة من أن موسى هو حفيد الفرعون رمسيس الثانى وهو مالم تنطق به هذه الابنة الكريمة أو حتى التوراة الحالية!

لكن العشماوى «فارس المتناقضات» يحتاج إلى دليل - أى دليل .. !
على تثبيت خياله المريض على مرآة الواقع .. ما أدى إلى وقوعه في هذا الخلل
العلمى وهذا الاضطراب التعسفى فأين الموضوعية والنقد العلمى البرئ؟! وأين
التمحيص الفعلى للحقيقة وعناصر الموضوع؟ وأين المصادر والمراجع التاريخية
والحجرية والإجراءات العلمية والدقيقة؟

لا شيء من ذلك عند القاضى المستشار ولا عند العلمانى على العموم !! اليس
العشماوى هو من قال بأن الخلل الذى يحدث الصراع ويديم النزاع وينشأ الاضطراب
هو « تفسير النص الدينى في كل الشرائع، بعيداً عن ظروفه التاريخية وفصله عن
سياقه النصى »^(١) فلماذا يفصل نص ابنتى رجل مديان عن سياقه التوراتى أو
القرآنى ولماذا يضع له ظروفاً أخرى يدعى أنها التاريخ الحقيقى لموسى عليه السلام؟!!

أم أن الضلال لا حد له كما قال ابن تيميه ، رحمه الله « الضلال لا حد له، وإن
العقول إذا فسدت، لم يبق لضلالتها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع
الإنسان؟ فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين »^(٢)
وضلال العشماوى تجاوز كل ضلال، فهو يجعل من الوثنية توحيداً لا يفهم
إلا الخواص، ومعرفة كونية لا يطلع عليها إلا المخلصين !

كما يجعل من موسى فرعوناً ومن فرعون موسى، أقصد يجعل فرعون على
قمة الحضارة كما يجعله جداً لموسى وانعكاساً للإله على الأرض! ومعلوم « أن
فرعون من أشد الناس كفراً بالله، بل لم يقص الله في القرآن قصة كافر باسمه
الخاص، أعظم من قصة فرعون، ولا ذكر عن أحد من الكفار كفره وطغيانه وعلوه
أعظم مما ذكر عن فرعون، وأخبر عنه وعن قومه أنهم يدخلون أشد العذاب »^(٣) .
إن المستشار العشماوى هو وطائفة من العلمانيين المنحرفين يقومون بأعظم عملية

(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٣٥٧ .

(١) مجلة أكتوبر ، ٢٠ يناير ٢٠٠٢ العدد ١٣١٧ .

(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ١٢٥ .

تخريبية للدين في التاريخ انسياقاً وراء الفكر العلماني الغربي الذي عبث بالوحي
والغنى ثوابته وعزل مواده ونصوصه وبتر حقائقه ودلالاته ودمر مقدساته ورجالاته .

إنهم يقومون بمحاولات تبديل الدين ، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله
« والتبديل نوعان : أحدهما أن يناقضوا خبره ، والثاني أن يناقضوا أمره فإن الله بعثه
بالحدى ودين الحق وهو صادق فيما أخبر به عن ربه - يقصد الرسول ﷺ - أمر
بما أمر الله به كما قال « من أطاع الرسول فقد أطاع الله » وأهل التبديل الذين
يضيفون إلى دينه وشرعه ما ليس منه ، وهم أهل الشرع المبدل تارة يناقضونه في
خبره فينفون ما أثبتته أو يثبتون ما نفاه » (١) .

إن العشماوى والقمنى وغيرهما لم يألوا أنفسهم كم كان تأثير الفلسفة
الوضعية والمادية عليهم وهى المنبثقة من عملية صراع تاريخية مريرة جرت في
الغرب ، فجزأت الحقيقة وطمست وقائع العالم وتاريخ الوجود وهدايات الوحي
وسياقات النبوات والرسالات بخيالات مريضة وعنف فكرى مضاد لعنف الكنية
الغربية القديمة وباستقطاعات تاريخية زيفت دلائلها ومسخت معالمها وبمنظرة أحادية
للتاريخ والإنسان والغيب والشرع .

حقاً ، إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي - الذي لم يفهمه كثيرون
للأسف! (٢) - فإن « الماديين يستطيعون أن يزعموا أى شيء ، إلا شيئاً واحداً ، هو
أن تفكيرهم المعطل المظلم يعتمد على إثارة من علم » (٣) .

(١) النبوات لابن تيمية ص ١١٦ .

(٢) في أوروبا ، يدمر شباب السلفية تاريخ وفكر هذا الرجل الفذ لوجود أخطاء اجتهادية عند الشيخ رحمه
الله مع أن هؤلاء يقلبون موازين الأمور ويفضلون الحديث عن السنن الصغرى ويتركون السنن الكبرى
ليخربها علمانيوا اليوم ، فلا وجود لفقه أولويات ولا حديث لفقه الواقع ولا وجود لمطاردة للكفر
العلماني كما فعل ابن تيمية قديماً مع الفكر اليوناني والمثخلفة العرب وأصحاب الحيل والتصوف المنحرف
وانحرافات أهل الكتاب ، فقط يهتمون بتحجيب الغربية قبل تفهيمها وعزلها عن العالم وتلقينها سناً
يوجد ما هو أولى منها في التفهيم وهو غفلة عن منهج السلف الكرام .

(٣) ركائز الإيمان للغزالي ص ٦٢ .

لقد شبه الشيخ محمد الغزالي هذه العقول السخيفة بالمداخن تنفث سوادها، هنا وهناك لكن في النهاية سوف يغلب الشعاع كل دخان^(١) .

لكنه رحمه الله يحذر بأن « الغزو الثقافي أنكى من الغزو العسكري واحتلال العقول أمضى من احتلال الأراضي »^(٢) .

إنهم يخترعون النظريات، ويرسمون ملامح فصولها وشخصها بما يتناسب مع مخططاتهم التجريبية للدين .

إن العشماوى بعد أن ينسب لموسى ﷺ نسباً فرعونياً، ودينياً وثنياً يعتمد على السحر والكهانة وعبادة الأشخاص والرموز والأوثان، وبعد أن اخترع له خطة مدهشة بارعة لإخراج بنى إسرائيل من مصر، زعم كذلك أن موسى ﷺ رجع إلى مصر بعد أن سيطر عليهم بكهنته وبالسحر أربعين سنة كاملة وأعطاهم أرض كنعان بعد أن قام بتدمير مدنها وإيادتها شعبها .

« بعد أن قضى موسى على الرعاة (العبيرو) في أرض كنعان، وأمن مصر من كل هجوم، ونقل العبرانيين إلى أرض كنعان بعيداً عن أرض مصر، فقد انسحب في هدوء، واختفى دون أن يلحظ أحد اختفائه، وعاد إلى مصر، وحده أو مع كوكبة من جنده »^(٣) !!

لم يأتِ القاضى المستشار على خرافاته هذه برائحة دليل، فموسى قضى، وأمن، ونقل، وانسحب، واختفى، وعاد، في آلية أسطورية عجيبة، لكنه قد يستخدم نصاً من هنا ونصاً من هناك لإقامة نظريته التي ليس لها مصدر إلا مداخن عقله الأسود، وتفاهات فرويد وغيره ممن تأثر بهم العشماوى «وبعد أن أتم موسى تحقيق أهدافه ترك العبرانيين إلى تابعه يوشع^(٤) واختفى بما تُعبر عنه التوراة بأنه

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٦ .

(١) علل وأدوية ص ١٣٩ .

(٣) مجلة أكتوبر المصرية مقالة العشماوى الأصول المصرية لليهودية (٩) شريعة موسى ١٢ نوفمبر ص ٢٩

العدد ١٢٥٥ .

(٤) زعم آخرون أن موسى قتل على يد يوشع كالكمنى وفرويد أما أحمد عثمان فيقول إنه مات في معارك !

انضم إلى قومه، وعاد إلى مصر دون أن يرى أحد موته أو رحيله»^(١).

وانت ترى أخى القاريء كيف أن العشماوى يقيم نظريته على تلفيق وخيال مريض، وبعض النصوص التي تُخبر عن أشياء مختلفة لتخديمها لعطب فكره وزبالة عقله فما عبرت عنه التوراة هو أن موسى انضم إلى قومه أى أنه عند موته انضم إلى قومه من الأموات، لكن العشماوى انتزع النص من سياقه وزعم بأن مقصد التوراة من القول بانضمام موسى إلى قومه المصريين بعد أن حقق أهدافه التخيلية في الذهن العشماوى الصياني، يقول «كان موسى قد حقق أهدافه، فأمن حدود مصر من البدو الهكسوس، وأخرج العبرانيين من أرض مصر، وتوهم (!) في صحراء سيناء حتى مات كل من خرج معه ولم يبق إلا الأجيال الجديدة التي انقطعت كل صلة لها بأرض جاسان وأصبحت تتطلع إلى الأرض التي قيل لهم إنهم وعدوا بها .. وهو ما يرر لهم التشرّد في الصحراء زمناً، والإخراج من مصر رغم أنوف آبائهم. خاصة مع الأمل أن يكونوا مع الوقت، ومع الأجيال الجديدة، قد صاروا ن المؤمنين بالله وشريعته، فيصبرون بذلك مستعمرة مصرية»^(٢).

فالخطة التي رسمها الحفيد مع الجد قد تحققت تماماً في عقل العشماوى وأرضيته الخصبّة بالفكر الأسطوري والعقل الوهمي (أو بالحقيقة اللاعقل!) وهو يعتبرها دراسة علمية رصينة تؤيدها الدلائل العلمية والبراهين الكونية والحقائق التاريخية.

في حين أنها زيغ عقلي وخلل فكري وباطل لا آخر له وشائعات علمانية وأساطير حديثة ومجموعة من الأوهام والتخليطات وخيال صياني وكلام موغل في الكذب فأين في التاريخ ما يؤيد وجهة نظر الدراسة في أن المصريين أرادوا إخراج العبرانيين، وتم ذلك بواسطة موسى»^(٣) الذي زعم العشماوى أن جده هو الفرعون رمسيس الثاني وأنه تحرك بناء على خطة الفرعون ورضا الشعب! وضغط

(١) مقالة العشماوى في مجلة أكتوبر، الأصول المصرية (١٤) أرض المنفى ١٧ ديسمبر ص ١٧.

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون ص ١٤ العدد ١٢٥٨، ٣ ديسمبر ٢٠٠٠.

(٣) مقالة العشماوى، (الأصول المصرية لليهودية) ١٦ مزامير داود ٣١ ديسمبر ص ٢٧ العدد ١٢٦٢.

الجنود المصريين الذين - بزعم العشماوى ، طبعاً ! - كانوا تحت إمرة موسى فالعبرانيون « اضطروا إلى الخروج تحت تأثير قوة الجنود المصريين الذين كانوا تحت قيادته »^(١) .

وهذا يعنى أن الخطة اشترك فيها الشعب والجنود والجد والحفيد، وكما عنى النص التوراتى الذى يقول بأن موسى انضم إلى قومه عند العشماوى بأنه انضم إلى جنه وشعبه المصرى! فقد عنى نصاً آخر توارتى أيضاً أن مكانة موسى عند قومه المصريين - بزعم العشماوى تدل على أن موسى لا يمكن أن يخون وطنه وناسه وأهله، يا سلام عليك يا عشماوى يا فتى مصر ويا من يقف للصهيونية - هو والقمنى - بالمرصاد !!

فتعقياً على خروج ١١: ٣ (نص توراتى) يقول بأن موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر يقول العشماوى « ومن كان هذا وضعه في مصر ولدى المصريين، لا يمكن أن يرتكب خيانة (!) ضد بلده، ولا جريمة (!) ضد مواطن له، لكن تقدير المصريين له كان على اعتبار أنه بطل قومى، وداعية دينى، ورجل سياسى، وأمير حربى، ولعل خروجه الأول من مصر إلى مديان كان عملاً للاستطلاع والاستخبار عما يفعله الهكسوس والرعاة، لإعادة غزو مصر واحتلالها واستمرار تملكها كذلك »^(٢) .

هكذا كلما احتل الخيال الواسع عند العشماوى مساحة كبيرة في رأسه كلما ضاق عقله وفقد رشده، فانقلب التاريخ عنده رأساً على عقب في ضبابية كثيفة تفاجئك دائماً بما لم تكن تتوقعه فموسى مصرى، وهو بطل قومى، وداعية دينى على الصورة المصرية الفرعونية القديمة التي هي تجليات وثنية وانعكاسات كونية وأصول أولية «فمصر أم الدنيا، على معنى أنها الأصول في الدين...» وأنها

(١) المرجع السابق .

(٢) مجلة أكتوبر المصرية، مقالة العشماوى تحت عنوان : شريعة موسى، الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ ص ٢٩

الفصل في الحكم على كل ما يتصل بالكونيات»^(١) .

فالتجلى الإلهي ظهر في أشكال متعددة وأسماء متغيرة ووثنيات مصر لم تكن وثنيات وإنما هي هذه التجليات التي لا يفهمها إلا الخواص الماسون كالعشماوى القاضى نواره الدفعة !

كذلك فهروب موسى من مصر لم يكن هروباً وإنما كان خطة تجسس!!

- هل تحتاج الخطة لهذا الزمن الذى قضاه موسى في مدين وتزوج فيه؟!

الم يقل العشماوى منذ قليل « وفي حالة موسى فإن هروبه من مصر إلى مديان لابد أن يكون قد ذهب بزبه المصرى واضطره إلى لبس زي بدوى يتناسب مع البيئة الصحراوية ويخفي هويته عن شرطة فرعون »^(٢) .

وأنت أختى القارئ ترى أن أدلة العشماوى ضعيفة ومتناقضة وملتوية ومستخلعة لأغراضه المبيتة ، التدميرية !

وقد أريتك أختى الكريم كيف أن العشماوى لعجزه عن إقامة نظريته بالأدلة العلمية والوثائق المادية ذهب يلوى عنق نصوص حالية للتوراة كنص انضمام موسى إلى قومه المتزوج من سياقه وكذلك نص أن موسى كان عظيماً في مصر الذى استخدمه العشماوى للتدليل على نجاح الخطة التي وضع الشعب أمله في المخطط لها أي موسى البطل ، الداعية والقومى ، ابن ابنة الفرعون رمسيس الثانى بزعم مستشار محكمة أمن الدولة ، القاضى العادل ، فتى مصر الوفى !

ولاختصار المسافات ، ولخداع القراء يلقي العشماوى - فتى مصر - القول الزور على عواهنه فيقول كذباً وزوراً « السياق التوراتى للتسلسل النصى ، يقطع بأن ذلك

(١) من كلام العشماوى ، مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٤) مصر هي الأصل والفصل ، ٢٥ فبراير

٢٠٠١ العدد ١٢٧٠ ص ٢٥ .

(٢) مقالة «موسى المصرى» ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠ ص ٣٢ بمجلة أكتوبر للعشماوى .

كله كان في الأساس عملاً عسكرياً لموسى (١) (٢٠) ، قصد به، على ما سلف - تهجير العبرانيين ... من أرض جاسان من مصر إلى أرض كنعان (١) .
أي تسلسل أيها المستشار ؟!

يبدو أن الطيش ليس خاصاً بمرحلة معينة تكون على الأغلب مرحلة الشباب، فالعشماوى نواره الدفعة بشطح كثيراً ويسرف ويهزى ويقول ما يعلم أنه زور وكذب فالسياق التوراتي هو على عكس خرافات العشماوى تماماً وعلى النقيض منه أبداً.

وليس هناك من عمل عسكري لموسى قصد به إخراج العبرانيين من مصر بالاتفاق مع رمسيس الثانى، جد موسى بزعم فتى مصر المزور !

الداعية الساحر !

هل تفاجأ أخى الكريم عندما يقول لك أحدهم إن موسى كان ضليعاً في السحر، وإنه كمصرى استطاع أن يسيطر على بنى إسرائيل في عملية إخراجهم وتوطينهم بالسحر؟! إن هذا هو ما يقوله العشماوي !

ثم ألا تأخذك الدهشة عندما يقوم أحدهم بمحاولة إثبات ذلك من القرآن يقول « وقد كان موسى ضليعاً فيما يسمى السحر، وفي ذلك يقول القرآن على لسان فرعون ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ » (٧١:٥) ومن ضروب السحر ما يسمى بالتخييل أي القدرة التي يملكها شخص قوي للإيحاء إلى الآخرين بما يخيل إليهم،

(٢٠) ومع ذلك يقول الذي يثبت أن قصة موسى، على نحو ما كتبها كتاب التوراة، قصة قلقة (١) إن لم تكن مخلق (١) بقصد قطع صلة ونسب وعقل وروح موسى من مصر، وربطها باختلاقاً واعتباطاً بالعبرانيين ... النص الوارد في سفر الأعمال (العهد الجديد) منه أن موسى نبذ أى صار منبوذاً في بيت أبيه العبراني (افتراضاً) كانت تلك دلالة على أن موسى لم يكن عبرانياً قط وأنه طرد من بيت أبيه، رمزاً لجماعة العبرانيين بسبب أنه ليس منهم « مقالة (حقيقة موسى) مجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ ص ٣١ .
(١) مقالة العشماوى ، الأصول المصرية لليهودية (١٣) أرض الميعاد، ١٠ ديسمبر ص ٢٤ العدد ١٢٥٩ .

وما يتخيلون وقوعه وتحققه، وما هو إلا إحياء في رؤوسهم، وإلى جانب هذا الإحياء وبعض أعمال السحر، فإن موسى استعان بمملكة الكهانة التي أنشأها (!) وحصرها في هارون وبنيه من اللاويين المصريين (!) (*)، واستطاع سلطان الكهانة الطاغية أن يشكّم العبرانيين وأن يسكت ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى (!!) (!) !!!

فالسحر للسيطرة إذا فرغت القلوب من العقيدة، هذه هي نظرية المستشار الذي كان رجلاً مهماً في محكمة أمن الدولة، يقول «إن العبرانيين لم يريدوا الخروج ولم يقبلوه وجادلوا موسى فيه قبل أن يبدأ... ولو أنهم اعتقدوا أن الخروج كان بناء على رغبة وأمر إله آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لما تراخوا عنه» (!) وفي الحقيقة فلإن بني إسرائيل خرجوا مع موسى ﷺ وهم يعلمون أن الله عز وجل هو الأمر وأن موسى عليه السلام هو النبي، لكن العشماوي يقلب الحقائق ويطمس معالم التاريخ فيزعم أنهم لم يكونوا يعرفون رباً للبشرية كلها ولا عرفه أبائهم، وأن موسى بعد أن سيطر عليهم بالسحر ومملكة الكهانة التي زعم أنه أنشأها أعطاهم تصوراً مصرية عن الدين أدنى من التصور الأصلي حتى لا تختلط الأديان ويكون العبد كالسيد! ومع الوقت بدأ يتضح أن موسى نقل كثيراً من عناصر اليهودية عن مصر وعن إخناتون بالذات» (!) يقول ذلك باعتبار أن موسى حفيد رمسيس الثاني ودينه دينه وعقيدته عقيدته! رجع العشماوي إلى عاداته الرديئة في استخدام النصوص التي ليس فيها رائحة دليل على خزعبلاته وخرافاته، فزعم

(*) يزعم العشماوي أن «إخوته لهارون لم تكن إخوة دم بل كانت إخوة عقيدة ففي مصر كان أصحاب المعتقد الواحد يرون أنهم أخوة في الله، وهي الفكرة التي إقتبها فيشاغورس الإغريقي وسمى مجموعته «الإخوان الفيشاغوريين» ثم سارت على هذا النهج «الإخوان الماسونيين» و«إخوان الصفا» وغيرهم مقالته «حقيقة موسى» ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ ص ٣١.

(١) مقالة العشماوي، الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون، بمجلة أكتوبر ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ ص ١٤ العدد ١٢٥٨.

(٢) مقالة العشماوي في مجلة أكتوبر ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٧ ص ٢٤.

(٣) مقالة البداية والنهاية مجلة أكتوبر الأحد ١١ مارس ٢٠٠١ ص ٢٤.

أن ما ورد في القرآن على لسان فرعون للسحرة الذين تابوا للتو، إنما هو حقيقة قالها الفرعون باعتبار أنه جد موسى ويعرف عنه أكثر مما يعرف السحرة عن أنفسهم!

إنني متأكد أن القاريء الكريم يعرف تماماً أن العشماوي يهرف بما لا يعرف، ويشاركني الرأي أنه إما أن يكون العشماوي قد أصابه الجنون والخيال وإما أنه مريض محتل! وإلا فما شأن تهديد الفرعون المزعور للسحرة، التهديد بإطلاق الأكاذيب التي منها - بزعمه - أن موسى هو معلمهم الكبير والمدير معهم الخطة بليل للإنقلاب عليه ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنُتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٢٣) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ (الأعراف: ١٢٣، ١٢٤). وهو قول الحاكم الذي يشعر بالخطر فيبدأ بنشر الأكاذيب والأراجيف والإشاعات والتهاول ثم ينتهي بالقتل والتعذيب والتنكيل والتشريد، والسجن والحبس! لكن العشماوي يحجب ذلك كله، ويقوم بدور الفرعون، بل يجعل من قول الفرعون الذي قاله تهديداً وتخويفاً (وهو يعلم أنه يكذب) يجعل العشماوي من هذا القول (حقيقة تاريخية ودليلاً موضوعياً) لإضافته إلى أسطورته السخيفة وأطروحته الماكرة!

مدعياً أنه يقوم بتحليل علمي «في تفسير مهمة موسى تفسيراً جديداً»^(١) ويظن العشماوي أنه أتى بما لم تأت به الأوائل والمدهش أنه يزعم أنه «فتى مصر» العلامة! ومنهج هو منهج التلفيق والطمس، يقول «ومن ضمن ما تعلمه موسى... قواعد التأثير في العالم المادي الأسلوب الذي لا يعرف الناس أكثر قوانينه، ومن ثم سموه سحراً. وهذا العلم الذي يسمى بالسحر كان معروفاً، علمياً وعملياً لدى الكهنة المصريين... وفي القرآن آية تفيد هذا المعنى، إذ يقول

(١) مقالة «شريعة موسى» ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٥.

فرعون للكهنة ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [٧١:٥] وهو ما يعني أن موسى كان ضليعاً في السحر المصري القديم^(١)

إن ديدن العشماوي في كتاباته ضد ما أسماه الإسلام السياسي هو إتهامهم بنزع النصوص عن سياقها وإتباع قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأنهم يكتبون إنشاء وليس علماً!

وهنا في هذا المثال - وعندي مثله عشرات الأمثلة- يتبين العكس تماماً، فالعشماوي هو من يقوم بقلب الحقائق وعكس الأدلة ونزع النصوص على سياقها للمخصوص! وفوق ذلك الكذب على الأنبياء، وذلك بعد تحويلهم إلى كهنة لدبابات أخرى كما فعل علمانيون كثيرون!

إن ما جاء به موسى ﷺ لم يكن سحراً تعلمه من مصر، ولم يكن هذا النبي الكريم ضليعاً في السحر والقرآن يؤكد أن موسى قبل قول الله ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ لم يكن قد عرف ماهية الآية الربانية ولا التمكن المزعوم في السحر! والعشماوي لم يأتي بدليل واحد على أن موسى تعلم السحر في مصر على كهنتها وسحرتها، والقرآن يذكر أن موسى كان يُصْنَع على عين الله ومراقبته، فلا يمكن والأمر هكذا أن يجعله يؤمن بوثنية وسحر، وكهانة وكفر، بل مثل موسى ﷺ لا يمكن أن يكون حفيداً لطاغية مضر القديمة فرعون المشنوم.

إن الذي جاء به موسى هو الحق من الله عز وجل، كان نبياً رسولاً، مقرباً من الله ومخلصاً له، لا مقرباً من فرعون ومخلصاً له. ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١-٥٣].

(١) مقالة العشماوي «موسى المصري» الأصول المصرية لليهودية (٦) ٢٢ أكتوبر . ٣٣ العدد ١٢٥٢ .

إن الذي جاء به موسى لإبطال سحر السحرة كان «آية ربانية» و «معجزة إلهية»، هذه الآيات الإلهية كانت باهرة وتعجزية إن صح التعبير لسحرة مصر فعلموا أنها من الله عز وجل وأن موسى نبياً ورسولاً، والساحر يعرف الفرق بين السحر وغيره، وكما قال ابن تيمية فإنه «ليس من جنس مقدورهم فأمنوا إيماناً جازماً»^(١) ولا شك أنهم قد درسوا دعوة موسى وعلموا صدقها ولما رأوا الآيات المادية على صدقه آمنوا للتو ما جعل فرعون يستخدم أسلوب التهديد معهم.

وهم أدري الناس بما في السحر من كذب وفجور وأن السحر يجد له مكاناً رفيعاً في الحضارات الوثنية، فالشرك والكذب والسحر والفجور يفرخون الدكتاتوريات التي لا تدع للنبوة والرسالة والدعوة طريقاً للإنسان وسبيلاً لأبناء آدم.

إن الفرق بين النبي والساحر - كما قال ابن تيمية - أعظم مما بين الليل والنهار^(٢) والتسوية بينهما ضلال بين «ولهذا لما مثلوا الرسول بالساحر وغيره قال تعالى «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً»^(٣) «فمن جعل النبي ساحراً ومجنوناً - يقول ابن تيمية - هو بمنزلة من جعل الساحر أو المجنون نبياً، وهذا من أعظم الفرية والتسوية بين الأضداد المختلفة... فإن الفارق بين النبي والساحر أو المجنون أعظم من الفرق بين العاقل والمجنون»^(٤)

العشماوي رجل القانون!، يجعل من موسى فرعوناً ابن فرعون «ابن ابنة الفرعون رمسيس الثاني»! بل يساوي بين الفرعون والنبي موسى في الاعتقاد!

فثقافة موسى الدينية مصرية - بزعم العشماوي، وقد رعم ذلك في يوسف

(٢) النبوات ص ٢٧٧.

(٤) النبوات ص ٢٧٧.

(١) النبوات ص ٣٢.

(٣) النبوات ص ٢٣.

عليه السلام وإبراهيم عليه السلام^(*)، وقد استخدمها مع السحر في إخراج بني إسرائيل من مصر! «اضطروا إلى الخروج تحت تأثيره... ولما بدأتمرد العبرانيين عليه وتكررت ثورتهم هذه اضطروا إلى اللجوء إلى ثقافته المصرية (!) فقال لهم إن الإله قد اختارهم (!) شعباً له^(**)» وأنه وعدهم أرض كنعان ليقيموا فيها، وذلك بلا شك مزج للفكر الديني بما له من دفعة وما فيه من دفقة (!)، بالهدف السياسي والغرض القومي، مما كان له أثر عميق على اليهودية منذ البداية فأضفى عليها صبغة أيديولوجية^(١)

(*) فعن إبراهيم يقول «وهذا الختان كان معروفاً في مصر أكثر من أربعة آلاف سنة قبل زيارة إبراهيم لها... وقد عرفه إبراهيم من مصر، كما عرف تحديد الألوهية بالتجريد وعدم التمثيل... إن الصابئة أبلغ وأصدق دليل على تأثير مصر على إبراهيم، إذ يستحيل أن يجيء إليها ويقم فيها ثم يخرج منها دون ما أثر!!» مقالة «عهد الآباء (ب)» مجلة أكتوبر ٨ أكتوبر ٢٠٠٠ ص ٣١ العدد ١٢٥٠ أما صاحب كتاب وعد التوراة «موسى مطلق إبراهيم» فيقول في كتابه هذا «إبراهيم كان شخصية مقدسة في ميثولوجيا بلاد الرافدين» ص ٣٨. وعن يوسف عليه السلام يقول العشماوي «ثقافة يوسف ثقافة مصرية وعلمه علم مصري» من مقالة يوسف الصديق (ب) الأصول المصرية لليهودية (٢) في مجلة أكتوبر ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ ص ٢٧ العدد ١٢٤٨ وفي نفس المقالة يقول «وثمة عبارة في التوراة تفيد أنه درس في معبد أون» ص ٢٦. وفي مقاله أخرى بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠٠ ص ٢٣ عن يوسف أيضاً يقول «بل إنه اعتنق العقيدة المصرية السليمة عن التوحيد بالله!!» من هنا بدأ العشماوي في هدم حقائق التاريخ يقول في نفس المقالة ص ٢٢ «ولأن يوسف الصديق هو أقوى الحلقات وأهم الصلات بين المصريين والعبرانيين الذين صار منهم اليهود، فإن الابتداء بدراسته شخص وحياة وعمل وعقيدة. أمر لا صاف عنه في شأن دراسة تتبع الأصول المصرية في اليهودية (!) وترسم الخطوات المصرية، في الفكر الديني والاجتماعي لليهود» وفي ص ٢٧ يقول «... ألا يعني ذلك أن يعقوب كان يقصد في الحقيقة سيداً للقبيلة أو سيداً لأبائه دون أن يقصد الله الواحد الأحد الذي عرفه المصريون منذ قديم الزمان، وعرفه يوسف في معبد أون» وهو يعني أن إله يعقوب هو إله قبيلة!!!

(**) شفيق مقار ذهب أيضاً لهذا الافتراء فادعى أنها «كانت حيلة موفقة لإقناع شرازم موسى» قراءة سياسية للتوراة ص ١٤٤.

(١) مجلة أكتوبر المصرية الأصول المصرية لليهودية (١٤) أرض المنفى للعشماوي ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٦٠ ص ١٦.

يضيف «نواراة الدفعة» «فتي مصر» «القاضي العدل» : أنهم أدركوا أن موسى يداعبهم بهذه الفكرة وتلك ، ويلاعبهم بهذا القول وذاك، حتى يتم له نقلهم إلى أرض كنعان المنفى، فقاوموه وعارضوه وثاروا عليه وتمردوا ضده، ولم يؤمنوا بالإله الواحد الأحد الذي أطلق هو عليه ه. و. لأنهم كانوا يعرفون أنه الإله الذي يؤمن به المصريون (!) وأن موسى يريد أن يفرض عليهم إله المصريين (مع أنه إله الناس جميعاً) كإنجاء منه لتمصرهم (!) ، أي أنهم رأوا فيما كان يفعله موسى ضرباً مما سمي بعد ذلك بالغزو الثقافي (!) الذي يمحو شخصيتهم ويغير ثقافتهم ويفصلهم عن تراثهم القبلي (!) (١) وبزعم العشماوي فالإله الذي عبده الأنبياء العبرانيون، يعقوب وإسحاق هو إله قبيلة وليس الإله العالمي الذي عبده يوسف من مصر - بزعمه طبعاً - بعد أن تثقف بثقافة المصريين! لذلك يقول العشماوي «الصراع بين موسى والعبرانيين من ثم، كان صراعاً على التهجير إلى أرض المنفى وصراعاً على الألوهية» (٢)

وهكذا فالعشماوي في «خطبات» سريعة يهدم حقائق ضخمة، وفي أعرق المجالات المصرية مجلة «أكتوبر» (والآن يكتب في روزاليوسف!) توقف هنا وبدأ هناك! أما عن الخصوصية التي رعم أن موسى المصري - في الأسطورة العشماوية! منحها للعبرانيين وهي قوله أن الإله قد اختارهم شعباً له فسيبها اضطرابه لمنحهم إياها وعزلهم فكرياً وشعورياً ودينياً لئلا يتهدد أمن مصر «والقصد من ذلك إيجاد حاجز نفسي وحاجز ديني يمنع العبرانيين من الانضمام إلى باقي القبائل والشعوب البدوية التي كانت في أرض كنعان، حتى لا يتهدد أمن مصر» (٣)

(١-٢) المرجع السابق ، نفس المقالة، يزعم العشماوي أن تراثهم العقدي هو اتباع «توحيد لإله القبيلة وليس التوحيد العالمي والكوني المجرد ذلك الذي آمن به المصريون منذ عصور ما قبل التاريخ المكتوب (٣٢٠٠ ق.م) ثم تم ترسيخه في عقيدة إخناتون» مجلة أكتوبر ٣ ديسمبر سنة ٢٠٠٠ ، الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون.

(٣) المرجع السابق نفس العدد ص ١٧ على العكس من ذلك يزعم فرويد أيضاً أنه كان يريد بذلك إعطاءهم الثقة بأنفسهم، انظر النبي موسى ص ١٨٧.

فموسى عند العشماوي مصري، أمير فرعونى، وحفيد الفرعون رمسيس الثاني، رسم «إستراتيجية»^(١) لنفي العبرانيين عن مصر ولئلا يتهدد أمن مصر عزلهم عن الشعوب البدوية بمنحهم أفكاراً عازلة كعقيدة أنهم شعب الله المختار، كما أنه بإعطاءهم عقيدة إضطر إليها موسى^(*) كاتجاه منه لتمصيرهم أمكنه تحويلاً من بداوة آبائهم يعقوب وإسحاق إلى الحضارة!

بهذا الكذب العشماوي يظن المستشار انه استطاع قلب الطاولة على الإسلام السياسي وعلى المد الإسلامي العظيم الذي يقف لماسونيته بالمرصاد ومعلوم أن الماسونية حركة خطيرة أرجعها معظم الباحثين إلى الصهيونية العالمية وامتداداتها الفكرية والسرية!

لا معجزات في الخروج ولا آيات ريبانية!

يزعم العشماوي أن خروج العبرانيين من مصر بقيادة موسى!، الذي جعله مصرياً وضليعاً في السحر ومنفذاً لخطة الخروج مع جده الفرعون!، يزعم العشماوي أن الخروج حدث بلا معجزات «حدث الخروج في سهولة ويسر، ولم تصاحبه أحداث مأساوية للمصريين. وهذا الذي يستفاد من النصوص (!) هو ما يقوله علماء التاريخ والدين المقارن (!)، إذ لا يجدون (!) في المخطوطات

(١) كما عبّر عن ذلك العشماوي في مقاله «الشرعة والقانون» بمجلة أكتوبر ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ وهي المقالة التي زعم فيها أن موسى كان ضليعاً في السحر وأن العبرانيين في التوراة فصلوه عن أصله المصري ونسبوه لهم؟

(*) يزعم العشماوي أن بني إسرائيل الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً (!) وليس هو الذي ابتداء ذلك من عنده، الأصول المصرية لليهودية (١٠) تفصيل الشرعة، مجلة أكتوبر ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٦. وهذا الكلام خلط وتزوير للوقائع، فالله عز وجل هو الذي أرسل موسى إبتداء بعقيدة التوحيد في مواجهة العقائد المصرية الوثنية وهذا يهدم إفتراءات العشماوي من أن العقيدة التي أعطاها للعبرانيين إنما إضطر إليها وأنها عقائد مصرية يؤمن بها الفرعون الذي زعم العشماوي أنه جد موسى!

والمنقوشات والمحفوظات المصرية أي دليل على وقوع أحداث بالصورة البالغة
المأساة التي تصورها التوراة وهو أمر لو حدث لما أغفلته السجلات المصرية أبداً^(١)

لم يأت العشماوي على نفي معجزات الخروج بدليل صحيح مقنع، وإنما الذي
أتى به بإعتباره دليل علمي وبحث موضوعي هو قوله أن ما يدعيه استفاد من
النصوص التوراتية ولم يذكر أي نص لتدعيم أكاذيبه وذلك لأن النصوص التوراتية
صريحة جداً في إثبات معجزات الخروج ثم هو يعتمد على ما يقوله كثير من
علماء التاريخ والدين المقارن، وأكثرهم ماديون، إذ لا يجدون دليلاً مكتوباً أو
منقوشاً أو محفوراً في السجلات المصرية القديمة أو الرسوم الفرعونية المكتشفة على
وقوع أحداث كهذه!، وهذا الدليل يعتبر دليلاً قوياً بالنسبة لعلماء التاريخ الغربيون
الذين لا يؤمنون بالدين والوحي والنبوة والشرعية فوق أنهم يحجبون الحقائق
النافسة لنظرياتهم ويعزلون الأدلة المدمرة لتتائجهم ويسترون البراهين الكاشفة
لأهواءهم!

إن نفس هؤلاء العلماء أثبتوا أن كثيراً من الأسر المصرية الحاكمة آنذاك كانت
تقوم بكشط التواريخ وإخفاء آثار من قبلهم ومحو أسماءهم وذكراهم وكأنهم لم
يوجدوا في التاريخ قط والتاريخ المصري القديم مملوء بذلك، والعشماوي والقمني
وغيرهما يعلمون ذلك جيداً لكنهم يرفضون إتخاذ ذلك دليلاً على إخفاء الفراعنة
لمعالم هذا الحدث التاريخي العظيم، تكبراً وجحداً لحقائق التاريخ وإخفاء لمعالم
الحجب والعزل والإخفاء والطمس!!! وذلك أنهم يعلمون أن الإيمان بمعجزات
حقيقية للأنبياء يستدعي الإيمان بنبوتهم ومن ثم صحة الرسالات السماوية التي
تهدم نظرياتهم العلمانية الهشة وتحرمهم من ولاء عجب وتسليم مدهش وتقليد
معجب للفكر الغربي الحديث، خصوصاً أفكار فرويد وفليكوفسكي اليهوديين

(١) مقالته في مجلة أكتوبر بعنوان شريعة موسى، الأصول المصرية لليهودية (٩) بتاريخ ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠

الذين أنكروا أيضاً معجزات الخروج بناء على كفرهم بالنبوات والرسالات وبنيتهم للمنهجية المادية الأحادية في التحليل القاصرة على حل ألغاز التاريخ وتفسيره تفسيراً علمياً حقيقياً!

إن كثيرين منهم أنكروا حدث الخروج، وكثيرين آخرين أثبتوا الحدث لكنهم أعطوه دلالات سخيفة ومعاني قاصرة هزيلة ومضحكة تبدو عليها آثار التلاعب الخائب والتحرش المبني كما أنها تحمل في طياتها أسباب قصورها ووسائل تدميرها!

ولنضرب على ذلك مثلاً قريباً لا يذهب بنا بعيداً، وهو تعليق فليوكوفسكي على الحدث الذي زعم أنه لا يوجد مصدر تاريخي صادق يدعم هذا القصص الديني^(١) فيقول «إن دراسة موضوع الكوارث وترتيبها يجعلنا ندرك أنها شكل من أشكال تغير الطقس الذي يحدث عاماً بعد عام. ولا نعجب إذا كان ذلك لم يلفت نظر ولا إنتباه المصريين كحدث عادي، بالقدر الذي لم يثر انتباههم فيه حدث سنوي متكرر، لدخول وخروج البدو من حدودهم مع قطعان ماشيتهم أو ما سمي بالخروج. وربما كان الجيش المطارد قد تعرض لكارثة ليس بسبب إنشقاق البحر وانطباقه بعد ذلك، ولكن بسبب موجهة مد عاتية(!) قد ضاعفها الإعصار(!).

إذا كانت كل الوثائق والتسجيلات المصرية القديمة تجهل أن البحر قد التهم ملكهم وجيشه وعجلاته الحربية في حين بقيت أمجاد المعجزة حية في أذهان نسل الهاربين من الطغيان الفرعوني، وكرموا أنفسهم(!) بقصة عاصفة إعجازية وبحر منشق لم يشهد بحدوثه المصريون في أي من وثائقهم التاريخية!!^(٢)

أما في كتابه «عوالم في تصادم» فقد قام فليوكوفسكي بدراسة أحداث التاريخ بناء على القواعد المادية القاصرة والهزيلة.

(١) عصور في فوضى، من الخروج إلى الملك إخناتون ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٨-٥٠.

يشرح لنا الدكتور رفعت السيد^(*) مترجم كتاب فليكوفسكي عصور في فوضى
فلسفه فليكوفسكي ورؤيته للحدث «أول ما يخرج به فليكوفسكي من إعادة دراسة
التاريخ على ضوء الكوارث الكونية هو أن حادثة خروج بني إسرائيل من مصر قد
واكبت كارثة كونية وقعت بفعل حادث طبيعي كوني وهو ارتطام ذبل أحد
المذنبات السيارة بالكرة الأرضية... يخرج بكل هذه الوقائع من دائرة الدين التي
تعزوها إلى معجزات إلهية، إلى دائرة الكوارث الكونية(!) التي تعود إلى أحداث
الطبيعة، فالخروج لا يمثل معجزة إلهية.»^(١)

هذه هي أفكار الفكر العلماني الغربي والعربي، وهي كلها تصب في عملية
تزييف حقائق التاريخ والتلاعب بأحداثه ووقائعه وإعطاءها تفسيراً هزلياً له ارتباط
عضوي بحقيقة الصراع المير بين الكنيسة والفلسفة والعلم في القرون الأربعة
الخالية.

بل هذه هي أفكار المستشار محمد سعيد العشوي الذي يقوم بمحاولاته الهزيلة
في نفى عقائد الإسلام وتحطيم مبادئ الإيمان وتغيير وقائع التاريخ النبوي على
طول التاريخ.

إنه القاضي الذي تدل تلاعباته على ظلمه لا عدله، وعلى ظلمة أفكاره لا
نورانية عقله وعلى طمسه للحقائق لا إظهارها وإعلانها في محكمة العدل البشرية
إننا نذكره بقول الله عز وجل في الكفار المناوئين ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧].

فانتظروا إنا منتظرون!

(*) رفعت السيد ، من عمالقة الفكر المادي التخريبي وأحد رموز العلمانية في مصر .

(١) مقدمة كتاب عصور في فوضى ص ١٨، ١٩ .

الفصل الخامس

« إن صورة موسى عليه السلام، وأخيه هارون، عليهما السلام في الثقافة الإسلامية - التي صاغها وصبغها القرآن الكريم - هي صورة حبيب الله .. الذي صنعه الله على عينه .. وقربه .. واستخلصه لنفسه وجعله كليمه .. ونجيه .. واستجاب دعاءه .. وسلم عليه .. وجعله القوى الأمين .. وآتاه الكتاب والفرقان والسلطان وصورة هذا الكتاب - التوراة - في القرآن الكريم هي صورة : الإمام .. والرحمة .. والهدى .. والنور ... »

محمد عمارة

الإسلام والآخر

من يعترف بمن ؟ .. ومن ينكر من ص ٢٥

افتراءات أحمد عثمان^(*) وإيقاف التاريخ على رأسه

يذهب بعض الباحثين إلى نفي وجود الأنبياء في التاريخ، فالأنبياء عندهم ليسوا أشخاصاً تاريخيين حقيقيين أي لم يوجدوا في العالم قط!

الباحث الدكتور أحمد عثمان يذهب مع آخرين إلى إثبات وجودهم كأشخاص تاريخيين لكن تحت أسماء أخرى وأنساب أخرى وأهداف في الحياة أخرى أيضاً! ^(**) بحيث يؤكدون وجود شخوص الأنبياء في التاريخ باعتبارهم كهنة مصريين أو أمراء وملوك وجدوا في التاريخ بصفاتهم مصريين أو عراقيين أو سوريين وليست لهم صلة من قريب أو بعيد بالنبوة أو الرسالة الإلهية أو الوحي الرباني!

وإذا سألتني أخي القاريء عن الفارق بين من ينفي وجودهم من التاريخ وبين الذين يشتونهم لا أنبياء ولا مرسلين وإنما يشتونهم أعضاء في كهانة مصرية أو عراقية أو أعضاء في مملكة أو إمبراطورية يديرون دفتها، فإن إجابتي التي

(*) أحمد عثمان من مواليد القاهرة عام ١٩٣٤ وقد حصل على ليسانس حقوق من جامعة عين شمس ثم عمل صحفياً في مؤسسة أخبار اليوم حتى نهاية عام ١٩٦٤ كتب خلالها خمس مسرحيات قدمت إحداها «بيت القياس» على خشبة المسرح الحديث قبل هجرته إلى إنجلترا وإقامته في العاصمة لندن مع زوجته ابنة الموسيقار الراحل مدحت عاصم منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً. التحق بمدارس مسائية لجامعة لندن وشارك في أبحاث حرة في مكتبة المتحف البريطاني عن التاريخ المصري القديم كما درس علوم الكتاب المقدس وقام بتأليف ٤ كتب بالإنجليزية عن علاقة القصص القرآنية والكتاب المقدس في التاريخ المصري القديم نشرت له ٦ كتب بالعربية إتملنا على خمسة منها هنا والسادس هو قصة الحضارة الفرعونية.

(**) يقول أحمد عثمان «وبالرغم من أن بعض الباحثين الحديثين ينكرون أن يكون هؤلاء الأنبياء أشخاصاً تاريخيين حقيقيين، زاعمين أنهم مجرد شخصيات أسطورية إلا أن معاول الأثرين أخرجت لنا أخيراً العديد من الأدلة التي تؤكد تاريخية هؤلاء الأشخاص» الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية لأحمد عثمان ص ٣٣ فأثبت أحمد عثمان وجودهم باعتبارهم الأشخاص الذين لم يكونوا أنبياء قط والذين كانوا وثنيين على طول الخط!!

استخلصتها من هذا البحث هي أن النافي والمثبت سواء!

فمن أثبتهم كهنة وملوكاً وفراعنة قال بنفيهم أنبياء ورسلاً ورجالاً موحى إليهم من الله بحكمة وشريعة وعقيدة وعلم، ومن نفى كل وجود لهم فقد أثبتهم في الأساطير وأقر وجودهم في ميثولوجيات العهود القديمة!

والهدف النهائي هو نفى النبوة وطرد الوحي وتحطيم الرسالة وإلغاء الشريعة وقتل الإيمان وإرهاب المؤمنين وزلزلة الموحدين!

أحمد عثمان ويوسف عليه السلام ١٢

ادعى أحمد عثمان أن يوسف عليه السلام هو الوزير (يوسا) وزير الفرعون أمنحتب الثالث، وأنه لم يكن إسرائيلياً أو عبرانياً أو نبياً أو موحداً! وهو ما يؤدي إلى إنكار وجود يوسف عليه السلام في التاريخ كما ذهب إلى ذلك صاحب الكتاب المشهور «فجر التاريخ» (عالم المصريات: بريستد) كما إنه يتساوى مع إثبات وجود زائف لهم بإعتبارهم فراعنة وثنيين أو إباحيين أو أشخاصاً مقتبسين من قصص حقيقية لها أحداثها التاريخية ما يعني أن لهم وجوداً ما في «الرواية الأصل!» أو «الأصل المقتبس منه»!!

لقد أمضى الدكتور أحمد عثمان ما يزيد على الثلاثين عاماً - في الغربة في لندن - أمضاها في دراسة التاريخ المصري القديم ومحاولة ربطه أو خلق علاقة له بما جاء في القرآن وكتب يهود (أسفار العهد القديم)، ربطاً خيئاً مغرضاً! بيد أن النتيجة المستخلصة من هذه الدراسة الطويلة الأجل والمتخصصة كانت مدهشة للغاية وملية بالشغرات والفجوات، ومفعمة بالتلوين، والتلفيق، والتحوير، والتبديل، وقائمة على الخيال، وفقدان السيطرة على جموح النفس، وشطط العقل، وهيجان الخيال (العلماني!)

لقد قمت بدراسة أفكار أحمد عثمان فلم أجد دليلاً علمياً واحداً يرضى به إنسان عاقل يعرف قدر نفسه وحجم الاكتشافات الأثرية وخطر صنع النظريات التي لا أساس لها ، والتي هي كثيرة كغناء السيل وهشة كفقاعات الهواء!

إن عمل أحمد عثمان في قلب التاريخ رأساً على عقب وإعادة نسج رواياته وتضفير خيوطه بما يتناسق مع المنهج العلماني التاريخي القائم على تفسيراته اللاعقلانية وآلياته الأسطورية ، إن عمله هذا يدل على فشل المناهج العلمانية كلها في فهم التاريخ وفقه مبادئه ومعرفة شروطه وأنظمتها وسنتها! فمادامت المناهج أحادية وجزئية وعوراء فإن النتائج ستكون قاصرة وشائثة وعمياء! ، وبالتالي سيحدث خلل في صناعة الإنسان وصناعة المجتمعات!

إن الخطورة في الأعمال القائمة على هذه المنهجية الضعيفة إنما هو في استخلاص النتائج من شواهد غامضة ، ومواد غير مكتملة ، وأدلة لا صلة لها بتاتاً بموضوع ومادة البحث والأخطر هو طمئنة القاريء بأن البحث قائم على وثائق علمية وأدلة أركيولوجية ومصادر تاريخية . هذا هو الخداع الذي يتقنه كهنة العلمانية كما اتقته قديماً كهانات الوثنيات الطامحة!

إن عمل أحمد عثمان الخطير هو إلغاء الصور الحقيقية التاريخية للأنبياء بادعاءات فارغة وكلمات ليست أكثر من دخان في الهواء وزفير أسود من الهباب! يقول أحمد عثمان «وكان أول ما توصلت إليه من أدلة، تتعلق بيويا وزير أمنحتب الثالث ويوسف الصديق. فقد عثرت على العديد من الأدلة والقرائن التي تؤكد أن الشخص الذي نعرفه من المصادر التاريخية باسم يويا أحد وزراء أمنحتب الثالث، هو ذات الشخص الذي وردت قصته في القرآن والتوراة باسم يوسف^(*). لم يكن

(*) أما السيد أسامة عبدالحميد يحيى فقد إدعى أن يوسف عليه السلام لم يكن يويا وزير أمنحتب الثالث وإنما هو أمنحتب الوزير المهندس الذي صمم هرم دوسر المدرج في سقارة كما في مجلة أخبار الأدب عدد يوم ١٩ / ١٠ / ١٩٩٧ . انظر كتاب المغالطات للدكتور عبدالمعزم عبدالحليم سيد ص ١٢٥-١٢٨ .

يوسف الصديق يهودياً لأن الديانة اليهودية لم تظهر في بابل إلا بعد بضعة قرون من (عصر يوسف وموسى) ، كما أنه لم يكن إسرائيلياً^(١)

فلإثبات وجود يوسف في التاريخ ذهب أحمد عثمان يبحث عن أدلة تاريخية على أساس التحليل العلماني القاصر للتاريخ بما يعني نزع أي علاقة للأنبياء بالوحي الإلهي، ونسف أي تصور ديني مبني على أسبقية عقيدة التوحيد على وجود الإنسان على الأرض!

إن الدكتور أحمد عثمان يقطع صورة عما كشفته معاول الأثرين - كما يفعل العلمانيون الذين ذكرتهم في هذا الكتاب! محاولاً ربطها بالأنبياء ثم تدمير صورهم بها، فيثبتهم وجوداً مصرياً وثنياً، ساعياً بذلك إلى تخريب وجودهم الحقيقي، وذلك بجعلهم أشخاصاً تاريخيين مصريين ليس لهم أي صلة بالنبوة والوحي والتاريخ الحقيقي لهم، أسماؤهم مختلفة وأسماء آبائهم وأمهاتهم لذلك مختلفة وعقائدهم مختلفة ومواقعهم في التاريخ مختلفة!

فيوسف هو (الوزير يويا) الذي زوج ابنته للفرعون آمنحتب الثالث يقول أحمد عثمان «كانت مفاجأة لي أن أجد شبه انطباق تام(!) بين ما نعرفه عن يوسف الصديق من القرآن والتوراة، وما هو موجود في المصادر المصرية القديمة عن يويا»^(٢) وهو كذب سيأتي كشفه بالكشف عن حقيقة وسيرة آمنحتب الثالث!

أما ماذا يريد أحمد عثمان الوصول إليه بذلك الادعاء من التطابق التام بين يوسف عليه السلام والوزير يويا، فهو الشيء الخطير حقاً!! فاولاً يقول «أن يويا كانت له ابنة هامة في التاريخ، هي طاي التي تزوجها الملك آمنحتب الثالث وجعلها ملكته،

(١) الاصول المصرية في اليهودية والمسيحية ص ٣٤، ٣٣ كذلك وضع هذه الأفكار في كتابه الصادر عام ١٩٨٩

بعتوان «غريب في وادي الملوك - مومياة يوسف الصديق في المتحف المصري»!

(٢) المرجع السابق ص ٣٩.

والتي ألحبت له ابنه اخناتون الشهير. ورغم أن التوراة لا تذكر صراحة أن يوسف كانت له ابنة، فهي تحتوي العديد من الدلالات التي تؤكد وجود هذه الابنة^(١)!!! هذه الابنة طاي، صارت ملكة «طاي ابنة يويا التي صارت ملكة على مصر، عندما نعلم من القصة التوراتية أن يوسف كان يلجأ إلى الملكة يحاول التأثير على زوجها لتحقيق رغبة خاصة له»^(٢)!!!

وعلى ذلك يكون إخناتون حفيد يوسف مباشرة باعتبار يوسف هو يويا الوزير!! أما الفرية الخطيرة - والخطر على الإطلاق! - لأحمد عثمان فهي أنه ادعى أن موسى هو إخناتون! أي أن موسى هو حفيد يوسف مباشرة! أو بالأصح الوزير يويا! وعلى إمتداد صفحات (الفصل الرابع) من كتابه الأصول المصرية (!) لليهودية والمسيحية، وهو بعنوان (موسى النبي والملك إخناتون) حاول أحمد عثمان الوصول إلى تطابق بين موسى وإخناتون!!!^(٣) وهو ما يعني أن (يوسف/يويا) جدّ (موسى/إخناتون) بإنجاب (طاي/تي) (ابنة) يويا/يوسف له وذلك بزواجها من الفرعون آمنحتب الثالث!

وهو ما يجعل عصر يوسف عليه السلام هو نفس عصر موسى عليه السلام وهذا في نفسه دليل قوي على سخافة وتهافت نظرية أحمد عثمان التي توصل إليها في إحدى ليالي شتاء لندن الباردة عام ١٩٨٤ وهو يقرأ أسفار العهد القديم لليهود كما ذكر هو^(٤) ذلك أن عصر يوسف عليه السلام سابق على عصر موسى النبي بقرون عديدة كما يعرف ذلك كل الناس!

(١) المرجع السابق ص ٤١. (٢) المرجع السابق ص ٤١.

(٣) كذلك فقد ألف أحمد عثمان كتاباً بالإنجليزية، ترجمته «موسى فرعون مصر، حل غموض شخصية إخناتون» "Moses Pharaoh of Egypt, The Mystery of Akhenaten resolved"

وقال فيه بنفس الفرية، أن موسى هو إخناتون.

(٤) انظر المرجع السابق ص ٣٦-٣٨.

لكن أحمد عثمان يتوصل إلى غير ذلك ببراعة يحسد عليها! يقول «وادی التوصل إلى تحديد عصر يوسف الصديق في مصر بفترة حكم آمنحتب الثالث - الذي حكم مصر حوالي ٣٨ عاماً من ١٤٠٥ قبل الميلاد إلى أن أصبح الطريق مفتوحاً أمامنا لتحديد عصر موسى ﷺ، بل والتعرف كذلك على الشخصية التاريخية لنبي التوحيد في مصر»^(١). فهل كان الشخص الذي نعرفه من كتب التاريخ بإسم إخناتون، هو ذات الشخص الذي عرفناه بإسم موسى من الكتب الدينية، فكلاهما عاش في نفس الزمان والمكان؟!^(٢)

ومع أن أحمد عثمان اختلف في نظريته عن كثير من الباحثين العلمانيين الآخرين إلا أنه يشترك معهم في الادعاء بأن نظريته تقوم على الاعتماد على التاريخ الحديث والمعلومات الدقيقة!

يقول «... فبدأ الباحثون يُعملون الفكر (!) في محاولة لإعادة تقييم الروايات القديمة... واستطاع علم التاريخ الحديث أن يعطينا معلومات دقيقة عن أحداث العالم القديم، من المصادر المصرية والبابلية والسورية والكنعانية واليونانية»^(٣) وكلام أحمد عثمان هنا يحتاج إلى تدقيق شديد، فهو يحتال على قارئه بادعاء دقة نظريته وذلك بالإيهاء بأنها معتمدة على المعلومات الدقيقة والاكتشافات الأثرية. ولو نظرنا إلى هذه الاكتشافات لوجدناها تظهر معلومات عن ملوك وفراعنة، ودول وإمبراطوريات، وهذا في حد ذاته لا غبار عليه فهي نتاج عمليات حفريات وتنقيات أثرية لكن ذلك لا يقول أبداً بأن موسى هو إخناتون أو أن يوسف هو يوبا أو أن فرعون هو جد موسى أو أن حتشبسوت أو (تي) أو (طاي) هي أم موسى^(٤) أو أن موسى هو إله وإنسان معاً أو أنه أخو الإله الشرير في الأسطورة المصرية،

(*) يقصد إخناتون الذي قال بأنه هو موسى وفي كتاباته الأخرى كما سيأتي يجعل أحمد عثمان هذا التوحيد

إفرازاً وتطوراً تاريخياً وليس عقيدة كونية وروحياً رباتياً ورسالة إلهية للبشر.

(٢) تاريخ اليهود ص ٤١.

(١) المرجع السابق ص ٥٥.

الإله سيت! فكل هذه خيالات وخرافات وأساطير الباحثين العلمانيين الذي يُخدّمون الاكتشافات لنظرياتهم ويحاولون تخريب التاريخ البشري وإضاعة الحقائق بتلفيقاتهم وإتهاماتهم المتطرفة حقاً!

يقول أحمد عثمان «فنصوص العهد القديم التوراتية مبنية على انتحال وقائع التاريخ المصري القديم، ليس هذا فحسب، بل إن عقائد التوحيد اليهودية وخلود الروح المسيحية، ظهرت في مصر القديمة. كما أن كثيراً من الشخصيات الرئيسية التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة، لم تكن كنعانية الاصل كما ساد الاعتقاد، بل كانت في الواقع تمثل أشخاصاً مصرية معروفة من مصادر التاريخ ... قصص القرآن تأتي من ذات المصدر الذي جاءت منه الكتب الدينية السابقة»^(١)!!

ففي هذا النص ينسف التاريخ الحقيقي للأنبياء بإرجاع قصصهم إلى التراث المصري القديم كما يرجع عقيدة التوحيد لنفس هذا التراث كما أنه يتهم القرآن بأنه أتى من المصدر الذي جاءت منه الكتب الدينية السابقة التي انتحلت وقائع التاريخ المصري القديم!! (كما فعل القمني وغيره)

يقول ذلك بناءً على نظريته السخيفة في يوسف وموسى عليهما السلام والتي لم يأتي بدليل واحد منطقي ومادي لجعلها أقل ترنحاً وأكثر ثباتاً!!

تلويث صورة يوسف وموسى عليهما السلام

وبجعل أحمد عثمان من الملكة طاي ابنة ليوسف عليه السلام وأماً لموسى يكون إنتهى

(*) بل لقد ذهب الدكتور مراد محمد الدش أستاذ مساعد الهندسة الإنشائية بجامعة عين شمس إلى القول بأنه نشأ تنافس بين موسى والملك تحتمس الثاني على الزواج من حتشبوت ففاز بها تحتمس فقتله موسى ثم هرب إلى سيناء، ومعلوم أن هذا كذب وخيال سخيف فلا موسى هرب لهذا البب المزعوم ولا كان تحتمس هذا هو الفرعون الذي عاش موسى في زمنه. انظر عرض الأستاذ عبدالحسن سلامة المحرر بجريدة الاهرام لخرافات الدكتور الدش في عدد الاهرام ١٣/١١/١٩٩٧ في الصحيفة الخاصة بالتحقيقات وانظر الرد عليها في المغالطات ... ص ١٣٠.

(١) الاصول المصرية في اليهودية والمسيحية ص ٢٥

إلى ما انتهى إليه سيد القمني من الإفك والزور وفواحش الكلام والغمز المبطن والإيحاء البعيد، فالملكة (تي) أو (طاي) زوجة آمنحتب الثالث والتي جعلها القمني أما لإخناتون/ موسى/ أوديب، كانت تتجلى عبادتها في تأليه الإله السيناوي الذي يقول عنه سيد القمني «لعلنا نذكر كيف كانت أهم تجليات الإله السيناوي هي التجلي الخصبي ممثلاً في قضيب الذكر/ المشروم/ البركان، وأن البركان عندما يقذف بمصهوراته مع هيئته المرتفعة كالقضيب العظيم ومقذفه القوي، وما يؤدي إليه من خصوبة عالية في الأرض أدى إلى تصويره قضيباً إلهياً عظيماً»^(١)

وفي عيد (حب سد) قام إخناتون - بحسب القمني! - في العام الثاني عشر من حكمه في تل العمارنة بإعلان الطقوس الآتونية الإباحية وزوج أمه الملكة (تي) يقول القمني «وهو ما تنطق به لنا لوحة الحائط الشرقي بمقبرة يويا التي يأخذ فيها إخناتون بيد أمه تي يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها. مع تدوين شارح يقول: «يقود الملكة العظمى والام الملكية تي لترى ظلها في الشمس» وفي اللوحة يرتدي إخناتون ثوباً شفافاً يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما تي فتكاد تكون عارية تماماً. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة في زواج صريح معلن دائم وليس فقط في حفل سري بالمعبد»^(٢)!! هذا هو إخناتون الذي يفتخر به المستشار محمد سعيد العشماوي يقول القمني «ومن هنا نفهم السر في ذلك العري العجيب في فنون العمارنة، ولماذا كانت نفرتيتي وتي وبناتها يظهرن عرايا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحاً عن طقس لا بد يلزم العبادة الجنسية التي تقُدس أعضاء التناسل ولا ترى في إظهارها عيباً ولا كارثة أخلاقية، بل لونا من الإحترام الواجب واللائع للمقدس»^(٣)

فهل هذه هي ابنة يوسف وأم موسى يا أحمد عثمان؟

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ج٣ ص ٨٤٥.

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ٨٤٦.

(٣) المرجع السابق ج٣ ص ٨٥٦، ٨٥٧.

فإن كان يمكننا أن نتعamy عن قوله بعدم وجود فارق زمني بين عصر يوسف وعصر موسى عليهما السلام، فهل يمكننا أن نتغاضى عن هذه الفواحش التي يرتكبها العلمانيون العرب علنا وفي كتب محترمة تباع في المكتبات العامة في العواصم الكبرى للدول العربية والإسلامية ولها إحترامها الخاص في كثير من الجامعات العربية التي تعتبر هذه السخافات هدايا. في عالم الفكر والإبداع والبحث والفحص العملي!!!

البرهان القاصر في نظرية أحمد عثمان،

إن الشيء الرئيسي الذي جعل أحمد عثمان يربط بين الوزير (يوبا) العاهر وبين يوسف الصديق النبي «أن كلا منهما - يقول عثمان - حصل على لقب كان نادراً في مصر القديمة، هو «أبا لفرعون» ففي إحدى ليالي شتاء لندن الباردة عام ١٩٨٤، إستيقظت من نومي وسط ظلام الليل (!)، فجلست بجانب المدفأة أتناول فنجاناً من الشاي في صمت حتى لا أوقظ ابنتي وزوجتي. ورحت أطلع سفر التكوين من العهد القديم، الذي سبق لي قراءته عدة مرات. وبينما كانت عيناى تتقلان بين الصفحات، استوقفتني فجأة بعض الكلمات في قصة يوسف، فقد أدركت عندئذ - للمرة الأولى - أهمية دلالتها التاريخية ... «أنا يوسف ... وقد جعلني أبا لفرعون» الإصحاح ٤٥ (٤-٩) ... وكان لقب الوزير في مصر القديمة دائماً هو «ابن الفرعون»^(١)

فوجد أحمد عثمان قول يوسف في العهد القديم «أبا لفرعون» دليلاً تاريخياً فأسرع بربطه بلقب يوبا الوزير «لقب نادر لم يحصل عليه خلال هذه الفترة التاريخية سوى شخص واحد هو يوبا، الذي أصبح أحد وزراء آمنحبت الثالث

(١) الأصول المصرية في اليهودية ص ٣٦، ٣٧.

عند بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد^(١)

هل هذا هو كل ما في جعبة أحمد عثمان؟ (بقية الأدلة أخذها من فرويد وغيره!) فمن أجل لقب وَجَدَه في كتاب لم يتعبدنا الله به يربط بين صديق رسول ووزير عاهر؟! ويزعم أن التوأمة انتحلت وقائع التاريخ المصري وهو ما يعني أن الأصل هو يويا وليس النبي يوسف عليه السلام فهو إنتحال توراني بزعمه! بل وقرآني كما تقدم من كلامه!

وأحمد عثمان لا يختلف في أدلته الدقيقة وبراهينه المتينة وخياله الخصب عن بعض العلماء الذين زعموا أن على المريخ مدناً كبيرة!!! وأن علامات الخطوط عليه إنما هي تقسيمات تمت على يد جنس مريخي وذلك بمجرد رؤيتهم لخطوط وعلامات مريخية تشبه تقسيمات المدن الأرضية!!! هذا إذا افترضنا حسن نيته!، أما والرجل ضليع في الإفساد التاريخي كالقمي والعشماوي وزباد منى وغيرهم فلا افتراض لذلك فنظرياتهم التخريبية تمنعنا من ذلك، وقد أسسوها على مبادئ لا تمت للإسلام بصلة بل تقلب معاله رأساً على عقب.

مطابقات عثمانية متعسفة!!

أخذ أحمد عثمان من فرويد مصرية موسى والزعم بـ «تعمد كتابة القصة التوراتية إخفاء الأصل المصري للبطل الذي كانوا يعتقدون فيه، وجعله عبرانياً»^(٢) وأخذ من «مانيتون» الباحث المصري القديم الذي كان مسئولاً عن تنظيم مكتبة

(١) المرجع السابق ص ٣٧ يقول «والسبب في حصول يويا على هذا اللقب النادر هو أنه أصبح حماً للملك، عندما تزوج آمنحتب الثالث ابته طاي، فصار بمثابة الأب للملك» ص ٣٧.

(٢) الأصول المصرية ... ص ٥٦، ٥٧ ويقول «لم يكن النمساوي سيجموند فرويد الذي عاش في النصف الأول من القرن العشرين هو أول من قال بأن موسى كان مصرياً. فقد ذكر مانيتون المؤرخ المصري الذي كتب تاريخ الأسرات باللغة اليونانية بناء على طلب بطليموس الثاني خلال القرن الثالث ق.م مؤكداً هذه الحقيقة بل إن مانيتون يجعل غالبية أتباع موسى كذلك من المصريين» ص ٥٦، ٥٧ نفس المرجع. والمدعى أن الفترة التي حددها مانيتون لوجود موسى (وقد أعطاه أيضاً اسماً آخر)، سابقة على الفترة التي أعطاه له أحمد عثمان نفسه بزمان طويل.

* الإسكندرية في التاريخ المصري القديم، تحديد الفترة التي عاش بها موسى بذات الفترة التي عاش فيها إخناتون ووالده آمنحتب الثالث^(١)

فعثمان / كالقمني والعشماوي / يلفق نظريته من أفكار الآخرين وليس بإقامة بحث علمي صحيح ومُجرّد أو ببحوث بعيدة عن الأيديولوجيا الحاكمة والأهواء المفرضة والعنصرية البغيضة. إنها كشوفات الآخرين المصنوعة في معامل الاحقاد التاريخية ، والتزعزعات المادية والأجواء العلمانية!

إن د. سيد القمني الذي اقتبس من باحثين كثيرين دعائم نظريته الهشة، يرسم لنا هنا نقاط الاتفاق والاختلاف بين نظريته ونظرية أحمد عثمان مع ذكر المصدر لاقتباساته هو وعثمان يقول «هناك كشف آخر ينطلق من ذات فكرة فرويد نجده عند أحمد عثمان وهو أن موسى كان بالجنس والميلاد مصرياً، لكن لا يربط بين أوديب وإخناتون»^(*) ، لكن بين موسى وإخناتون. ويوعز لنا عن بعد أن موسى كان هو ذات شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه. وحتى يوصل ذلك للقاريء دون مؤاخذات من رجال الدين(!) المتشددين يعمد إلى التلميح لا إلى التصريح، فهو مثلاً يُسرّب لنا أخباراً تاريخية عن النبي موسى تلتقي مع ما حدث للفرعون إخناتون^(٢)!!

وبشجاعة الباحث المفتخر بنتائج عمله يقول سيد القمني وهو يقوم بدراسة منطلقات وتوجسات أحمد عثمان «الرجل الشديد الحصافة يترك لقاريء أريب الوصول إلى ما يريد أن يقول، ربما خوف التحريمات الدينية في بلادنا بهذا الشأن. ومن جانبنا كنا قد وصلنا إلى أن موسى ربما كان إخناتون نفسه قبل سنوات طويلة من الآن، منذ بدأنا جمع المادة العلمية(!) لبحثنا. وقد أعلننا عن هذا الظن في أكثر من متدى ثقافي(!)، لكن ذلك لا يعني سوى أن عثمان قد وضع يده على الظن

(١) المرجع السابق . (*) كما فعل القمني .

(٢) النبي موسى وآخر ... ج ٣ ص ٢٨٦ .

ذاته (!) وأقام له (!) السناريو اللازم والنظرية، وأنه سبق إلى إعلان المنشور في كتاب (!) هنا فقط نقطة اللقاء (!)، لكن نقطة البداية للوصول إلى هذه الفكرة المركزية تختلف تماماً^(١)

إذن سبق عثمان القمني في وضع النظرية في كتاب، وسبق القمني عثمان في إعلانها في المنتديات الثقافية المحترمة!

وبينما أحمد عثمان يلجأ إلى التلميح لا التصريح فإن القمني غالباً ما يلجأ إلى التصريح وقليلاً إلى التلميح.

ويلتقي الرجلان في الأخذ من مصادر غير موثوق بها وإعتمادها مراجع لهما كما يحرصان على الوصول إلى إثبات المطابقة بين موسى وإخناثون وتختلف قصتهما لكنهما تؤديان إلى هدف واحد وهو مخاصمة الوحي وهدم الدين ونفي موسى والأنبياء وإرجاع ذلك كله إلى تطورات اجتماعية وسياسية ودينية في مناطق التاريخ القديم.

بيد أن أحمد عثمان يختلف عن القمني في طريقة الحصول على المطابقة المزعومة بين موسى وإخناثون. وقد قدمت طريقة القمني في الوصول إلى غايته فيما تقدم في الفصل الذي وضعته لنظريته الملفقة والمهلهلة.

وهنا أعرض سبيل عثمان في الحصول على مطابقة مزورة لا ترقى إلى المستوى العلمي الرصين فضلاً عن المستويات العقلية المنطقية المجردة! فنحن نعلم أن أم موسى وبوحي من الله ألقت طفلها في اليم حرصاً على نجاته وثقة في الله كما نعلم سبب خروج موسى من مصر وهو قتله للمصري وقد تأسف موسى على فعل ذلك وتاب إلى الله عز وجل قبل نبوته وقبل بعثته. أما أحمد عثمان فقد سعى لإيجاد التطابق بين هذا السرد التاريخي وبين رواية بعيدة كل البعد عن هذا

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٢٨.

السياق الذي ورد في القرآن والتوراة، ففي قصة إخناتون يجد الباحث أنه قبل ولادة إخناتون قتل كهنة آمون أخاً له ما جعل أمه (تي) تتوجس من قتل الولد الثاني وهو إخناتون الذي كان على وشك الظهور إلى الحياة والذي يرفض - الكهنة فيما بعد جعله ولياً للعرش لسبب مخالفة أبيه آمنحتب الثالث للتقاليد السائدة في مصر، والتي بخبرنا أحمد عثمان عنها بقوله «كان الأمراء المصريون يتزوجون أخواتهم حتى لا يخرج الملك عنهم» (١). ولأن آمنحتب الثالث لم يلتزم بهذه التقاليد عندما أصر على إعتبار طاي هي الملكة، فقد رفض الكهنة والحكماء اعتبار الولد الذي تنجبه له ابناً شرعياً لآمون. وبالفعل أنجبت طاي ابنها الأول تحتمس والذي عثر على اسمه منقوشاً في مقبرة توت عنخ آمون - فإنه سرعان ما اختفى هذا الصبي في ظروف غامضة بعد أن عينه أبوه ولياً للعهد (٢)، ولهذا كان من الطبيعي أن تصاب الملكة طاي بالقلق عندما حل موعد ولادتها الثانية (٣)

فكانت الولادة الثانية بإخناتون فحتمه أمه بعزله في قصرها الجديد البعيد عن كهنة آمون «تركت القصر الملكي في منف «عند منطقة سقارة» وذهبت لتعيش في القصر الصيفي في زارو . . . وخافت الملكة طاي على ابنها الثاني - الذي سمته آمنحتب مثل والده (٤) أن يقتله الكهنة مثلما فعلوا بابنها الأول، فلم تسمح له طوال طفولته أن يغادر قصرها الذي وضعت فيه داخل أوار مدينة زارو في شمال سيناء ثم أرسلته ليتم تعليمه عند أخيها الأكبر «أنن» الذي كان يقيم في مدينة عين شمس، بخلاف التقاليد التي كانت تقضي بأن يتم تعليم الأمير في مدرسة منف مع أولاده النبلاء» (٥)

فالطفل هنا مهددة حياته من قبل الكهنة لأنه ليس (المولود حسب التقاليد)

ولذلك تركت الأم القصر الملكي في منف وذهبت بعيداً عن كهنة آمون

(١) الأصول المصرية لأحمد عثمان ص ٥٨، ٥٩.

(٢) تاريخ اليهود ج ١ ص ٥٦.

(٣) أن عينه عند صفوه قبل البلوغ.

(٤) إخناتون هو آمنحتب الرابع.

وتهديداتهم فحبس الطفل إخناتون داخل القصر ولم يغادره إلا إلى خاله في عين شمس^(١) ليتعلم وليبتعد عن الكهنة رمناً. . ثم رجع وعمره ستة عشر عاماً فأشركه أبوه في الحكم «وثارث نائرة الكهنة المصريين ولم يتمكنوا من إخفاء مشاعرهم... وتحت ضغط أبويه ترك الملك الشاب العاصمة واختار موقعاً بمحافظة المنيا قبالة مدينة ملوي - يعرف الآن باسم تل العمارنة - وبنى فيه مدينة جديدة ليعيش بها هو وأتباعه بعد أن غير إسمه إلى إخناتون. ومادام آمنحتب الثالث على قيد الحياة كانت سلطة إخناتون مقتصرة على حدود تل العمارنة. ولكن عند موت أبيه - في السنة الثانية عشرة من الحكم المشترك وجد إخناتون نفسه الحاكم الاوحد لكل أرض مصر^(٢) بعد سنوات طويلة استطاع كهنة آمون تدبير المؤامرة من داخل الجيش للإطاحة بإخناتون ونظامه ما أدى إلى خروجه «من مدينة العمارنة ليعيش في المنفى، بينما يوجد العديد من الأدلة التي تشير إلى أنه كان لا يزال حياً بعد نهاية حكمه فهو لم يدفن في المقبرة التي أعدها لنفسه وسط الصخور المحيطة بمدينة العمارنة^(٣) وهكذا فبعد رجوعه من عين شمس حيث يعيش خاله (آنن) في السادسة عشر من عمره اشترك في الحكم مع أبيه وبعد ضغط أبويه ترك العاصمة إلى أخرى عاش فيها هو وأتباعه وبعد موت أبيه ثم الضغط عليه بعد حكمه لمصر فترة طويلة فخرج إلى المنفى الأخير - بحسب عثمان - على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من دير سانت كاترين وجبل موسى^(٤) فالبون شاسع بين القصتين، كما أن سياق الأحداث التاريخية تختلف تماماً في الروايتين والأهداف التي عاشت من أجلها الشخصيتان، والبيوتات اختلفت وكذا الأمهات والخروج . فموسى خرج مره لسبب قتله للمصري وإخناتون خرج أكثر من مرة خرج من قصر منف وأمه حامل فيه ثم خرج من قصر أمه البعيد عن سطوة كهنة

(١) انظر الأصول المصرية ص ٩١. (٢) تاريخ اليهود ج ١ ص ٥٨.

(٣) تاريخ اليهود ج ١ ص ٦٠ لم يذهب عثمان هنا إلى قتله كما ذهب كثيرنا.

(٤) انظر الأصول المصرية ص ٥٦.

آمون إلى منطقة عين شمس عند خاله بحسب أحمد عثمان ثم خرج بعد اشتراكه في الحكم مع أبيه سنوات طويلة إلى مدينة اتخذها مقراً له ولأتباعه ثم بعد موت أبيه واتساع سلطته على مصر كلها وهدمه لمعابد كهنة آمون انقلب عليه الجيش فخرج مرة أخرى إلى منفاه الأخير!

فأي مطابقة يزعمون، وأي تماثل بين الشخصيتين؟؟!

لقد اعتمد أغلب هؤلاء العلمانيين على فكرة فرويد، الذي عجز عن إثبات التطابق المزعوم. وهي الفكرة التي ذهبت عند عجزها عن الإتيان بدليل المطابقة إلى رمي التوراة بأنها عملت على إخفاء الأصل ووضع القصة البديلة!!! ولقد نظر فرويد في عائلة موسى ﷺ وعائلة إخناتون فوجد الأولى فقيرة والثانية ملكية غنية فما كان منه إلا أن اتهم التوراة في ذلك بتغيير الأصول وقلع الجذور!! وهو أسهل شيء يستطيعه فاقده الدليل: الاتهام الجاهل القائم على الهوى والايديولوجيا المتربصة!

يقول أحمد عثمان شارحاً فكرة فرويد عن هذه النقطة «فيينا الطفل في جميع تلك الحالات يولد لعائلة ملكية ويهرب من القصر الملكي لتقوم عائلة فقيرة بتربيته، فإنه في حالة موسى يتم تهريبه من بيت العبرانيين الفقراء الذي ولد فيه ليتربى في القصر الملكي. وفسر فرويد هذا الاختلاف بأنه دلالة على تعمد كتمة القصة التوراتية إخفاء الأصل المصري للبطل الذي كانوا يعتقدون فيه، وجعله عبرانياً»^(١)!

إن البحث العلمي الرصين هو إثبات الأدلة الصحيحة بقياس صحيح تدل عليه القرائن القوية. أما فرويد فقد بنى كل شيء على خياله المريض وعقله الوثني الذي ورث وثنيته من الإرث الوثني الإغريقي واليوناني - بل واليهودي ! - والتي اتخذته

(١) الأصول المصرية لأحمد عثمان ص ٥٦.

أوروبا بديلاً عن الإسلام في تطوير رؤية جديدة للعالم، بل رؤى متناقضة جزئية وقاصرة للكون والحياة والإنسان، لقد وضع فرويد لنفسه رؤية خاصة للتاريخ الإنساني ولتصوره للدين والغيب والأنبياء فكان تاريخ الإنسان عنده هو نتاج عقدة قديمة بدأت بعصر الأب المسيطر على كل شيء والذي هو قانون نفسه، وليفوز أبناؤه بأهمهم قتلوه ثم بعد مضي الوقت تم تقديس الأب ومن هنا نشأت القداسة والدين والشرائع والأخلاق الكابتة لدوافع الإنسان الحرة!!، وكان المرض العصابي المتمثل برجال ادعوا أنهم موحى لهم من الله، وتم اقتباس القصص لعقد أمة ومنها قصة موسى التي اقتبست - بزعمه - من أصل مصري! وكما ترى فهي فكرة مسبقة من محلل نفسي، اضطرب عقله واختل منهجه فخرج على العالم برؤية حيوانية شهوانية تحقر الدين وتطلق الشهوات والإتهامات الغير مبررة وهي رؤية كانت مرتعاً خصباً للباحثين العلمانيين العرب الذي قد ادوا وسائل النقد الحقيقي وذهبوا بغتفون من روث وخراء فرويد اليهودي!

ولا اكتمال الرؤية نقول إننا نحن المسلمين لا نؤمن بالأسفار المقدسة التي لليهود والنصارى ولا بالتلمود. لكننا عندما نقوم بتحليل موادها - كما فعلنا على امتداد خمسة عشر قرناً (فتتج عن ذلك آلاف الكتب والرسائل الجيدة) - لا نُسرف في النقد ولا نلوي رواياتها أو نطمس موادها كما فعل هؤلاء الباحثون العلمانيون ونعدّل مع كل شيء. ولنضرب على ذلك مثلاً مهماً. فالتلمود يحكي أن موسى تصارع مع ملك الموت في الجبل. فهناك موسى وهناك ملك الموت وهنا الجبل المعين فهل يمكن أن ينتج عن ذلك أن أتباع موسى قتلوه أو أن يوشع تلميذه قتله قتلة بشعة؟! أي تحليل يؤدي إلى هذا الاتهام؟ ليس من واحد!! ليس هناك أي دليل يدعونا إلى الذهاب هذا المذهب الطائش! لكن باحث التوراة الألماني «أرنست سيلين» استفاد من رواية التلمود هذه أن موسى مات مقتولاً... هنا بدأ الخلل الذي أضافه فرويد لمخططة! يقول فرويد «وطبقاً لأرنست سيلين كانت توجد مع ذلك

رواية تتعلق بنهاية موسى وتعارض معارضة تامة الرواية الرسمية وكانت أقرب إلى الحقيقة»^(١)!

ويعتبر فرويد ذلك بحثاً تاريخياً نزيهاً يقول «ومن الظلام الذي تركه نص التوراة هنا أو الذي خلقه بالأحرى بوسع البحث التاريخي لعصرنا أن يميز واقعته»^(٢) .
الأولى اكتشافها أرنت سيلين ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة أنفسهم بأنهم كانوا عنيدين^(٣) لا يطيعون مشرعهم وزعيمهم ، وتمردوا عليه آخر الأمر ، قتلوه وطرحوا عنهم ديانة آتون التي فرضها عليهم كما فعل المصريون من قبلهم»^(٤) أحمد عثمان قال بأن موسى مات في أثناء معارك^(٥) ولم يقل لنا هل مات مقتولاً أم لا؟ لكنه عرض نتائج سيلين وفرويد وعقب عليها . يقول عثمان :
«ويحتوي التلمود على رواية تختلف عن ذلك - يقصد عن رواية التوراة - بخصوص الطريقة التي مات بها موسى . فهي تقول إن موسى تصارع مع خصمه فوق الجبل قبل أن يموت . وهي تسمى هذا الخصم «ملاك الموت» وهذا هو الذي جعل باحث التوراة الألماني أرنت سيلين يقول «إن موسى مات مقتولاً»^(٦)

ويقول أيضاً مزوداً لنا بأشياء أخرى ! «ظهرت فكرة مقتل شخصية قيادية من بني إسرائيل أثناء وجود موسى في سيناء في ألمانيا في الجزء الأول من القرن العشرين . فلقد أدرك عالم الدراسات التوراتية أرنت سيلين وجود دلائل في سفر العدد تشير إلى أن فينيحاس الكاهن قتل أحد زعماء بني إسرائيل وقتل معه زوجته ، لأنه تزوج من أجنبية حسب الرواية التوراتية بينما هو داخل قدس الأقداس بمعبد الخيمة ، الذي بناه موسى عند جبل سيناء ، في نفس الموقع الذي بني

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص ٩٠ .

(٢) هل لأن التوراة وصفتهم بذلك نقول بأنهم قتلوا موسى وليس من دليل ! .

(٣) النبي موسى ورسالة التوحيد ص ٨٢ .

(٤) تاريخ اليهود ج ١ ص ٩٠ ، ٩١ .

(٥) تاريخ اليهود ج ١ ص ٩٤ .

عليه دير سانت كاترين فيما بعد. واعتمد سيجموند فرويد على هذا التفسير فقال بأن بني اسرائيل قتلوا نبيهم، لأنه كان صارماً في محاولته فرض ديانته التوحيد عليهم. ولأنني اختلفت مع فرويد، وذهبت في كتابي «بيت المسيح» الذي صدر في لندن بالانجليزية عام ١٩٩٣، إلى أن الضحية الذي قُتل كان هو يوشع بن نون الذي عينه موسى ليكون خليفته!!^(١)

على عكس عثمان ذهب القمني إلى مقتل إخناتون/ فرويد/ أوديب وفيما يذهب عثمان إلى أن موسى مات أثناء معارك - مع أنه لم يقل لنا هل مات مقتولاً في أثناء هذه المعارك أم لا! - يذهب العشماوي إلى أن موسى لم يميت على يد يشوع أو فينيحاس الكاهن، وإنما انسحب في هدوء واختفى دون أن يلحظ أحد اختفائه.. وعاد إلى مصر وحده، أو مع كوكبة من جنده... انضم إلى قومه، وعاد إلى مصر دون أن يرى أحد موته أو رحيله، رجع واستقبل موسى كبطل قومي نجح مع جده الفرعون في التخلص من بني إسرائيل بإخراجهم من مصر!!!

وهكذا يختلفون في ولادته وفي موته وفي أمه وفي دينه وفي خروجه وفي أصل قصته وفي مصدر إقتباسها المزعوم!

ثم يزعمون أن معلوماتهم دقيقة تفوق في بعض الأحيان، ما نعرفه عن العصور الحديثة!!!

يؤكد ذلك أحمد عثمان لدعم خرافاته بأنه «منذ أن أصبح علم التاريخ الحديث يعتمد على الوسائل العلمية والتكنولوجية للتحقق من صحة الروايات القديمة. بدأت صورة جديدة تظهر أمامنا لتاريخ بني إسرائيل... فأرض فلسطين مثلها في ذلك مثل معظم الأرض العربية، خضعت منذ نهاية القرن الماضي لمعاول رجال الآثار الذين جاءوا من كل جامعات العالم للحفر في أرضنا واستخراج بقايا

(١) الاصول المصرية... لأحمد عثمان ص ٩٩.

العصور القديمة. ويمكن هؤلاء من التوصل إلى معلومات دقيقة عن التاريخ القديم
لمنطقتنا تفوق في بعض الأحيان ، ما نعرفه عن العصور الحديثة»^(١)

ونقول مرة أخرى بأننا كمسلمين: ومنهجنا سبر أغوار الأرض وكشف مجاهيل
الحضارات القديمة. هو دفع التنقيبات الأثرية إلى الأمام ذلك أن دراسة التاريخ
ومعالم المدن البائدة هام لبناء إنسانية كريمة وخلافة بشرية رشيدة، فالماضي هام
لصناعة المستقبل! لكن الذي يزعجنا من كثير من الباحثين الذين اتخذوا العلمانية
أيديولوجيا والمنهج المادي قاعدة ينطلقون منها لرؤية العالم وتحليل التاريخ هو أنهم
يعزلون حقائق ضخمة لا تناسب منهجهم في التفكير الجاهز والاحادي والعاجز
ويطمسون أدلة قوية لتفريغ التاريخ من محتواه الحقيقي ونظرية العشماوي أكبر دليل
على ذلك، وقد قدمناها! وكذلك النظريات الأخرى التي تنسف معالم التاريخ
بأساطير العقل الوثني الغربي وتقليده تقليداً أعمى كتقليد القروود للقرود والحمار
الزاعق للحمار الناق. ولقد حاول علماء غربيون كثيرون تأييد النظرية الداروينية
عن حيوانية الإنسان ونسبته إلى أجداد من عالم القروود من فصيلة «الأورانج»!!

فماذا فعلوا ؟!

لقد استخدموا اكتشافات وآثاراً قديمة وحديثة (اعتبروها قديمة) وصنعوا منها ما
سموه «إنسان بلنداون» وهو عبارة عن تركيب اصطناعي بين جمجمة إنسان وفك
قرد الأورانج. فهو جمع بين مفترقات كانت نتيجتها أن قالوا «علينا أن نُقر أن هذه
الجمجمة هي أقرب الجماجم الإنسانية لجماجم القروود المكتشفة حتى الآن»^(٢) وقال
العالم الإنجليزي المعروف كرافتون البيوت سميث (١٨٧١-١٩٣٧) «إن أهم نقطة في
إكتشاف «رجل بلنداون» هو إثباته للرأي القائل أن الدماغ هو الجزء الذي تطور أولاً
في الإنسان عند مراحل تكامله، وأن الإنسان تجاوز مرحلة القردية بفضل تطور

(١) تاريخ اليهود ج١ ص٩

(٢) من قول «كرافتون البيوت سميث» العالم الإنجليزي المعروف.

وتكامل دماغه، فبالرغم من احتفاظ هذا الانسان بخشونة فك وملامح وطبعا جسم
أجداده القردود، بدرجة كبيرة، فإن دماغه وصل إلى مستوى الإنسان، وبعبارة أخرى،
فإن الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» نما دماغه بشكل كبير. وهكذا فإن أهمية
جمجمة «بلنداون» هي في إثباتها لهذه الحقيقة إثباتاً لا يأتيه الشك»^(١)

فاعتبروا قردية الإنسان المزعومة وحيوانيته المتطورة المتوهمة! - عن فصيلة
الأورانج القردية ، حقيقة ثابتة لا يتطرق إليها الشك!

وهكذا استطاعت الجمجمة المُلَفَّقة أن تخدع ولمدة أربعين سنة أشهر العلماء
المدافعين عن نظرية التطور إلى أن قام «كنث اوكلي» و «سرولفود لي كروس
كلارك» من جامعة اكسفورد قسم التشريح مع «ج. س. ويتز» سنة ١٩٥٣ بإجراء
تجارب أكثر دقة على العظام المكتشفة ووصلوا إلى النتيجة التالية في تشرين الثاني
سنة ١٩٥٣ «إن «إنسان بلنداون» ليس إلا قضية تزوير وخداع، تمت بمهارة ومن
قبل إناس محترفين. فالجمجمة تعود إلى إنسان معاصر، أما عظام الفك فيه لقرد
أورانج بعمر عشر سنوات. والأسنان هي أسنان إنسان غرست بشكل اصطناعي،
وركبت على عظام الفك. فظهر كذلك أن العظام عوملت بمحلول ديكرومايت
البوتاسيوم لإحداث آثار يقع للتمويه وإعطاء شكل تاريخي قديم لها»^(٢)

ويقول أحد أعضاء اللجنة «لي كروس كلارك» متساءلاً بحق «لقد كانت
علامات المحاولة المقصورة لإظهار العظام قديمة ومتأكلة ظاهرة وواضحة إلى درجة
أن الإنسان ليحтар كيف أنها لم تلاحظ حتى الآن من قبل أحد»^(٣)!!

Stephen Jan Gould, Smith woodwards Folly, New Scientist (5 april (١)

p.44 (1979) نقلاً عن دارون أو نظرية التطور ص ١٢٩ ، ١٤١ .

(٢) انظر داروين أو نظرية التطور ص ١٣٤ .

Stephen Jan Gould, Smith woodwards Folly, New Scientist (5 april (٣)

p.43 (1979) نقلاً عن دارون أو نظرية التطور ص ١٢٩ ، ١٤١ .

فللبحث العلمي والتنقيب الأثري نقول نعم، أما الخداع والتحريف وصنع
لأساطير وبناء رؤية للإنسان والعالم والتاريخ والغيب والدين والشريعة والجيل
لأول من البشرية بناء على ذلك فهذا ما نرفضه لأنه تدمير لحقائق الوجود ومكانة
الإنسان في الكون وإخفاء لمعالم الدين القيم الذي ندين لله به. إن العلمانية تقوم
غلب حقائق كل شيء بهدف نزع سلطة الدين من الوجود وهذا ما يدعونا
كمسلمين للوقوف لتلفيقاتها بالمرصاد وهذا هو هدف هذا الكتاب.

* * *

الفصل السادس

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ
(٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكُ الذَّارِيَّاتِ (٩-٧)﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ
(١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا
الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: ١، ٣]

نظرية - أوبالآخرى - فرية الدكتور أحمد سوسة

على الرغم من أن الدكتور «سوسة» قد قال بأن قصة موسى مأخوذة عن قصة الملك الاكادي - حضارة وادي الرافدين - سرجون الاول، إلا أنه ادعى أيضاً أن موسى كاهن مصري من أتباع إخناتون!!، فموسى مصري مائة بالمائة - بزعمه - باعتباره كاهنا مصرياً كما أفاد «مانيتو» المصري فكيف يجتمع النقيضان؟!

لقد نفى «سوسة» مطاردة فرعون لموسى النبي وقومه، وادعى كبديل لذلك أنه ليس هناك وجود لبني إسرائيل في مصر! وعليه فإن الذين خرجوا مع الكاهن المصري موسى كانوا مصريين وبقايا من الهكسوس «وما هؤلاء الذين خرجوا من مصر تحت قيادة موسى إلا جنود مصريين، وفلول من بقايا الهكسوس (الرعاة) الذين اندمجوا مع المصريين بعد طرد الهكسوس من مصر، كما تدل هذه الآثار التاريخية (!)، على أن جميع هؤلاء الذين جاء بهم موسى كانوا يتكلمون اللغة المصرية، وعليه فإن هؤلاء هم الموسويون (قوم موسى) ولا دخل لهم بإسرائيل، ولا دخل لإسرائيل بهم»^(١)

فالجماعة التي كانت تعيش بمصر عيشة المضطهدين المنكوبين - بحسب تعبير سوسة - والتي تقول التوراة عنهم إنهم إسرائيليون لم يكونوا إلا من جنود مصريين، ومن المؤمنين بدين (إخناتون) ومن بقايا الهكسوس وليس لهم دخل ببني إسرائيل «وهذا ما جاءت تنقله الكتابات المنقوشة في الآثار المصرية وتنفي أن يكون لبني إسرائيل كيان في مصر»^{(٢)(٣)}!

يجادل سوسة بحرفة بالغة السخافة فيقول «فمن غير للعقول عقلاً (!) أن يكون

(١) الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ لجعفر الخليلي ص ٧٢ .

(*) لم تنفي أي آثار مصرية وجرداً لبني إسرائيل في مصر، ومعنى أنها قامت بنفي ذلك أنهم كانوا موجودين فعلاً.

(٢) المرجع السابق ص ٧٢، ٧٣ .

لإسرائيل وجود في مصر خصوصاً وأن ليس هناك أي دليل من الآثار ما يثبت هذا الوجود»^(١)!!

غير أن سوسة نفسه اعترف بوجود أول لبني إسرائيل في مصر يبدأ بهجرة إبراهيم، لكنه سرعان ما انتهى إلى أن هذا الوجود ذاب في المجتمع المصري حتى لم يعد له كيان حقيقي أو وجود يمكن تمييزه!

لذلك ينفي خروج إسرائيليين من مصر مع موسى الذي قال عنه أنه كاهن مصري كما تقدم، يقول القمني «ويذهب في ذلك إلى رأى فرويد، فيقول: إن رحلة الخروج التي أسهب في روايتها الكتاب المقدس، وتعتبر حجر الزاوية في البناء التاريخي لإسرائيل بكامله ليست سوى «حملة مصرية، مؤلفة من جماعة من المصريين، وبقايا الهكسوس، يدينون بدين التوحيد الذي ورثوه عن إخناتون فرعون مصر، واضطروا تحت ضغط الوثنية واضطهادهم إياهم إلى الهروب من مصر، والتوجه إلى أرض كنعان»^(٢)

ويزعم سوسة أن التوراة نسبت هذه الحملة لبني إسرائيل بغية ربط هذه الجماعة ويعقوب وإبراهيم الخليل كما نسبت موسى إلى كهنة بني لاوي بن يعقوب في حين أن الرأي الغالب لدى الباحثين في هذا العصر يزعمه، هو أن موسى كان قائداً مصرياً في بلاط إخناتون، يدين بدين التوحيد الذي دعا إليه إخناتون»^(٣)!!!
ويعلق القمني «ولنلاحظ هنا، أن القول بمصرية موسى ﷺ سبق إليها اعلام مثل (جيمس هنري برستد) و (سيجموند فرويد) .. الخ، هذا إضافة لما يتمتع به رأي

(١) المرجع السابق ص ٧٧.

(٢) إسرائيل التوراة التاريخ التضييل .. لسيد القمني ١٠٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٦.

(سوسة) في جملته من وجاهة، تضعه في إعتبار أي باحث جاداً! (١) (٢٠)

باحث جاد! ألم يقل القمني نفسه - كما سيأتي بعد قليل - إنه سيعالج أفكار سوسة ليس بسبب علميتها ولكن بسبب انتشار كتابه الواسع! كما إنه قام بفضح سقطاته وأخطائه الفاحشة؟

يقول القمني عن كتاب سوسة إنه كتاب واسع الانتشار بين قراء العربية، معنون باسم (العرب واليهود في التاريخ) وفيه قام (سوسة) بمزج النظرية التي أسسها (جارستانج) بأرائه الخاصة (٢٠)، التي توصل إليها بشأن جنس هؤلاء الخارجين من مصر، وهو ما يستحق المعالجة، فقط بسبب الانتشار الواسع للكتاب المذكور وليس لأي سبب علمي (!) يقول القمني «ثم يقول (سوسة): إنه قد بقي بعد تحرير مصر من الهكسوس شراذم أسرى لا يمكن تصنيفهم جنسياً، كما إنه لا يمكن القول أن هؤلاء الباقين هم تحديداً بني إسرائيل فقط، ويرى (سوسة) أن هؤلاء قد أخذوا بديانة التوحيد الآتونية التي تدعو إلى عبادة إله واحد باسم (آتون)، والتي دعى إليها الفرعون (آمنحتب الرابع) / إخناتون، وقد أدى سقوط (إخناتون) وانهيار ديانته إلى اضطهاد تلك الجماعة، فحاصروهم (تشموزيس) كما قال (مانيتو) في مدينتهم (حواريس). وقد احتسب (سوسة) أن (تشموزيس) هو (تحتمس الثالث ١٥٠١-١٤٤٧ ق.م) الفاتح المصري المظفر، وهنا أول سقطاته الشديدة، وخطئه، وسوء تقديره. لأنه بمقارنة بسيطة مدققة في قوائم الملوك المصريين، كان يمكنه أن

(١) المرجع السابق ص ١٠٧.

(*) إذا كنا نريد أن نعرف لماذا قال القمني بوجاهة باحث الجاد سوسة؟ فعلينا أن نراجع المشترك بينهما أو بالأحرى تأثير (سوسة) على القمني في نظريته اللاحقة! والقمني يرد على سوسة في بعض ما رأى أنها أخطائه القليلة كراهه باحتساب زمن الخروج بزمان الفرعون «تحتمس الثالث» شريك «حتشبوت» في الحكم وخليفته المباشر!

(**) إن القمني فعل مثل ذلك أيضاً، فقد مزج نظرية فرويد مع نظرية فليكوفاكي رصنع منها نظريته الهشة أيضاً!.

يعلم أن (تحتس الثالث) سابق لإختاتون بحوالي ثمانين عاماً، وليس بعده»^(١)

ثم يزعم سوسه أن تحتس الثالث لم يستطع التغلب على المحاصرين من أتباع إختاتون فلجأ إلى مصالحتهم على أن يخرجوا من مصر!

ويلجأ (سوسة) كما لجأ العثماوي إلى النص التوراتي خروج ١٩:٢ لابتني كاهن مديان - بحسب وصف التوراة! - (فقلن رجل مصري أنقذنا من يد الرعاة) يلجأ إلى هذا النص ليزعم أن موسى مصري مائة بالمائة، يقول سيد القمني «وهو ما - بق أن أكده (مانيتو) عن (أرسيف)»^(٢)

وزعم (سوسه) أن الكاهن موسى المصري - وكذب سوسه - قد ذهب إلى هؤلاء العبيد المصريين وبقايا الهكسوس وعلمهم النظافة، وخرج بهم من مصر، يقول القمني «وإعمالاً لتلك المقدمات، ينتهي (سوسه) إلى أن الخروج كان مصرياً خالصاً، وأنه كان حملة كأي حملة مصرية معتادة على فلسطين، وكان الفارق بين تلك الحملات جميعاً، وتلك الحملة بالذات، هو أن حملة (موسى) كانت منشقة على الدولة الفرعونية الأم، ولا تتمتع بالتنظيم العسكري المألوف، ولا بإسناد الدولة، كما لم تكن ضمن أهدافها مصلحة الدولة المصرية، إنما كان فراراً من اضطهاد المجتمع المصري الوثني. وعليه، فإن جماعة الخارجين كانت غريبة على أرض كنعان، مصرية، لا صلة لها ببني اسرائيل الذين اختلطوا بالهكسوس عند دخولهم مصر، وذابت بذرتهم وضاعت تماماً مع طرد الهكسوس من مصر، فقامت التوراة مع هذا الضياع بتنسيب الجماعة المختلطة الخارجة من مصر، إلى جماعة بني اسرائيل ويعقوب»^(٣)

(١) المرجع السابق ص ١٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ يقول القمني «كذلك استند سوسه إلى آراء (سيجموند فرويد) بهذا الشأن» بنفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٦.

هنا يبدو القمني وكأنه معلق نزيه على نظرية خربة، في حين أن نظريته هو نفسه أكثر ريفاً وأشدّ بؤساً وأشدّ خراباً، فقد زعم - كما قدمنا - أن موسى هو إخناتون، إنه الصورة المزيفة لإخناتون الذي زعم أنه هو صاحب القصة الحقيقي، في حين أن سوسه يزعم أيضاً أن موسى هو من إتباع إخناتون وهو كاهن مصري، وأن القصة التي نسبت إليه إنما هي منقولة عن قصة سرجون الملك الأكادي وليس إخناتون الأمير المصري! وفيما يزعم سوسه أن الخارجين من مصر كانوا من المصريين والهكسوس يزعم القمني أنهم مصريون وإسرائيليون وأصحاب عقائد مصرية متفاوتة، حصل بينهم صراع أدى إلى إنشقاق بعد الخروج فافترقت ثلاث مجموعات، صنعت ثلاث روايات عن إخناتون، رواية مصرية حقيقية عنه، ورواية يونانية تحت اسم أوديب، ورواية إسرائيلية تحت اسم موسى! وما أشار إليه القمني في نقده لبعض محاور نظرية سوسه من أنها أخطاء فادحة وقع فيها، أخطاء وليست خطأ واحداً(*) فإن القمني نفسه وقع فيما هو أفدح من ذلك إذ أنه وبجيلة تلفيقية بين أفكار فرويد وفليكوفسكي صارت نظريته السخيفة مختمرة بين يديه ما أدى إلى أن خرج من مصنع أفكاره صورة شائنة تجعل من موسى إخناتوناً معدلاً، ومن أوديب نسخة مزورة كموسى تماماً! فكيف يجرد من هذا شأنه أن ينقد الآخرين!؟

دعاية مزيفة لنظرية أحمد سوسة،

المستشرق الألماني رولف رايبخارت. يقول عن كتاب أحمد سوسه إنه عمل ضخيم «إذ أنه ليس إلا قلباً، بل تصحيحاً لقضايا تاريخية متوارثة عبر الأجيال أسوأ فهمها(!) وهي لم تزل شائعة بين الناس، ومقبولة منهم بفعل التوراة...

(*) نفسه ص ١٧٦، ١٧٧.

ومع ذلك لم يجروا أحد قط (!) - قبل الدكتور أحد سوسة - أن يكشف النقاب عن ذلك المزيف^(١)!!! وفي رسالته التي بعثها «أكرم زعبيتر» لأحمد سوسة يقول له فيها إنه بترجمة كتاب هذا الأخير إلى اللغات الأجنبية لاشك أن ذلك سيحدث «انقلاباً جذرياً في بعض المفاهيم التاريخية ويبدد خيالات وقع فيها، أو تبنّاها عن سوء نية أو حسن نية الكثيرون من المؤرخين»^(٢)

وفي رسالة محمد عبدالغني حسن لسوسة يقول له فيها «إن الحقائق في هذا الكتاب العظيم دامغة، والأدلة واضحة والبراهين ناصعة»^(٣)!!!

وفي مجلة (الأديب) البيروتية لأليير أديب في عدد يونيو ١٩٧٢ من كتاب سوسة «كتاب جليل الفائدة ظهر في منشورات وزارة الإعلام العراقية ببغداد ... وحبذا لو تبنت جامعة الدول العربية هذا الكتاب (!)، وترجمته إلى عدة لغات أجنبية ، وتولت توزيعه ونشره في العالم»^(٤)!!!!

وفي الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم) المغربية لعبد الكريم غلاب عدد ٢ آب ١٩٧٣ «إن من واجب كل دولة عربية، كبيرة أو صغيرة أن تنظر في نشر هذا الكتاب في شعبها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وقد كتب الكاتبون، وبينت الصحف وقال أهل الفكر، أن نشر هذا الكتاب مهمة فكرية تثقيفية لها من الخطورة ما لإنشاء مصنع من مصانع الأسلحة في أرض العرب (!)»^(٥)!!!!!!

وفي مجلة الأديب البيروتية في يونيو ١٩٧٢ بقلم عجاج نويهض «فالكتاب (ثورة علمية) على تاريخ اليهود المزيف، وصرخة مدوية في أرض العرب أجمعين»^(٦)

(١) الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٧. (٣) المرجع السابق ص ١٤.

(٤) المرجع السابق ص ١٢. في نفس العدد يقول وديع فلسطين «وكتابك يادكتور سوسة كتاب معجز، وهو كتاب العمر» ويصفه بالعبري «وقعت على عبقرية عربية من مستوى عالمي».

(٥) المرجع السابق ص ١٣. (٦) المرجع السابق ص ١٠.

الفصل السابع

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ
الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى
شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]

إكذوبة موسى مطلق إبراهيم

الإسلام هو سبب النكسة - يقول موسى مطلق إبراهيم^(*) ذلك العلماني الذي يتغنى بأمجاد الحضارة السورية القديمة، حضارة الصنم والوثن وعبادة الأموات وأرواح الأجداد^(١)!

إنه يدعونا للتفكير معه في العقلية المتفوقة للسوريين الوثنيين القدماء والذين كانوا «يمتازون بها على من عداهم من شعوب الحضارات القديمة»^(٢)!! إنه الشعب القديم الذي صاغ لنفسه رؤيا عن ظواهر الطبيعة والحياة والدين ، صاغ لنفسه رؤياه الدينية ونظراته العملية إليهما - في وحدة ثقافية لا أروع منها ولا اسمى^(٣)!! .. رؤية دينية يموت فيها الإله فداء عن الحياة، تارة في صراعه ضد آلهة الموت والجحيم والعالم الأسفل ، وتارة في صراعه ضد الخنزير^(٤)!! الذي يمثل المفسد الاجتماعية في الحياة^(٥)!! وتصارع فيها الآلهة المشيقة، كما في نمون وعشتار^(٦)، أو الآلهة الشقيقة، كما في بعل وعناة، لاستعادة الإله الفادي من أشداق الموت^(٧)!! لأن بعودته تعود البهجة والخصب والعافية إلى الحياة. إنها رؤية دينية جعلت من الآلهة مثلاً أعلى وقدوة إنسانية^(٨) ماذا ينتظر المرء من باحث علماني هذه هي قدراته العقلية، وحدوده النفسية، ومزايابه الإدراكية وحينه التاريخي لإله يتصارع مع خنزير!!

(١) وعد التوراة ، لموسى مطلق إبراهيم ص ٣٩٥، ٤٠٧.

(٢) (٣) السابق ص ٤١٠.

(٤) يقول يائنا قعدنا ننتظر حصاده فلأنا بنا نكتشف أننا أضيع من الأيتام على مآذب اللثام ص ٣٩٥، ٤٠٧ المرجع السابق.

(٥) عشتار أشهر عاهرة في التاريخ القديم ، تنبذ عشاقها بعد أن تصيب وطرها منهم هي عشتار البابليين والسومريين في ملحمة جلجامش إلهة تنتقم من عشاقها بعد أن قتل منهم. انظر كتاب البغاء عبر العصور ص ١٩٣.

هل يُنتظر منه أن يؤمن برسولاً ونبيّاً أو أن الأنبياء هم دعاة ومصلحون؟! هل يمكن أن يؤمن بذلك وهو يقلب الأمور رأساً على عقب كما فعل (القمني) الذي فعل مثل فعله ولكنه أعطى المديح للحضارة المصرية وتاريخها العتيق؟ فيما تعطي (ثريا منقوش) على الضفة الأخرى الفضل للحضارة اليمنية الوثنية الهالكة؟! لننظر كيف نظر «مطلق إبراهيم» إلى موسى ﷺ!!

«إن شخصية موسى مقتبسة من تراث العراق القديم وإن صاحب هذه الشخصية هو الملك سرجون الأكادي»^(١) فإذاً موسى هو سرجون، وهو مقتبس في نظريته الحقيرة، وهو عند القمني على العكس من ذلك، وهو اخناتون هو أوديب اليوناني!! وهكذا فبدل أن يذكروا الحقائق ويؤكدوا الوقائع ويؤمنوا بالحقيقة التاريخية الأصلية عن موسى عليه السلام نجد كل من هؤلاء الخراصون ينسبون له عليه السلام وقائع أخرى وأصلاً آخر ونسباً وعلماً آخر (فالأسطورة القمنية) (نسبة إلى الدكتور سيد القمني!) قد جرت وقائعها في عصر آمنحتب الرابع الذي هو عند القمني طبعاً إخناتون/ موسى/ أوديب فإنها في (الأسطورة المطلقية) نسبة إلى (موسى مطلق إبراهيم) كانت في حضارة الأكاديين في العراق القديم وأن بطلها الأصلي هو سرجون الملك الأكادي وليس النبي موسى عليه السلام النبي الكريم الذي هو في الحقيقة نبياً ورسولاً من بني إسرائيل.

فواحد يقول إن شخصية موسى مقتبسة من مصر والآخر يقول إنها مقتبسة من العراق!!، والغرض هو تدمير الشخصية الحقيقية وقتلها معنوياً ونفي وجودها التاريخي كشخصية نبوية أرسلت إلى بني إسرائيل بالتوحيد الصافي والشرعية الإلهية والمنهاج الرباني يقول موسى مطلق إبراهيم «إن وراء حكاية موسى التوراتية حقيقة حاول الكاتب التوراتي أن يخفيها عن العيون فخانه المنطق، وكشفتها

(١) وعد التوراة ص ١٧٩.

طريقته في الاقتباس الخائب، عن الحكاية الأصلية التي جرت وقائعها على الفرات في جنوب العراق (!)، في تاريخ سابق على التاريخ المصطنع لموسى التوراتي^(*) بأكثر من ألف ومائتي عام (!)، وهي حكاية الملك سرجون الأول الأكادي الذي كانت أمه من خادמות المعبد فجلت به سفاحاً (!) ألقت به إلى النهر في سبط من البوص مطلى بالقار، خوفاً من الفضيحة التي يقودها إلى عقوبة الموت بجرم الزنى^(١)

قدمنا أن العشماوي في أسطوره العشماوية زعم أن أم موسى هي أميرة وهي ابنة فرعون^(**) وأن فرعون هو جده وأن موسى هو حفيده!، وهنا يقول «مطلق» لا!، إنها خادمة من خادמות معبد في الدولة الأكادية في جنوب العراق وأنها جلّت به سفاحاً، أما القمني فقد زعم أن إخناتون/ موسى/ أوديب (!) يعود من جهة أمه (الملكة تي) إلى المديانيين عبدة القضيب (إله الخصب) التي عاشت في مصر وتزوجت ملكها الذي قتله إخناتون ثم تزوج أمه هذه (المديانية) التي تبدو في رسومات مصر عارية الجسم ، بارزة الأعضاء الجنسية لا يسترها شيء!

حقاً، لقد أخبر الله عن هذه الأفك إنها هزل قبيح، وحلف على حقيقة ذلك بالسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع في نفس الوقت الذي حلف فيه على أن قوله سبحانه هو الفصل في قضايا الحياة والتاريخ والدين والشريعة «إنه لقول فصل وما هو بالهزل» فهو حقاً ليس بالباطل، وجداً ليس بالهزل، لكننا نرى اليوم «أطفال الفكر العلماني» يقلبون الآية فيجعلون نظرياتهم الحقيرة حق وجداً وحقائق القرآن باطل وهزل!

(*) كل نظرية تختار تاريخاً ومكاناً وعصراً ودولة وحتى شخصاً مختلفاً!!!

(١) وعد التوراة ص ٩١.

(**) لم يقل لنا العشماوي بناء على فريته هذه من هو أبوه؟!

إن الدليل العظيم على هزال أفكارهم وهشاشة نظرياتهم هو أنها مختلفة متعارضة منخرصة كاذبة تحمل في طياتها أسباب انهيارها ومبادئ سقوطها وتدميرها، وقد أقسم الله لأهل الضلال من كل صنف ونوع وبالسماوات على بطلان أفكارهم ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْكَ (٩) قَتَلَ الْغُرَاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ {الذاريات: ٧-١١}.

وعلى الرغم مما بذله العشماوي والقمني في جعل موسى ابناً حقيقياً لشخص معين من بيت فرعون، فالعشماوي يقول إنه ابن ابنة فرعون، والقمني يقول بل هو ابن زوجة فرعون، وفرعون هذا غير فرعون ذاك(*)، وقد سهروا ليالي وأياماً وشهوراً وسنوات للتآمر على الأنبياء وقتل صورهم التاريخية كما فعلوا المستحيل لجعل الحبكة فنية وجيدة الإحكام وقوية الصناعة، لكن المختلف المفترى المتخصر الآخر (موسى مطلق) طلع عليهم ليثبت سخافة أفكارهم وهشاشة حجتهم لكن بسخافة أخرى مناقضة لسخافاتهم ومحطمة لها فيرغم أن موسى لم يولد في مصر لابنة أمير أو زوجة ملك وإنما ولد سفاحاً من خادمة معبد(١) أكادية كاهنة من جنوب العراق أخرجته إلى العالم بطريق الزنا!

يقول «إن اقتباس الكاتب التوراتي لهذه الحكاية ونقلها من النيل إلى الفرات(١) لم يكن ملائماً للملابسات الحكاية (آية ملابسات يامطلق!!) التي عمل على إصطناعها لبطله الذي أطلق عليه(١) اسماً مشتقاً من لغة كان يتكلمها في زمن لاحق لتاريخ السبي، ولم تكن موجودة في التاريخ المفترض للحكاية»^(١) فالقصة بزعمه «اقتبسها من أصولها السورية في تاريخ متأخر جداً عن التاريخ الذي

(*) فرعون القمني هو آنحشب الثالث، وفرعون العشماوي هو رمسيس الثاني وهكذا فالفراعين تختلف وموسى يختلف وبالطبع الزمن يختلف والمكان يختلف والقرآن يقول عن هؤلاء المفترين «إنكم لفي قول مختلف، يؤفك عنه من أفك»

(١) وعد التوراة، لموسى مطلق إبراهيم ص ٩٢.

اصطنعته لنفسها، فأساءت إلى هذه الرموز إساءة بالغة^(*) بأن صورتها على صورتها النفسية - الأخلاقية - المناقبية (!) فمسختها إنسانياً وأخلاقياً ومناقبياً وبالتالي حضارياً وأخرجتها من انتمائها الأصل إلى جوهر النفسية السورية (!)«^(١)!

وفي الحقيقة، فهذا الباحث الحقيقير يريد أن يجر المجتمع السوري لصور منحرفة في التاريخ لحقت بكل الحضارات والثقافات والمدنيات الوثنية والعودة إليها يعني العودة إلى الإنحطاط والضلال. تجده يفتخر بالعقلية السورية القديمة بقول «التي كان السوريون القدماء يمتازون بها على من عداهم (!) من شعوب الحضارات القديمة. ومن هذه الظواهر المتأخرة والتميزة، ظاهرة الإله الفادي... يموت فيها الإله فداء عن الحياة (!) ، تارة في صراعه مع آلهة الموت والجحيم والعالم الأسفل، وتارة في صراعه ضد الخنزير (!) الذي يمثل المفسد الاجتماعية في الحياة. وتصارع فيها الآلهة العشيقة (!) كما في ثموز وعشتار، أو الآلهة السقيفة، كما في بعل وعناة، لاستعادة الإله الفادي من أشدق الموت (!) ، لأن بعودته تعود البهجة والخصب والعافية إلى الحياة»^(٢)

لقد جاء الإسلام لكي يحرر الوثنيين من عبادة صور الطبيعة كالشمس والقمر ودورات الخصوبة الزراعية والمرتبطة أيضاً بالشمس والقمر والتي يعود فيها الزرع إلى الحياة والخصب إلى الوجود. جاء الإسلام ليحرر الناس من الأوهام المرتبطة بهذه الآيات البينات والتي تدل على عظمة الله ورحمته بالإنسان وأنه الذي يمدّه بالنعم الظاهرة والباطنة. أما موسى مطلق إبراهيم وغيره ممن يشاركونه إفتراءاته ووثنيته فيريد أن يعود بنا، وبالشعب السوري قطعاً، إلى عبادة هذه الظواهر

(*) أي إساءة ، ألم يقل الرجل أن أم سرجون الأكادي ولدته سفاحاً.. والم بقل بأن هؤلاء يُنسبون إلى الحضارة السورية القديمة حضارة الضلال والوثنية، والسفاح والزنا في المعابد.

(١) المرجع السابق ص ٩٣. (٢) وعد التوراة ، لموسى مطلق إبراهيم ص ٤١٠

وتقديس الأساطير التي اختلقت حولها مثل إله الموت، الذي صارع الخنزير، الذي يعود إلى الحياة، كما تعود الحياة إلى الزروع والأراضي الميتة! فعابد الوثن والآلهة السخيفة المزورة «موسى مطلق إبراهيم» يُسخف التشريعات التي كانت أمة إسرائيل في حاجة إليها لإبعادها عن أوثان الأمم وأصنامهم وهي التشريعات التي تحرم التماثيل والأصنام في وقت كان العالم يعج بها ويتعبد لها ويعتبرها صوراً فنية لآلهة تجلس على عروش الحضارات من الفراعنة المتساهلين وآلهتهم العتيدة، وملوك وأفراد المدن المنحطة في تصوراتها عن الحياة والكون والإنسان.

يقول عن هذه التشريعات التي أنزلها الله عز وجل على رسوله موسى ﷺ «وهناك تشريعات مغايرة كل المغايرة للثقافة الفنية المصرية التي يفترض (١) أن يكون نشأ على تذوقها - يقصد موسى - في بلاط فرعون»^(*) وعلى إدراك معناها السامي وتقديم قيمتها الجمالية، مثل: «لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت الأرض» (خروج ٤ : ٢٠) متذكراً بذلك (١) ليس إلى ثقافته الفنية وذوقه الفني فحسب، بل إلى كل ما أبدعته الثقافة الفنية المصرية من الرسم والنحت بدءاً من أصغر صورة أو منحوتة في قصر فرعون (١) إلى تمثال أبي الهول»^(١)

فما أعجب سخافة هذا المنطق الضعيف ولنضرب مثالا على سخافته وعلى عدم قوته، فنحن اليوم كجاليات إسلامية نعيش في الغرب، وهناك اللوحات الفنية المعجبية والتماثيل الفنية المنحوتة. والتي وصلت إلى مرحلة يزعمون أنها مرحلة الشفافية والعفوية في الرسم الفني الجمالي الطبيعي والتي يبرزون فيها الأعضاء

(*) هو يؤمن بأن قصة موسى مقبلة من قصة الملك الأكادي سرجون ، ولكي يحاول إثبات تعارض قصة موسى مع واقعه، يحاول أن يقوم بهذه المقارنة السخيفة مع اعتقاده أن قصة موسى «حكاية لا صلة لها بالتاريخ» وعد التوراة ص ١٢١.

(١) وعد التوراة ص ٨٣

الجنسية والجماع الجنسي بكل صورته الراقية!!! ويفتخرون في كل مكان بأنهم تحرروا من قيود الإبداع وحُجُب الابتكار، فتجد آلاف اللوحات والتماثيل عارية، جنسية شائنة، وبعضها تصور العملية الجنسية كما هي، إدخال العضو في العضو وإبراز ذلك في الصورة الفوتوغرافية والنحت الجمالي!، بالأفلام المتحركة وبالرسم. حتى لقد قاموا بصناعة ملايين الأعضاء الذكرية والأنثوية وما زالوا يصنعون! ووضعوا فيها تكنولوجيا حديثة جداً وتباع الآن في هولندا مثلاً ولا مانع قانوناً من ذلك، في المجلات الجنسية المنتشرة في الأحياء والقرى والمدن الكبرى!! فإذا رفضنا نحن المسلمين هذا النوع من الثقافة الفنية والذوق الفني والشفافية الفنية الجمالية!، نكون عند موسى مطلق إبراهيم قد فقدنا الحصول على معناها السامي ومفاهيمها الشفافة الإنسانية العميقة!!

ما المشكلة أن يرفض موسى ﷺ هذه الثقافة الفنية الفرعونية، والتي كرسّت عبودية الفراعنة وتآليه ظواهر الطبيعة ورموزها المتمثلة في الأصنام والأوثان والأوتاد؟! ألستم تدعوننا إلى عدم التقليد ورفض الواقع السائد والثورة على التقاليد؟! ... ألم يفعل موسى عليه السلام هذا وبصورة إنسانية أصيلة وبوحي إلهي حقيقي يهدف إلى استرجاع حرية الإنسان من عبوديات منحطة تتمثل في عبودية الفرعون والإمبراطور والوثن والوثن والعضو الذكر وعبادة الإثني كآلهة للخصب وبقية ظواهر الطبيعة التي عبّدت في الأزمنة التي يريد موسى مطلق وغيره من العلمانيين أن نسترجع صورها السامية!!، ورموزها الراقية!!

إنّ هذا إلاّ تحقير للإنسان وغمسه في وحل الوثنيات ومستنقع البهيمية! إنّ الأنبياء يترفعون عن هذا الواقع الرديء والمخالف للإنسانية الحقّة. ولذلك قام العلمانيون بتحويل صورة موسى عليه السلام وحقيقته إلى صور وثنية إباحية شائنة، لتمريغ البشرية كلها في وحل الجاهليات القديمة. وقاموا إضافة إلى ذلك

بتحويل كل الحقائق والوقائع المرتبطة به كنبى ورسول، وولادته من عائلة كريمة، شريفة، مؤمنة بالله، ومتحررة من الكفر والضلال والفساد. ولقد فعل العلمانيون ذلك حتى تتشاورى المختلفات وتتماثل المفترقات ويصير نور الحياة نسخة من ظلمة الوجود، وتمسخ رسالات الخير بمزجها بأساطير الشر، وتبدأ العودة مرة أخرى إلى وثنيات طواها الزمان ووراها التراب.

كذلك قاموا بتحويل صورة أم موسى عليها السلام إلى صورة مُنْقَرَة كريمة والغرض نفس الانساب الشريفة ليخلو لهم الجو الذي يحاولون تهيئته لنسف النبوة التي كانت تُصنع على عين الله وتخرج إلى الوجود من نكاح كريم لا من سفاح مهين!

وإذا تم تحويل صورة أم موسى إلى أم مديناية رانية عارية تتزوج ابنها علنا وتصور رسومات معابدها هذا الزواج بجرأة متناهية (كما هو الأمر عند نظرية القمني الحفيرة) أو تم تحويل صورتها الكريمة العفيفة إلى أم أكاديه/ عراقية/ سورية في التاريخ الوثني القديم حملته سفاحاً، وهو ما يعني أن أباه انسحب من التاريخ من قبل أن يولد!!، إذا تم تحويل صورة المرأة التي ذكر الله أنه أوحى إليها إلى هذه الصور الشائنة الحفيرة فماذا ننتظر إذا تكلم هؤلاء عن صحابة رسول الله ﷺ أو أنصار عيسى عليه السلام أو أتباع موسى النبي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؟!

في كتاب لم أر مثله في الجودة وهو كتاب اسقوط الغلو العلماني وفي النقد الممتاز قام به الدكتور محمد عمارة عندما رأى أن العشماوي تجاوز حدوده في تجريح الصحابة بل وتجريح الرسول نفسه والقرآن، هذا الكتاب الممتاز صدر سنة ١٩٩٥م وذلك قبل أن يظهر العشماوي بأكاذيبه الأخرى على العالم والخاصة بموسى والحقائق المرتبطة به. ولذلك قمت بإبراز أكاذيبه وأساطيره حتى يرى المسلم

الواعي- أن العشماوي يتحايل عليه ويخدعه حينما يدخل بعلمانيته المخادعة معترك
الاجتهاد الإسلامي ويقدم في ذلك مشروعه الفكري في أكثر من عشرة كتب ..
توالى إعادة طبعها دار نشر ماركسية.. وتهتم به - كما يقول الدكتور - محمد
عمارة - كل الدوائر المناوئة للصحة الإسلامية، سياسية وفكرية^(١)

إن هؤلاء الباحثين يمشون على خطى الباحثين الغربيين في تشويه الرموز الإيمانية
والشخصيات الرسولية الكريمة فهناك «مشارك» على كل محاور الهدم بين هؤلاء
الباحثين المتكررين من الغربيين والمقلدين فهذا كمثال «جاستانج» الباحث الغربي
المشهور عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة ليفربول للتنقيب في فلسطين، إدعى أن
موسى ﷺ قد أنجبته الفرعونة (حتشبوت) عام ١٥٢٧ ق.م، عندما كانت
أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر، أي خلال حكم تحتمس الأول أو تحتمس
الثاني. لقد اعتمد «جاستانج» في إقامة أكاذيبه على كشف يتيم لا يدل على
المقصود كما أنه لا يصف الهدف المرصود!! ويعلق على ذلك القمني (صاحب
إفتراء آخر! قدمناه بقوله «وقد ملأ جاستانج» الدنيا سخبا وضجيجا بما زعمه عن
كشف أركيولوجي حاسم في الأمر جميعه، حيث عثر على جمران في مقابر أريحا
الملكية، على إشارات فسرهما كأدلة قاطعة، تثبت أن (موسى) قد أنجبته الفرعونة
(حتشبوت) عام ١٥٢٧ ق.م بالتحقيق ... وأن موسى قد تربى في بلاطها وبين
حاشيتها بعد ذلك، ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذي قام به (تحتمس
الثالث) ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم (تحتمس الثالث) عام ١٤٤٧ ق.م ...
وكما ظهرت ضجة (جاستانج) فجأة، خفت فجأة، وانتهى (جاستانج) إلى

(١) سقوط العلو العلماني للدكتور محمد عمارة وهو الكتاب الذي ذكرنا تميزه وفرادته في العصر الحديث،
وهو اصدار دار الشروق، (انظر ص ١٣) منه. ولقد ألف خليل عبدالكريم كتاباً ضخماً اسمه فترة التكوين
في حياة الصادق الأمين! وقام فيه بهدم النبوة عن طريق الزعم أن خديجة بنتها هي التي هيئت محمد
بالدراسة الليلية للرسالة!! كما ألف القمني مجموعة من الكتب والمقالات لهدم الجيل الأول الفريد.

الصمت التام، ولم يعد أحد يتحدث عن جعرانه الأعجوبة، ويبدو أن
المصريولوجيين لم يقتنعوا تماماً بتأويلاته لنقوش جعران أريحا، ربما لسقوطه في
أخطاء هامة تبرر ذلك الخفوت، فالتلاشي لكشف بهذه الخطورة»^(١)

يبدو أن الدكتور القمني لم يتعلم من التاريخ الذي يسوق أمثال هذه النظريات
ليركمها جميعاً في مزبلته العظيمة التي يجمع فيها نفايات وخزعבלات بعض إنسانه.
ذلك إنه بعد أن قرأ هذه الخرافات طلع علينا هو نفسه بزيالاته الفكرية وعصارات
عقله المريض الذي أراد به هدم حقائق التاريخ والدين والوحي والشرعية.

إن الرابط السري الذي يربط بين الدكتور سيد القمني و «جاستانج» وأمثاله من
الذين يبتكرون الأساطير هو عملية الإسقاط الخبيثة التي تجعل من الأنبياء
شخصيات مقتبسة زناة وعاهرين وكذلك أمهاتهم وأيضاً آبائهم!! فحتشبسوت هذه
راحت تُثبت شرعية ملكها باصطناع قصة عهد مقدس! يقول القمني نفسه «حيث
اصطنعت قصة تقول: إنها ابنة مباشرة للآلة آمون بالجماع المقدس مع والدتها وهو
الأمر الذي تكرر مع أكثر من فرعون، وهو ما يقول بشأنه (عبدالعزيز صالح):
«وعادة ما ارداد تمسح هؤلاء بالدين وكرامات آمون» كلما أحس أحدهم بشبهه
يمكن أن تمس شرعية ولايته للعرش، حيث يسارع إلى تأكيد بنوته المباشرة، له.
نتيجة تقمصه روح أبيه حين ألجبه، وعبرت عن هذه الإهانات أربع روايات
الفراعنة (حتشبسوت)^(٢) و«نختمس الثالث»، و«نختمس الرابع»، وأمنحتب الثالث»
ويشير كل من (دريتون) و (فاندييه) إلى «أن فكرة تدخل الإله تدخلا مباشراً في

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه ج١ ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) يقول عالم المصريات «ميز» عنها هي: «مجرد امرأة لا أهمية لها، طموح، نفتقر إلى أي ضمير» ويقول
عالم المصريات «بيرن» أنها «ليست سوى العوبة بين أيدي الكهنة الذين يمارسون سلطة دينية» ويقول عالم
المصريات الفرنسيان «دريوتون وفاندييه» «فهي تحاول أن تضيي سمة الشرعية على ما اغتصبته...» عن
كتاب حتشبوت الملكة الفرعونية تأليف سوزان راتيه ص ١٢، ١٣.

أنسال الملك الجالس على العرش، كانت شائعة في الأسرة الثامنة عشر، إذ تمثل النفوش في معبد الدير البحري عن حتشبسوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهي... أي اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالد!!^(١)

إن آمنحتب الثالث الذي أنجب عن طريق الاقتران الإلهي المزعوم لآمون بامه!! هو والد إخناتون/ موسى/ أوديب عند سيد القمني!!!

وحتى هذا الوالد الذي أنجب بطريقة غير شرعية كان عاهراً كامه تماماً بحسب نظرية القمني. يقول القمني عن والد إخناتون (آمنحتب الثالث) وزوج (ني) قبل أن يتزوجها إنه إخناتون «ففي نوبة من نوبات إنغماسه في الملذات تزوج إحدى بناته، كما أفصح عن بعض النزعات الشاذة فهو الفرعون الوحيد الذي سمح لنفسه أن يرسم وهو يرتدي ملابس امرأة»^(٢).

ويقول «والغريب أن إخناتون كان يذكر دوما أنه ابن (ني) لكنه لم يذكر أبداً أنه ابن آمنحتب الثالث»^(٣)

إن هذا الربط الخبيث ليدل على النية المبيتة في تدمير الدين وتدنيس شخصياته التاريخية من أنبياء ورسل وشهداء وصالحين وخلصاء ومخلصين. حتى تضيع المعالم وتختلط الأوراق ويصبح النور والظلمة سواء، والشر والخير وجهان لعملة إنسانية واحدة لا حقيقة مطلقة فيها. وقد عبر عن ذلك كثيرون من دعاة نسبية الحقيقة ونسبية القيم، وأخيراً قام أحدهم وهو يقدم صورة العربي والمسلم عند الغربي والمسيحي الأوربي، قام يقدم صورة 'بعيدة عن الحقيقة والحقيقة لا وجود

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ص ١٧١ ج ١ والمراجع التي ذكرها أشار إليها في هلمش نفس الصفحة.

(٢) النبي موسى ... ج ٣ ص ٧٩٠. (٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٩٤.

لها إلا عند من يؤمن بها... إضافة إلى ذلك، هي دائماً رافضة بإعتبار أنها من صنع البشر»^(١)

إن (موسى مطلق إبراهيم) يرفض الإعتراف بحقائق القرآن، ومنها حقائق النبوة والقصص التاريخي للأنبياء والرسل، ويزعم أن القرآن قام بعملية «تعويم» مشنوم لقصص التوراة، يضيف «والذي لولاه لكانت التوراة نفسها ليست أكثر من مومبَاء دينية لا يهتم بها إلا الباحثون في متاحف الفكر الديني عبر التاريخ ولا يستغرب القاريء إذا قلت له أن ما عاناه شعبنا في القرن العشرين من الهجرة اليهودية ووءد بلفور وقيام اسرائيل على أرضنا... لم يكن كله أو بعضه لولا هذا التعويم المشنوم الذي مهد لولادة هذه الإمبراطورية اليهودية»^(٢) ويقول «إن هذا التعويم للتوراة، بهذا الشكل، في الإنجيل والقرآن، كان له أثر بالغ السوء على شعبنا السوري من دون سائر الشعوب المؤمنة بالإنجيل والقرآن(١). فقد جعل من المؤمن السوري كائناً دينياً جذوره في التوراة(١)، وجعله ينفصل عن تاريخه القديم ويتنكر له(١) ويحل التاريخ التوراتي محله(١)، وهو المستهدف الأول والآخر في وجوده ووجدانه بتاريخ التوراة وشريعته(١) وفي كل ما تدهو وتوجه إليه»^(٣)

إن هذه الطريقة في التفكير تستحوذ على تفكير عدد لا بأس به من العلمانيين! وهم يظنون أن القرآن والإيمان بالله ورسله وكتبه هو سبب هزيمة ١٩٦٧م ولو أمعنوا النظر قليلاً لعرفوا أن أنظمتهم العلمانية الدكتاتورية التي ساعدوها وقتها بثقافتهم المستوردة هي سبب الهزيمة، لقد أبقوا على جهالة الشعوب ولم يُنشئوها تنشأة علمية حضارية مرتبطة بالمنهج الرباني الهادف إلى إقامة عمران بشري قائم على تسخير سنن السموات والأرض وسنن القوة وبناء مجتمع قوي في الفهم

(١) قال ذلك «عمر أوكان» في تقديمه لكتاب «عربي، هل قلت عربي؟» ص ٦.

(٢) وعد التوراة ص ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤ للقمي نصوص مشابهة قدمناها في كتابنا هذا.

(٣) وعد التوراة ص ٣٠٢ للقمي نصوص مشابهة قدمناها في كتابنا هذا.

لقد أبقوا على صور دينية شائنة، إما حفاظاً على أماكنهم في مأمن من خطر العلم والإيمان الكريم والمعرفة والتنوير وإما مراعاة لمشاعر دينية لا تمت إلى الإسلام بأي صورة من الصور. كما أبقوا على صور تعليمية هشة لا تتمكن من تأهيل الإنسان إلى نيل أسباب السموات والأرض وهي صور تقليدية لا سبيل لها للتفاعل مع الكون والعالم وتغيير المجتمعات. كما أبقوا على البيروقراطية المتمكنة بشراة من جميع الإدارات الحكومة والتعليمية حتى طوقت حركة الإنسان وحركة التجارة الإيجابية.

كما أبقوا على قوانين وضعها الاستعمار في بلادنا وتجاوزها في بلاده، وأبعد القانون الرباني عن وضع القواعد وإرساء المعالم الرئيسية التي لا تطبق البيروقراطية العفنة ولا الجهل المتمكن من النفوس ولا التعليم المكبل لانطلاقة الإنسان وإطلاق عقله حراً في التعامل مع الكون بلا قيود إدارية أو تعسفية أو علمانية ديكتاتورية أو حتى دينية مخالفة للإسلام العظيم الذي فتح للعقل حدوداً عظيمة ومجيدة حققت مكاسب في القديم ويمكن أن تحقق مكاسبها الضخمة اليوم أيضاً!

إن النظرة المنحرفة للدين من طرف العلمانيين العرب يجب أن تزول فهي أيضاً من عوائق النصر وإنطلاقة الحضارة الإسلامية الجديدة.

وأقرب مثال هو ما نحن بصددده في هذه الجزئية من هذا الفصل، فكثير من العلمانيين كموسى مطلق وسيد القمني وغيرهما يزعمون أن تواجد النصوص القرآنية التي تذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب وتذكر المؤمنين من بني إسرائيل بأنهم إخواننا سبقونا بالإيمان بالله الواحد الأحد، وتذكر التوراة وتؤكد أنها كتاب الله أنزله على موسى عليه السلام، يزعمون أن تواجد نصوص قرآنية تكرر هذا الإيمان إنما

هو سبب الأزمة التي نعانيها أما الحل فهو نفي هذه النصوص بإعلان الانفصال عنها وعن مصدرها الرباني!، بل واعتبار الاسلام تراثاً يجب تجاوزها!

ويشير القمني أن سبب هذا البلاء هو النبي محمد ﷺ نفسه وذلك أنه في «المرحلة التكتيكية» بزعم القمني في التعامل مع يهود المدينة تبنى محمد عقائد اليهود وأعاد التاريخ دورة كاملة إلى عهده وجعل الإسلام «متبطناً» - بحسب لفظه - باليهودية يقول «كما تحول جميع أنبياء وملوك دولة إسرائيل القديمة إلى أنبياء مسلمين (!) كانوا يدعون بدعوة الإسلام... وظلت التوراة بصفتها الحاملة للهدى والنور، وظلت الآيات التي تذكر بهم كشعب مختار (!) متميز فضلهم الله على العالمين، وغير ذلك لا تجد سوى تنويعات عروبية نادرة وبتيمة (!) عن القرى العربية البائدة، وأنبياء مثل هود وصالح، أما النسب الإسلامي والعربي، فقد ظل بدوره إسرائيلياً، بإعلان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام (!)، أنه الحفيد النبوي الأخير لسلسة إسرائيلية (!) استعربت بعد إبراهيم باستعراب ولده إسماعيل واكتسابه الجنسية العربية بسكناء بلاد الحجاز، عبوراً على عمومته مؤكدة لإسحق (!)... هذا ناهيك عن تطابق المنمنمات الدقيقة حول الإله وقدراته وقصص الأولين بدءاً من قصة الخليقة وآدم مروراً بنوح والطوفان... ومن ثم تنافس العربان، عتاه العقيدة العاضون بالنواجز على الإيمان مسيحية وإسلام، في تشریف تاريخ إسرائيل وتكريمه... والأمير بهذا الشكل مشكلة إيمانية، وأزمة فكرية طاحنة»^(١)

يقول ذلك القمني في بداية كتابه إسرائيل... التوراة... التاريخ... التضييل، مدعياً أنه يتعامل مع التراث «لتحديد الهوية»! وهو الكتاب الذي يرد فيه على اليهودي فيلكوفسكي !!!

(١) إسرائيل... التوراة ص ٧-١٠.

وفي الكتاب نفسه زعم أن التوحيد ما هو إلا تطور تاريخي وثقافي وإفراز لتطورات سياسية واقتصادية وتحولات في المجتمعات كما رفض قبول قصة موسى بمعجزاته وخصوصاً هلاك فرعون في البحر هو وجنوده كآية من آيات القدرة الإلهية كما أنه في كتبه الأخرى، ولناخذ كتاب «الأسطورة والتراث» جعل الدين تطوراً لأساطير الخرافة واللامعقول وأن القصص القرآني من إهلاك قوم نوح وعاد وثمود قصص «لامعقول» يجب أن يشطب من تاريخنا ولكن بالدرس الكافي له يكون درسه من أمضى الأسلحة في الصراع الفكري الدائر الآن (*) .

أما موسى مطلق إبراهيم فقد زعم أن محمد ﷺ بتبنيه (**) لتاريخ التوراة انهزم أمام اليهود فكراً مع أنه انتصر عليهم عسكرياً!! يقول «ومع أن النبي محمد أعطاهم كل شيء» (!) فإنهم لم يعطوه شيئاً ومع أنه انتصر عليهم عسكرياً وطردهم من الحجاز فإنهم انتصروا عليه ثقافياً (!) ورسخت توراتهم، بكل ما فيها من الأخبار والقصص الهشة (!) والتعليم غير الإنساني، في قرآنه (!) . وستبقى تأثير مرعب في عقول وقلوب المسلمين الذين يأخذونها مأخذ الحقائق التاريخية والتعليم المناقبي المثالي، ما بقي القرآن كتاباً دينياً تأتم به مئات الملايين من أبناء البشرية في جهات الأرض الأربع» (١) لقد قرأت الكتابات الإستشراقية الحديثة عن الإسلام ومنها مثلاً كتاب مكسيم رودتسون «جاذبية الإسلام» ولقد سقاه الرجل الكتابات الحاقدة (القديمة) على الإسلام، ورغم أن الرجل له توجه خاص تجاه المعرفة الإسلامية إلا أنه لم يصل أبداً إلى الحقد الذي يحمله اليوم العلمانيون العرب تجاه الإسلام.

(*) انظر مقدمة الأسطورة والتراث وهي مقدمة خطيرة جداً يهدم فيها الدين هدماً عنيفاً كما بقية الكتاب انظر ص ٢٣، ٢٧، ٢٤ .

(**) هذا هو زعمه أما الحقيقة فهي أن محمد لم يتبنى لا تورا ولا إنجيلا وإنما أوحى إليه من الله عز وجل بالإيمان بالكتب السماوية الصحيحة والرسل والأنبياء .

(١) وعد التوراة ص ١٠٣ .

إن هؤلاء العلمانيين يحاولون إثبات جدارتهم أمام الغرب بزيادة جرعة الحقد على الإسلام وبالكيد لهذا الدين والجرأة الوقحة عليه وهو دين الله بديع السموات والأرض. لقد تأثر هؤلاء الحاقدين (المرضى) بأكثر الكتابات الاستشراقية ضللاً وسخافة، وهي الكتابات المعهودة التي رعمت اقتباس الإسلام تعاليمه من الفكر الديني اليهودي، والتي صورت الإسلام كخطر (مرعب) على الغرب، وكما تقدم من كلام موسى مطلق فإنه يتجاوز ذلك ليقول بأن الخطر المرعب من الإسلام إنما هو على البشرية كلها.

وفيما يشيد أمير إنجلترا «ريتشارد» بالحضارة الإسلامية وفضلها على الإنسانية، يقوم هؤلاء الحاقدون ليعكسوا الآية، فيزعمون أن الإسلام وحضارته خطراً على الإنسانية!! فهل هذا هو الإبداع الذي يريدونا أن نفتح له ذراعينا كطريق لانطلاق الإنسان في اكتشاف الكون وكأسلوب لفاعلية الحياة!!؟

فأي إبداع هذا الذي يقوم بالكذب والاحتيال والاستخدام المفروض لفرض أساطيره على البشر؟! إن موسى مطلق إبراهيم استخدم جملة من كلام الأستاذ سيد قطب في (التصوير الفني في القرآن) للتدليل على عدم تاريخية القصص القرآني، ومن هنا يؤكد أن قصة موسى إنما هي قصة مقتبسة عن قصة الملك الأكادي سرجون الذي حملت به أمه الكاهنة سفاحاً!

إنه ككل العلمانيين الحاقدين ينظرون إلى القصص القرآني على أنه إسرائيليّات يجب أن لا نأخذها مأخذ الجد، لأنها مقتبسة عن حضارات قديمة!

ويورد كلام محمد وحيد خياطة الذي فيه «إن تحرر العقليّة الإسلامية من المذاهب التاريخية في فهم القصص القرآني له فوائد كثيرة منها التحرر من الإسرائيليات» «وقد آن الوقت للعقل العربي ليتحرر من الإسرائيليات ويكشف

تاريخه بنفسه (!) بما تقدمه أعمال التنقيب الأثرية (!) وإن تعارضت المعارف الجديدة مع الكتب المقدسة»^(١)

إن سيد قطب لم يذهب أبداً إلى عدم تاريخية القصص القرآني، بل على العكس من ذلك ذهب إلى أنها حقائق تاريخية عرضها القرآن لغرض ديني وهو تثبيت المؤمنين وأخذ العبرة من التاريخ والتمعن في دلالاته واستقراء وقائعه لإقامة عمران إنساني كريم مرتبط بالمنهج الإلهي الأصيل، والنص الذي حرّف «مطلق» و«خياطة» دلالة - أقصد نص سيد قطب - هو «وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها، أو إدارة حوادثها لمقتضى «الأغراض الدينية» وهو كما ترى يتكلم عن تركيز القصص القرآني في عرضه على الوقائع الهامة في التاريخ والتي يمكن للمسلم أن يستفيد منها في حياته الدنيا، وليس في كلام سيد قطب القول بعدم صحة وقائع هذا القصص تاريخياً!

لكن «مطلق» بعد أن يعرض هذا النص يقول بأنه لم يورد هذه الشهادة إلا ليخفف «وقع الصدمة على الذين يؤمنون من شعبنا، بصحة وقدسية مرويات التوراة التاريخية، حينما وردت في القرآن، فهذه المرويات معادية كل العداء لحقنا في الأرض والحياة والحرية... وما علينا إلا أن نمنع النظر إليها بعين العقل الفاحص والضمير العلمي الخالص، حتى نكتشف زيفها التاريخي الفاضح الذي لا يثبت أمام نظر العقل الثاقب، ولا أمام الضمير العالمي لأبحاث التاريخ»^(٢)!!

أي عقل ثابت هذا الذي يثقب التاريخ بنظرياته المثقوبة المهشمة والمتناقضة في آن واحد؟ وأي أبحاث للتاريخ يقدمها هؤلاء المزورون للضمير العالمي، وكل منهم يقدم خزعبلاته ويعرضها عليه بجرأة مدهشة وبمزايم لا أساس لها من الصحة كالقول بأنهم يعتمدون في نظرياتهم على الإكتشافات الأثرية والتنقيبات

(٢) وعد التوراة ص ٩٧ ..

(١) وعد التوراة ص ٩٦ ..

وإذا كانوا قد حرفوا كلام سيد قطب وغيره من العلماء والمفكرين المسلمين، فكيف بالقرآن وحقائقه وبالدلالات التاريخية لهذا القصص؟!

ومن قال إن القرآن عندما ذكر تفضيل الله لبني إسرائيل على العالمين أنه كان يقصد العالمين في كل زمان ومكان وأنهم مفضلين في حال الصحة والفساد، والاستقامة والانحطاط!!، إن القرآن كان واضحاً في عرضه لهذا القصص التاريخي، فقد فضل الله بني إسرائيل على الأمم التي كانت تعيش على وجه الأرض وقت أن قال الله لهم ذلك، فمجموع بني إسرائيل وقتها، وقت أن كانوا مؤمنين فعلاً وموحدين حقاً، مجموعهم كان أفضل من مجموع الأمم الأخرى التي كانت تعيش في عالم الوثنيات الحقيرة والمدنيات المستبدة والعبادات الحقيرة. أما عندما انحط بنو إسرائيل فكان خطاب القرآن معهم مختلف ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم...﴾ والقرآن نفسه ذكر بني إسرائيل بانحطاطهم الناتج عن تخلفهم عن عهد الله ومواريثه التي أخذها عليهم، فكانت صورتهم في حالة الانحطاط كصور الأمم الوثنية سواء، فقد عبدوا الأوثان وتركوا التوحيد الخالص، واقترفوا الجرائم الأخلاقية مثلما كانت تفعل الحضارات الوثنية ما أدى إلى أن فقدوا التفضيل المشروط بالحفاظ على مواريث الله وعهوده. ولن أحاول هنا أن أستدل بآيات من القرآن للتدليل على ذلك، والسبب هو أن سوراً كاملة - بل أكبر سور القرآن ١ - قد أفردت مساحات واسعة لعرض تاريخ الاستقامة عند بني إسرائيل وتاريخ الانحطاط ونقض المواريث، والقاريء المسلم يقرأ هذه السور يومياً ويعرف ذلك جيداً ويكفي لقاريء القرآن أن يقرأ السور الستة

الأول من القرآن حتى يضع يده على هذه الحقائق البديهية التي لا يمارى فيها إلا سفهاء العلمانية وتلاميذ الاستشراق الحاقد والمغرضين من المستترين بالإسلام! (*)

أما عن الزعم بتأثير العقيدة اليهودية في العقيدة الإسلامية فهو إدعاء قبيح جداً، ذلك أن عقيدة الأنبياء على مدى التاريخ البشري كله، هي عقيدة واحدة، وهي موحى بها من الله لكل الأنبياء والرسل، فالقول بالتأثير هنا إنما هو للقدح في الإسلام وترويج للشبه الصليبية/ اليهودية في أن محمداً ﷺ اقتبس من اليهودية ولا وحي ولا خلافة!! في حين أننا لو ذهبنا لهذه الأسفار اليهودية التي زعموا أن محمداً ﷺ اقتبس منها لوجدناها مناقضة في كثير من معالمها للعقيدة الإسلامية التي علمها محمد ﷺ للمسلمين، وقد رد القرآن على تصورات يهود للالوهية وللنبوة وللتاريخ وهو ما يعني أن العقيدة اليهودية المرسومة صورتها في التوراة المحرفة التي أثبت القرآن نفسه تحريفها للحقائق، إنما هي مخالفة لعقيدة الإسلام في كثير من تفاصيلها!! اللهم إلا في أصل عقيدة الإله الواحد، فهناك لا شك إتفاق بين بعض نصوص الأسفار الحالية التي تؤكد أن الإله واحد مع القرآن الكريم ومع عقيدة أنبياء بني إسرائيل لكن تصور هذا الإله في هذه الأسفار المحرفة التي زعم المستشرقون وأتباعهم العلمانيون أن محمداً ﷺ اقتبس منها!، هذا التصور إنما هو تصور قاصر وشائه ومنحرف في كثير من تفاصيله، وقد إمتلات كتب المسلمين في بيان إنحرافه وضلاله، والعلمانيون يعرفون ذلك جيداً لكنهم يمارون ويخادعون. لفرض تلويث العقائد الإسلامية بصور الانحرافات التاريخية لليهود. حتى زعموا أن العقائد الإسلامية والأنبياء الحقيقيين لبني إسرائيل كييعقوب

(*) يعتمد موسى مطلق إبراهيم في ذلك هو وغيره على قول «بيوري» «لقد مارست العقيدة اليهودية تأثيراً ملحوظاً في العقيدة الإسلامية» يعلق مطلق على ذلك «لقد لاحظ هذا المؤرخ، وهو يناقش تحول الخزر إلى العقيدة اليهودية الخالصة تأثير العقيدة اليهودية في العقيدة الإسلامية، وهذا دليل سعة اطلاعه في هذا المجال، وأن سمي «تأثيراً» ما نسبه «تعميماً» وعد التوراة ص ٣٠٦ .

واسحاق إنما ذلك كله لا أصل له في العالم ولا حقيقة له في الوجود، فحقيقة
الالهية إفراز تاريخي ونتاج سياسي واقتصادي ، والأنبياء هم خيال مقتبس! وهي
كلها إسرائيليات يجب التخلص منها للتحرر من الصهيونية!!! ويدخلون ذلك
بخبث في الإنحرافات التاريخية لبني إسرائيل والتي فضحها القرآن! وبذلك
يضربون عصافورين بحجر واحد، ويتخلصون من الدين كما فعلت الفلسفة في
التاريخ الأوربي!

أما النتيجة التي يقدمونها للبشرية، فهي أفكار عقيمة، ونظريات متناقضة،
وأيدولوجيات منحرفة قاصرة. وهي نفس الأفكار والنظريات التي عزلت الإنسان
عن إنسانيته، ووصلت بالحيوان الدارويني ، الفرويدي المتحرر جنسيا وأخلاقيا ،
الحيوان الاجتماعي الدوركايمي المتجاوز للأسرة إلى أسر شائنة منحرفة جداً! وقد
واجههم القرآن جميعاً قبل ظهورهم في التاريخ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي
قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ (٨) يُؤْتِكُ عَنْهُ مِنْ أَفْكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١)
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فَتَنَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿ [الذاريات: ٧-١٤].

إن هذا الدين مهيمن حقاً، وله سلطان على الأفكار والثقافات لا ينكره إلا
معاند جاحد، ولما عزل الباحثون والمثقفون والفلاسفة الغربيون وتلاميذهم من
العرب آذانهم وأسماعهم وعقولهم وقلوبهم عنه خرجت نظرياتهم وفلسفاتهم
شائنة متناقضة متعارضة متضاربة.

لقد كنت أسمع شباباً كريماً يهتف: صُمّت أذن الدنيا إن لم تسمع لنا!، والآن
أفهم مدلول هذه العبارة بأبعادها المختلفة!

الفصل الثامن

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا
كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

{المجادلة : ٥}

شفيق مقار، ومكر علماني

يزعم شفيق مقار أن موسى عليه السلام مصري .. لكن الأنبياء إبراهيم ويعقوب وإسحاق هم آباء آراميين (الجباع الآراميين!) (٥٠) جعلتهم التوراة أنبياء عبرانيين، «فبركوا!» فيما بعد ليصيروا أنبياء كما ليكونوا عبرانيين!، صوروا على أساس أنهم يأتهم دعم وتأييد غيبي بما وراء الطبيعة (١)

وعن إبراهيم عليه السلام يقول «مقار - وفي الحقيقة مكارا» مفترياً على التاريخ «التاريخ يحكي أن إبراهيم وقومه تسبوا لمصر - عندما استضافتهم وأشبعوا جوعهم في مناعب خطيرة» (٢) وزعم أن الميثاق بين الله عز وجل وبين إبراهيم ويعقوب وإسحاق إنما هو ادعاءات «اعتبرها الكهنة الذين اخترعوها أساساً لديانة» (٣) ديانة إله مكتشف بزعمه، ديانة «الله، الإله السماوي المحتجب الذي اكتشفوه في السبي وما بعده» (٤) فالذين خرجوا مع موسى واحتفل بخروجهم من مصر بزعم مقار «قد أخذوا الكثير من عبادة أوزوريس وأدمجوه في أسطورة حداد - تموز - الذي عبده باسم بعل صفون. وفي أخذهم من تلك العبادة المصرية، وحددوا - على المستوى الإلهي - بين «موت» عدو بعل صفون، و «ست» عدو أوزوريس، وأخذوا الكثير من صفات أوزوريس وطقوس عبادته» (٥) يقول «فالبدايات (التكوين) والنمو الفكري لمفهوم الألوهية الذي طور تعدد الآلهة في عصر الآباء والانتقال من عبادة إلى عبادة مستعمارة من ثقافات الأقوام المتحضرة (١)، وطور أيضاً الإله البركاني الوحشي بهذه! فأوصل كل ذلك إلى مفهوم التوحيد (!) والإله السماوي المحتجب في الصباغة الأخيرة للتوراة (١)، لم تنبع في أي مرحلة من فكر أصويل (!)، أو إبداع حضاري يهودي، بل استعيرت

(١) قراءة سياسية ص ٢٣٤.

(*) قراءة سياسية للتوراة ص ٨٠.

(٣) نفسه ... ص ١٣٣.

(٢) المرجع السابق ... ص ٦٨.

(٥) نفسه ... ص ١١٩.

(٤) نفسه ... ص ١٠٩.

كلها من ديانات وثقافات لم يسهم الكهنة أو قومهم في إبداعها ولُفقت منها
وحوُرت وحرُفت ونُهبت مكونات ديانة توحيدية ادعى أصحابها أنها فريدة بين
ديانات البشر»^(١)

كل العلمانيين الذين دمروا تاريخ الأنبياء الحقيقي ينطلقون من نفس قاعدة
(شفيق مقار) المادية، التي تفسر التاريخ من زاوية مادية صرفة ، وبطبيعة الأحوال
فإنه بهذه الطريقة سيُصير الأنبياء لا أنبياء، وسيُرجع الدين إلى ثقافات أرضية
وظروف تاريخية. فإذا إنضاف إلى ذلك كذب العلماني الملارم لكفره دائماً، وإذا
إنضاف إليه أيضاً الخداع واللؤم والقدرة على التلاعب بالحقائق وفبركة الأمور
فبطبيعة الأحوال ستنتهي الأمور إلى ما ترى أخي القاريء وفي رأيي ، فالامر لا
يختلف إذا ما قارناه بافتراء أهل الجاهليات على الرسل، فقد تصوروهم مجانين -
كما ذكر القرآن الكريم ذلك عنهم ومفتريين وكذابين وخياليين وسحرة وكهنة،
وأصحاب أغراض خاصة، سياسية واقتصادية واجتماعية!! وأنهم يسعون للحصول
على قيادة في المجتمع أو مكانة في العالم أو شهرة في التاريخ ! نفس هذه الآراء
والإتهامات نسمعها اليوم من أقطاب العلمانية المنحرفين وهم يقومون بدراسة
التاريخ النبوي والتاريخ البشري والتاريخ الإسلامي .

عقم المقارنات مازل مستمراً:

لقد قام شفيق مقار بعقد مقارنة بين قصة يعقوب وقصة موسى عليهما السلام
وانتهى بخلاصة مفادها أن الأولى كانت بروفة للشانية في صنع البطل القومي
المعروف في الأسطورة! «حكاية يعقوب في التوراة كانت شبه بروفة لحكاية موسى
من أكثر من وجه، فكلاهما كان بداية حلقة مهمة من حلقات السيناريو الذي
تضمنه العهد القديم»^(٢)

(٢) نفسه ... ص ٢٨٩ .

(١) فراه ... ص ١٣٢ .

فيعقوب النجب بني إسرائيل وكذلك موسى أنجب شعباً وأمة! (بالحال من مقارنة!) وشعب موسى إنما هو في الحقيقة (من العشائر الآرامية والشراذم اللانثذ بمصر، بعد اختلاق أصول وآباء لتلك الشراذم ووصلها - رجوعاً إلى الوراء في الزمان - بالرعاة الذين تقول التوراة أنهم هاجروا من أور الكلدانيين)^(١) بقصد إبراهيم عليه السلام ثم كلاهما يعقوب وموسى بعد أن نهب! - هكذا!! - ... خرج هارباً وكلاهما كان يعبد إلهاً ثم التقى وهو هارب بإله جديد!^(٢)

وهو كذب كبير على يعقوب وموسى عليهما السلام، ومصدر هذا الكذب الذي أخذ عنه «مقار» هو أهل الافتراء من الأوربيين الذين يدعون الموضوعية والبحث العلمي الرصين! «إلا أن التشابه الأقوى والأهم مائل في إضفاء مؤلفي حكاية التوراة لفهوم البطولة على كل من يعقوب وموسى.. فكما هي الحال في كل أساطير الإنسان القديم، كان من المحتم - بعد إعلاء الإله القبلي على كل من عداه من آلهة - إعطاء الشعب أبطاله القوميين»^(٣)

وكما أخبرتك أخي القاريء، فمادام «مقار» قد فسر الألوهية بالطريقة المادية القاصرة والمنحرفة فلا شك أنه سيفسر نبوة الأنبياء وبروزهم في التاريخ على أنهم أبطال قوميون كما الأبطال في الأساطير المعروفة!

فإذا كان الباحث أعمى، ويفتقد لأسس الفكر وآليات الفحص وكليات النظر فلا شك أنه سيخبط خبط عشواء في تفسير حقائق الوجود والحياة والتاريخ والإنسان والدين والنبوة، فيمائل بين الدين والأسطورة والبطل والنبى!!! إن شفيق مقار في كل خطوة يخطوها في كتابه «قراءة سياسية» كان يستدل بمرجع غربي، من مراجع التحريف والتزييف، وكمثال في المقارنة بين يعقوب وموسى عليهما

(٢) قراءة ... من ٢٩٠.

(١) قراءة ... من ٢٨٩.

(٣) قراءة ... من ٢٩١.

السلام اعتمد على فرويد (٥) و «أوتورانك» الذي تأثر بدوره بفرويد كما ذكر فرويد نفسه كما إعتد على «مالينوفسكي» وكان كهؤلاء مراجع لا تُنقض وحقائق لا تنقد! لقد اعتمد شفيق مقار بشكل شبه كلي على فرويد في إعادة بناء أسطورة مصرية جديدة عن موسى ﷺ وفي موقفه من الأنبياء! فيزعم أنه تم تحويل موسى من نبيل مصري وكاهن إلى بطل عبري ورسول (١) كما زعم أن ولادة موسى العبرية وإلقاءه في اليم أو البحر حبكة ساذجة (٢) وأنه لم يهرب لقنله المصري وإنما هرب لأسباب سياسية! (كل علماني يخترع أسباباً نقيضه!!) وقال «ان موسى قبل الهرب من مصر إلى المديانيين، كاهناً من كهنة آتون رع في هليوبولس.. تعلم ديانته على يد يثرون حميه كاهن مديان» (٣) فهو قبل هروبه كان على دين المصريين وبعد هروبه تعلم ديناً وثنياً آخر! وإنه «كان هارباً في واقع الأمر من إنتقام كهنة آمون بعد موت إخناتون واندحار معبد هليوبولس أمام هجمة كهنة آمون الضارية، وكان موسى - قبل ذلك اللقاء - يعبد الإله الذي كان كاهناً من كبار كهنته «آتون» (٤)

وهل يعقل أن ينتقل كاهن من كبار كهنة: آتون ، وهو الذي هرب بديانته - بحسب سرده للأسطورة! - هل يعقل أن ينتقل إلى ديانة جديدة بمستوى الحقارة التي يذكرها شفيق مقار نفسه!؟

(٥) إستخدم فرويد في الصفحات ٦٧، ١٠٠، ١٠٣، ١١٨، ١٤١، ٢١٤، ٢٨٠، ٢٩١ وغيرها من الصفحات.

(١) قراءة ... ص ٣١٨ يقول «طمس الكهنة، كما كان متعباً أن يفعلوا، مصرية موسى، وجعلوه بطلاً قومياً ونبياً لليهود الذين لم يكونوا قد وجدوا بعد» ص ٣٢٥.

(٢) قراءة ... ص ٣١٥ يذهب أيضاً إلى أن الخروج وقع بطريقة سليمة تماماً وبلا مطاردة ولا معجزات كما ذهب فرويد وغيره . انظر ص ٣٢٧.

(٤) قراءة ... ص ٢٩٠.

فقد زعم أن موسى تعلم في مديان عبادة إله قضيب من آلهة الخصب الصحراوية! «فيهوه»... كان أملاً إلهاً قضيباً من آلهة الخصب الصحراوية عبده المديانيون الذين علموا موسى عبادته (!) أثناء إقامته في مضاربهم على حدود سيناء... «فتلك العبادة كانت في جوهرها عبادة خصب صريحة ظلت الاصلاحات التي استمات أنبياء العهد القديم في إدخالها جاهدة باستمرار في محو ما تجسدت فيه قديماً من شعائر وممارسات جنسية»^(١)!!! يعتمد شفيق مقار في ذلك على كثير من الباحثين الغربيين مثل (Allegro, John) وبذلك كما ذكرنا من قبل - استطاع العلمانيون العرب من أصحاب هذه المناهج الحقيرة ، أن يُحَقِّروا الأنبياء ويغمسوا صورهم في أحوال الممارسات الجنسية والعبادات القضيبية والشعائر الإباحية - وقد قام القمني، كما قدمنا ، بهذه الحيلة ، وذلك بربطه بين اخناتون/ موسى/ أوديب في شخص واحد!

إن «العهد القديم» لليهود والذي يؤمن به مسيحيو العالم كان قد وضع قصصاً محرفة عن الأنبياء^(٢) لا يقل عنها في التحريف الصور المشوهة الحديثة. لقد وضعت قصة الممارسة الجنسية بين لوط وابنتيه ، وبين يهوذا وابن يعقوب وزوجة ابنه المتوفي وبين داود وزوجة قائد جيشه وغير ذلك من الصور التي رفضها الإسلام باعتبارها من تحريفات يهود التاريخية وبالفعل لأغراض سياسية ودينية حقيرة .

كذلك فقد أدخل على قصة موسى من قبل «العهد القديم» أمره بقتل النساء والأطفال والأجنة في بطون أمهاتها، بل كل نسمة حية، كما أدخل على قصته أن

(١) قراءة سياسية ص ٢٦٨ .

(٢) كقصة ممارسة لوط الجنس مع ابنتيه الواردة في سفر التكوين ١٩ / ٣٠-٣٧ وقصة صنع هارون لعجل الذهب الذي عبده يهود في خروج ٣٢ / ١-٦ وكقصص حروب موسى التي أمر فيها بقتل الأطفال والنساء كما في سفر العدد وغيرها من الإضافات على القصص الحقيقي ليعقوب ، داود وشاول ونوح وغيرهم .

الله عاقبه هو وهارون عليهما السلام - كما جعلت هارون هو صانع العجل الذهبي!، وأن «يهوه» هو إلهه وإله الأنبياء.

كل ذلك جعل نقاد التوراة يعيدون بناء قصة موسى في عمليات تلفيقية لاتقل عن بناء يهود القديم لشخصية الأنبياء وقصصهم.

إن ذلك لا يعني أن كل ما قاله العهد القديم عن الأنبياء أساطير وخرافات وتعديلات وإدخالات، بل الأمر غير ذلك، فهناك نواح عديدة في هذه القصص تؤكد حقائق عن الأنبياء وعن الدين وعن التاريخ، لكن اختلطت بها صور محرفة استطاع نقاد التوراة أن يستخدموها لهدم الدين كله.

إن القرآن الكريم، قبل أن يظهر نقاد التوراة من أمثال إسبيتوزا اليهودي وغيره بمئات السنين، كان قد أعلن الحقائق كلها عن الأنبياء وحقيقة دعوتهم والتحريف الذي لحق بصورهم وصور الحقائق الكلية الدينية والتاريخية.

ولاشك أن هؤلاء النقاد قد استفادوا من ذلك استفادة كبيرة.. كما استفادوا من نقد علماء المسلمين للأناجيل المعروفة والمتداولة لكنهم ولسبب الظروف الخاصة والمناهج القاصرة انحرفوا انحرفاً خطيراً لا يساويه في الانحراف إلا انحراف آبائهم من صناع التوراة المزيفة والأناجيل المحرفة!

يبقى شيء نذكره قبل أن نختم عرض إفتراءات شفيق مقار، وهو زعم مقتل موسى. فمع ذهاب شفيق مقار لذلك أيضاً تبعاً لفرويد إلا أنه يعلق على ذلك بما يؤكد أن كل أفكارهم عن الأنبياء إنما هي تكهنات ليست لها سند علمي حقيقي! يقول «وبطبيعة الحال، سيظل كل ذلك الإنهام من قبيل التكهنات. وهي تكهنات سيجعل من الصعب إقامة البرهان على صحتها نشاط الكهنة المحررين والرقباء الذين حرفوا واستبعدوا وأضافوا وأدمجوا وتلاعبوا تلاعباً لا سبيل إلى الوقوف على مداه»^(١)!!

(١) قراءة سياسية ص ٣٦٧.

فهنا يُعبّر عن عجزهم عن إقامة دلائل قوية على بعض ما ذهبوا إليه - وإن كان لم يأتوا بدليل قوي واحد على نظرياتهم المتعارضة! - لكن المدهش في الأمر أنه يعزو هذا العجز إلى تلاعب الكهنة القدماء الذين دمروا الوثائق... ولا أعرف أين هي وثائق هؤلاء الباحثين في الاستدلال على نظرياتهم المتناقضة من كشوفات أثرية وحفريات أركيولوجية؟ إن ذلك كله يدل على ثغرات ضخمة في جميع هذه (النظريات الطفولية) التي لا تستطيع شق طريق لها في أجواء نقية!!!

الفصل التاسع

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ
عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ {الأنعام : ٩٤}

سخافة الدكتور الطبيب سعيد ثابت

في كتابه «فرعون موسى» للدكتور سعيد ثابت ما كان عليه إلا أن يضع أوساخ ذهنه المعتليء بالغث من الخيالات والمعطب من زبالة عقله المهلهل والمخلخل فقال بأن «ست» أو «موسى (!)» الذي ورد بالآثار على أنه الابن أو الأخ الشرير للملك مصر مدعي الألوهية إنما هو موسى ﷺ أما «هامان» الذي ورد اسمه في القرآن العظيم فهو عند الدكتور (آمن) أو (آمون) الذي ألّه في عصور تالية!

وزعم أن فرعون موسى هو أوزير - كل علماني ينبش في التاريخ يخترع لموسى فرعوناً مختلفاً عن فرعون الآخر !! - أو عزير..

يقول الدكتور ثابت: إن عزير هو الاسم الذي ابتدعه فرعون لنفسه ليكون اسماً إلهياً له، بعد أن ادعى الألوهية، وبعد أن جاء موسى ﷺ باسم (يهوه)!

وفي تعليق الدكتور عبدالصبور شاهين^(*) والدكتورة إصلاح الرفاعي (في كتابهما المشترك) على هذه الخرافات يقول «ويبدو أن الدكتور فيما ذهب إليه من آراء كمن يقلب الهرم رأساً على عقب، ونحن نستشعر فيما كتب ميولاً عبرانية إسرائيلية، تريد أن تجعل بني إسرائيل أصل التاريخ وبناء مصر وأصحاب الحضارة... ولذلك فنحن نعتبر ما جاء في الكتاب المذكور نوعاً من الإختلال والخبال يرفضه التاريخ ولا سيما تاريخ النبوات الكبرى»^(١)

(*) الدكتور شاهين لخطب كثيراً في كتابه أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة واختلطت عليه الأمور بصورة مثيرة للدهشة عندما جعل آدم أحد مراحل تاريخ الإنسان الذي زعم أنه كان يتقلد - أي الإنسان - من مرحلة إلى مرحلة تغيرت فيها بعض أوصافه فقد كان البشر قبل آدم ويادوا فقدّر الله فناء كل البشر من غير ولد آدم وذلك بعد عزل السلالة الجديدة (!) المتقاة، حتى تتم إبادة جماعات الهمج البشرية، لتبدأ بعد ذلك الملحمة الإنسانية، بطلبتها المصطفة آدم وحواء (ص ١٠٥) «وآدم على هذا هو أبو الإنسان وليس أبو البشر ولا علاقة بين آدم والبشر الذين يادوا قبله» (١٠٤) إن هذا أيضاً يادكتور شاهين نوعاً من الإختلال والخبال يرفضه التاريخ وتلفظه الحقيقة وينسف القرآن. ولا يسى اجتهاداً أقول ذلك وأنا أكن لهذا الرجل الاحترام لفضله وعلمه ووقوفه على ثغرات خطيرة أفاد منها الإسلام والمسلمون كثيراً غفر الله لنا وله .

(١) قصة الدين والنبوة في مصر قبل الاسلام ص ٢٠٠

ولقد ادعى الدكتور مراد الدش أستاذ مساعد الهندسة الإنشائية بجامعة عين شمس أن فرعون موسى الأول هو تحتمس الثاني «وإنه نشأ تنافس بين موسى والملك تحتمس الثاني على الزواج من حتشبسوت!؟ ففاز بها تحتمس الثاني فلكزه موسى فقتله فخاف فهرب ...!!!»^(١)

وهكذا أخى القاريء، تسير الأمور إذا إحتل الميزان بين يدي المتفلتين من هذا الدين العظيم القيم، الذين يقلدون الفكر الغربي الذي يعيد كتابة التاريخ بصورة جديدة تتقابل مع صور الفكر الإغريقي القديم الذي كان يصنع الأساطير عن الطبيعة وعن الإنسان بصورة ساذجة عابثة فَقَدْ عندها وقبلها المنهج الصحيح في النظر إلى كليات الأمور فكانت أساطير الوثنية السخيفة أعمدة للفكر النظري الإغريقي واليوناني ولطريقة التفكير التي تطيش بالحقائق وتكون بديلا لحقائق الحياة والعالم والتاريخ.

ادعى (جارستانج) أيضاً عضو بعثة مارستن Marsten التابعة لجامعة ليفربول للتنقيب في فلسطين أن موسى قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٢٥٧ ق.م بالتحقيق عندما كانت أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر، أي خلال حكم تحتمس الأول أو تحتمس الثاني ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذي قام به تحتمس الثالث ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم تحتمس الثالث عام ١٤٤٧ ق.م^(٢)

اعتمد جارستانج في إقامة خرافته الهزيلة على جعران عثر عليه في مقابر أريحا

(١) نشرت الاهرام المصرية ذلك في عددها الصادر يوم الخميس ١٣/١١/١٩٩٧ في الصحيفة الخاصة بالتحقيقات (ص ٣) في مقالها بعنوان «عبور النبي موسى من بحيرة قارون» من تحقيق الأستاذ عبدالحسن سلامة الحرر بالجريدة عرض فيه آراء الدكتور مراد محمد الدش ... انظر كتاب المغالطات والإفترافات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية للدكتور عبد المنعم عبدالحليم سيد ص ١٣٠.

(*) أما فليكونفكي فيقول في كتابه عصور في فوضى ص ١٦٧ أن حتشبسوت هي ملكة سبأ !! «ولإثبات أن ملكة سبأ والملكة حتشبسوت لم يكونا إلا شخصية واحدة فإنني يجب أن أثبت أن ملكة سبأ قد جاءت من مصر (!) وأن الملكة حتشبسوت قد زارت فلسطين» وهكذا يدمرون التاريخ!!!

الملكة فقام برسم نظريته الهزيلة التي كما قال سيد القمني ملأت الدنيا صخباً وضجيجاً ويقول تعليقاً على ذلك وكما ظهرت ضجة جارستانج فجأة، خفت فجأة، وإنتهى جارستانج إلى الصمت التام ولم يعد أحد يتحدث عن جعرانة الأعجوبة! (١)

المشكلة الأخطر، من ذلك كله كما ذكرنا ذلك أكثر من مرة ، أن هؤلاء جميعاً ينسبون موسى عليه السلام إلى أسر وثنية غارقة في الإباحية والجنس المقدس! فالقميني مثلاً الذي يحلو له أن يعلق على أمثال هذه النظريات، القمني هذا نسب موسى الذي هو إخناتون بزعمه إلى الملكة العارية تي التي تبدو رسوماتها في الآثار المصرية مع إخناتون نفسه - كما أشار القمني نفسه - مفعمة بالعرى والتحلل وكذلك زوجها آمنحتب الثالث الذي تزوج ابنته كما تزوجت تي ابنها إخناتون .

وهنا ينسب جارستانج موسى إلى حتشبسوت الفرعونية التي تمثل النقوش ممارستها للإقتران مع الإله المصري آمون التي ادعت حتشبسوت أنها ابنة مباشرة له بالجماع الجسدي مع والدتها!! ويقول إريك هورنونج في كتابه ديانة مصر الفرعونية (٢) «وعندما دنا الإله آمون من الملكة أحمس وهي نائمة لكي ينجب منها الملكة حتشبسوت «فاض القصر بعبير إلهي» وأيقظها هذا العبير، وأوحى لها بأن الإله قد حضر (!) حتى قبل أن يدعها ترى «هيبته» الحقيقية كإله ... وقد اتخذ شكل زوجها لمخمس الأول (١)»!!!

يقول القمني «ويشير كلمن (دريتون) و (فاندييه) إلى أن فكرة تدخل الإله تدخلًا مباشرًا في إنسال الجالس على العرش، كانت شائعة في الأسرة الثامنة

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ ١ ص ١٦٨ .

(٢) ص ١٣٤ .

عشر، إذ تمثل النقوش في معبد الدير البحري عن حثبوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهي. أي اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالدة^(١)

وهكذا يتم تلويث شرف الأنبياء في النظريات الهجينة والخرافات العصرية التي تنسج على منوال النسيج القديم للفكر الوثني الإغريقي الذي كان يتصور الأشياء على غير حقائقها الأصلية لفقدانه للأصول الصحيحة التي فقدتها مع فقدانه للدين الحق. أما الدكتور سعيد ثابت فإنه جعل موسى إلهاً شريعياً هو الإله (ست) إله الشر عند المصريين القدماء!

وقد جعل كمال صليبي من موسى إلهاً أيضاً، وصليبي لا يؤمن بالله كأغلب الماديين العلمانيين الذين يحاولون بكل الطرق السخيفة سحق معالم الدين وقواعد الإيمان.

﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]

إن هذه الأفكار والمذاهب والنظريات والفلسفات العلمانية نتاج اختلال الموازين في الصراع الشديد الذي تم في الغرب بين الكنيسة المنحرفة والفلسفة القاصرة، ولقد قدم الإسلام - بعد العقيدة والشريعة - أثناء هذا الصراع هديتين عظيمتين الهدية الأولى هي تحرير العقل وتفعله كونياً وجدلياً وإجتماعياً والهدية الثانية هي المنهج التجريبي الذي نقل العالم كله نقلات هائلة. لكن يبدو أن آلبة الأسطورة تحكمت في طبيعة (النظرة الغربية) ومثيلاتها (العلمانية) إلى العالم ما أدى إلى المشكلات الخطيرة التي يعيشها الإنسان اليوم، بعيداً عن حلول الإسلام التي أخذ بعضها وطُرح بعضها الآخر في غير مبالاة وفي علو وشطط وضياح تغلغل في الحضارة الأيلة للسقوط!

طارق عبد الباقي - مينة لاهاي / هولندا

١٢ من ربيع الأول ١٤٢٣

٢٤ مايو ٢٠٠٢

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ج١ ص ١٧١ .

المراجع

- ١- الفلسفة، أنواعها ومشكلاتها، تأليف هتيرميد ترجمة فؤاد زكريا - الناشر مكتبة مصر ، يناير ١٩٦٩ .
- ٢- مقدمة في علم الاستغراب للدكتور حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ٢٠٠٠م
- ٣- نقد فلسفة هيجل للدكتورة فريال حسن خليفة ، دار قباء - القاهرة ١٩٩٨ .
- ٤- نظرية المعرفة ، فؤاد زكريا - مكتبة مصر - بدون تاريخ - رقم الايداع ١٩٩١م
- ٥- وعود الاسلام روجية جارودي - مكتبة مدبولي ١٩٩٣ .
- ٦- الإنسان والحضارة - فؤاد زكريا .
- ٧- شمس العرب تسطع على الغرب - زيفريد هونكه نقله عن الألمانية فاروق بيضون كمال دسوقي دار الجليل بيروت - الطبعة الثامنة ١٩٩٣ .
- ٨- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، دار المعارف بدون تاريخ دكتور يحيى هاشم حسن ، رقم الإيداع ١٩٨٤ .
- ٩- ملقى السبيل ، لإسماعيل مظهر ، المطبعة العصرية القاهرة .
- ١٠- الإسلام في الفكر العربي ، اللواء أحمد عبدالوهاب - مكتبة التراث الإسلامي / ١٩٩٣ .
- ١١- خطاب إلى العقل العربي فؤاد زكريا - مكتبة مصر .
- ١٢- قصف العقول - تأليف فيليب تايلور / عالم المعرفة / ابريل ٢٠٠٠م .
- ١٣- جريدة القاهرة المصرية ٨ مايو ٢٠٠١ العدد السادس والخمسون .
- ١٤- ديوان الأساطير، الكتاب الأول ، دار السامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

- ١٥- إعلام الوقعين لابن القيم، دار الجليل / بيروت.
- ١٦- كيف نفهم الإسلام محمد الغزالي - دار الدعوة.
- ١٧- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر- محمد الغزالي ..
- ١٨- نقض المنطق، ابن تيمية، مكتبة السنة المحمدية/ القاهرة.
- ١٩- النبوات لابن تيمية.
- ٢٠- ركائز الإيمان - محمد الغزالي.
- ٢١- مجموعة فتاوى ابن تيمية.
- ٢٢- النبي موسى ورسالة التوحيد - دار الرشد - الطبعة الأولى ١٩٩١.
- ٢٣- ثلاث مقالات في النظرية الجنسية لفرويد ترجمة سامي محمود علي راجعها مصطفى زيور - دار المعارف ، الطبعة الثالثة.
- ٢٤- هريبرت ماركيز للدكتور فؤاد زكريا ، دار مصر للطباعة - الطبعة الأولى - مايو ١٩٨٠.
- ٢٥- حياتي والتحليل النفسي لفرويد، ترجمة مصطفى زيور، عبدالمنعم المليجي - دار المعارف.
- ٢٦- دارون ونظرية التطور تأليف شمس الدين آق بلوت - ترجمه عن التركية أورخان محمد علي - سلسلة العلم والتقنية - دار بني آسيا للنشر - استانبول ١٩٨٧م.
- ٢٧- جاذبية الإسلام - دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٨.
- ٢٨- دفاع عن محمد ضد المتقسين من قدره - دكتور عبدالرحمن بدوي - دار العالمية للكتب والنشر.
- ٢٩- مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب - دار الشروق - الطبعة

السابعة ١٩٩٣م.

٣٠- وعد التوراة لموسى مطلق إبراهيم - منريح للطباعة والنشر - بيروت طبعة أولى ١٩٩٤.

٣١- قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام - تأليف الدكتور/ عبدالصبور شاهين - الأستاذة/ إصلاح عبدالسلام الرقاي - الزهراء للاعلام العربي/ الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣٢- إسرائيل .. التوراة .. التاريخ .. التفضيل سيد القمني - دار فباء القاهرة - ١٩٩٨م.

٣٣- الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ لجعفر الحلي، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والفنون، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان - دار الرشيد للنشر.

٣٤- النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة - ٤ أجزاء لسيد القمني المركز المصري لبحوث الحضارة/ مدينة بيتكو/ مصر - الطبعة الأولى ١٩٩٩.

٣٥- تاريخ اليهود لأحمد عثمان - الجزء الأول - دار الشروق.

٣٦- قراءة سياسية للتوراة - شفيق مقار - الناشر رياض الرئيس للكتب والنشر - لندن - قبرص.

٣٧- البغاء عبر العصور ، لسلام خياط ، نشر رياض الرئيس للكتب والنشر - الطبعة الأولى ١٩٩٢.

٣٨- جريدة الاهرام المصرية .

٣٩- الدين في عصر العلم ، الدكتور يوسف القرضاوي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٤٠- سقوط الغلو العلماني - دكتور محمد عمارة، دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

- ٤١- التطور في حياة البشرية للأستاذ محمد قطب، دار الشروق - طبعة ١٩٩٥ .
- ٤٢- الأسطورة والتراث - دكتور سيد القمني - الطبعة الثالثة ١٩٩٩ - المركز المصري لبحوث الحضارة - القاهرة.
- ٤٣- أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي للمهندس أحمد عبدالوهاب - مكتبة وهبة - الطبعة الثانية ١٩٨٤م
- ٤٤- الإسلام والأمن الاجتماعي - دكتور محمد عمارة - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٩٨م
- ٤٥- الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية لأحمد عثمان - الطبعة الأولى ١٩٩٩م - دار الشروق.
- ٤٦- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم - للإمام محمد الغزالي - دار الشروق - الطبعة الثانية ١٩٩٢م
- ٤٧- فضل الإسلام على الحضارة الغربية لمونتجومري وات - مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- ٤٨- قصة الخلق - دكتور سيد القمني المركز المصري لبحوث الحضارة - الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
- ٤٩- قذائف الحق للشيخ محمد الغزالي - منشورات دار ذات السلاسل - الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.
- ٥٠- مقارنة الأديان (اليهودية) للدكتور أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثامنة ١٩٨٦م.
- ٥١- المغالطات والافتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية وحضارة مصر الفرعونية والرد عليها ... للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد دار غريب للنشر - طبعة ٢٠٠٠م.
- ٥٢- نحو بحث جديد - الأستاذة زينب الغزالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٥٣- أبي آدم - قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة للدكتور عبدالصبور شاهين -

نشر دار أخبار اليوم قطاع الثقافة/ مصر - رقم الايداع ١٨٣٣٣ / ٢٢٠١ .

٥٤- خواء الذات والأدمغة المستعمرة للدكتور مراد هوفمان تعريب عادل المعلم ونشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م

٥٥- عصور في فوضى (١) من الخروج إلى الملك إخناتون تأليف إيمانويل فلايكوفسكي - ترجمة د. رفعت السيد - الطبعة العربية الأولى يناير ٢٠٠٠ - طبع «جماعة حور الثقافية»

٥٦- الأعمال (١) الإسرائيلية لسيد القمني - الناشر: المؤلف «سيد القمني» - تاريخ النشر: يناير ٢٠٠٢ .

٥٧- مجلة الكتب ووجهات نظر، مجلة شهرية، العدد الثامن والثلاثون - السنة الرابعة مارس ٢٠٠٢، تصدر عن الشركة المصرية للنشر العربي والدولي .

٥٨- حثببوت الملكة الفرعونية، تأليف سوزان راتيه - ترجمة فاطمة عبدالله محمود - مراجعة د. محمود ماهر طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني ٣٠١ - طبعة ١٩٩٨ .

٥٩- عربي ، هل قلت عربي ؟ أحكام الغرب حول المسلمين والعرب تأليف شانتال داغرون ومحمد قاسمي ترجمة فقيهي الصحراوي ، دار أفريقيا للشرق . ١٩٩٨ .

٦٠- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - لموريس بوكاي - طبعة جمعية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ليبيا .

٦١- دراسة في السيرة النبوية - دكتور عماد الدين خليل - مؤسسة الرسالة - دار النفائس .



الباب الأول

- الفصل الأول

١- التكريم الإلهي وتفرد الإنسان

٢- أزمة الصراع الفكري في الغرب وظروف التدمير الذاتي

٣- أمثلة هامة جداً على الصراع المشاوم في الغرب

- الفصل الثاني

٤- نظريات الطمس ومحاولات تغيير معالم التاريخ البشري ...

٥- فرويد ، «الطاغوت الذي يعبد» باحثون عرب في التاريخ ...

الباب الثاني

- الفصل الثالث

٦- الدكتور سيد القمني، وعلمانية تقلب الحقائق ببشاعة وحقد

أعنى

- الفصل الرابع

٧- المستشار محمد سعيد العشماوي وتدمير حقائق الدين واختراع

نظرية سخيفة وماسونية كونية!

- الفصل الخامس

٨- إفتراءات الدكتور أحمد عثمان وإيقاف التاريخ على رأسه! ...

- الفصل السادس

٩- نظرية - أو بالأحرى - فرية الدكتور أحمد سوسة

- الفصل السابع

١٠- أكذوبة موسى مطلق إبراهيم

- الفصل الثامن

١١- شفيق مقار، ومكر علماني

٢٥٧ - الفصل التاسع
٢٥٩ ١٢- سخافة الدكتور الطيب سعيد ثابت
٢٦٥ المراجع
٢٧١ الفهرس

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية بجودة عالية
على مكتبة جديد كتب بدف
<https://jadidpdf.com>

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الرائعة والحصرية بجودة عالية
على مكتبة جديد كتب بدف
<https://jadidpdf.com>

